Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: AMCAZADE HÜSEYİN PAŞA
Yeni Kayıt No.:
Eski Kayıt No.: 17

1

لتتبجي وحده

انخرط في سلك ملكي وانضبط في سمط ضعفاء ... الى الله الملك الغني فيلسوف الفقير ... القاضي عابد ... الواقع في ... المطهر من ... القاسم

[seal]

من نعم الله على محمد سعد ...

قاضي

٤٢٥
٥٥٧

قال الكواشي في اوائل سورة النساء اجماع النحاة لا ينعقد بدون القراء لان من القراء من كان نحويا كابي عمرو والكسائي وعاصم واما اجماع القراء فينعقد بدون النحاة هذا القدر انتهى

الذي نزل القرآن بتنزيل مبلغه كوصف الكتاب بوصف صاحبه او حامله ... من الغصر ... وكلام على الاسناد المجازي والا فمنزل النبي ... وهو من خصائص المنجز بالذات من اجوائه الا ... وما تركب منها والقرآن ... بل من الاعراض المنزلة التي لا استقرار لها ... فكيف بتصور تنزيله ... التنزيل الذي هو نزولي على الانزال الذي هو دفعي لانه ادخل في كون القرآن ... لكونه ارتب البنا على ما روي انه انزل جملة من اللوح الى سماء الدنيا ... بانتاجه ثم نزل الى الارض نجوما في ثلث وعشرين سنة واما كيفية ... القرآن من الملك الحضرة والقائه الى النبي عليه السلام فقال عنه ... حيث جوزوا اسماع كلام الله القديم واما من لم يجوزه فيقول يجوز ان ... نقوش هذا النظم المخصوص فيتلقفه جبرائيل منه ويحفظه ويخلق الله تعالى له علما ضروريا بانه هو العبارة المؤدية لمعنى ذلك القديم فيبلغه الى النبي عليه السلام او ياخذ ... ومعناه جميعا اخذ اسمعوا بان ينفث في خزانة الملك بارادة الملك او ... ويخلق علما ضروريا بانه هو القرآن فيلقيه على النبي عليه السلام من حاشية ...

ابن حسن ... راج الوزير ... باشا العربي ... علي الله ...

١٧

[seal]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا وبعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤول

سورة فاتحة الكتاب

وهي سبع آيات

وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها أو استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد التسمية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة أو الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي

عن الصراط المستقيم بكر بذكر المغضوب عليهم ولا الضالين قوله او الانزال اي نزل في الانزال من قبيل عامها مساويا
قوله لنه مكي وللدا نعتاك سبعا من المثاني وهو مكي بنص الطلاق المنزل عليه بتكرر النزول الطلاق يقال هذا الاطلاق
بتكرر النزول الا انها باعتبارها نزول والتسمية باعتبار ما كان ويمكن ان يحمل المثاني في قوله من المثاني على سبعا من المثاني على ان القران لا
معا تنبه قوله والشام في بلاد من ساحة البحر وسميت لذلك اولان قوما من بني كنعان تشاموا اليها اي تياسروا ويسمى شام
ابن نوح عليه السلام اولان ارضها شامات بيض وحمر وسود وعلى هذا لا يهمز كذا في القاموس قوله ومالك
ذكره بعض فقهاء المدينة ذكر الخاص بعد العام قوله ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة اي الفاتحة لان الكلام فيه
اولى سورة من سور القران وبونهم عل انها ليست منها وبالجملة نحمه انه لا يلزم من عدم النص هذا النص الا ان يقال في النفس
يعتد وقوع ما ليس بنص فيعتد الظن ويمكن ان يحمل قوله ظن اسما مرفوعا جرا اعني ان واجب التعديم ويكون بدل من النسبة
الارشاد الى قوله تعالى اي فحصل الظن انهم قوله وسئل محمد بن الحسن اشارة الى ما اشتهر من مذهب الى حنيفة
انها ليست من القران ليس بمعتمد قوله ومن اجلهما اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها اي لتعارض الحديثين اختلف
فيها فانه قد ذهب الى انه لا يمكن جمعهما ولا تجري فيه النسخ لم يبق الا السلوك طريق الترجيح فرجح كل فرقة احد الحديثين ومن الزائد
الفاتحة لا بمعنى الاية الاولى قوله والاجماع على ان ما بين الدفتين ظاهره انتظم على احاديث كثيرة وفيه ان الاجماع
والوفاق المذكورين لا يثبتان دعوى انها جزء من الفاتحة وجعل الاجماع مبتدأ خبره على ان ما بين الدفتين كلام الله
وجعل الوفاق مبتدأ قوله اثباتها وجعل المقصود منه ما يثبت الى الكل اثبات من القران تكلف قوله لعدم ما يطابقه اذ
لا يوجد متعلق باسم الله بالابتداء او يوجد تعلقه بالتلاوة تحكى في قوله اقرأ باسم ربك وورد ما يدل عليه عطف ما يطابقه
اي بعدم قرينة يدل عليه اذ لا قرينة الا المقارنة وهذه داعية الى تقدير الفعل لا تقدير الابتداء قوله او ابتدائي لزيادة اضمار فان
قلت حذف المضاف مع المضاف اليه قلت اراد زيادة الحذف لا يقال زيادة الحذف باعتبار حاجة
في بسم الله الرحمن الرحيم الى تقدير فعل عام ايضا على هذا التقدير لانا نقول لم يكن على المتعلق اعتبار الفعل من قبيل الحذف نحو علوا
ودرساها وللدلالة على الاستمرار والاول ان يقول او قرائي لان المقصود ان تقدير الابتداء اولى من تقدير بسم الله مجريها
الخاص اولى من تقدير الاسم العام قوله لانه اهم لشرفه وكون الرد على المشركين بابتدائهم باسماء اصنامهم منوطا على الاختصاص
المستفاد منه قوله وادل على الاختصاص فان قلت لا دلالة على الاختصاص في الباء فكيف وصف التقديم بكونه ادل عليه
قلت لا بعد ان يستفاد الاختصاص من التقديم قوله فان اسمه تعالى مقدم على القراءة وحكاه على جميع الاشياء
الا ان الحال لا يصح جعل اسم الله آلة لقراءة الفاتحة عنده من يجعل بسم الله جزءا من الفاتحة فلا الا ان يجعل الباء للمصاحبة
فالاولى ان يقال في توجيه المصاحبة اصلا قوله وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ولذا بحجة على ما سبق
انه كيف قال ان متبركا باسم الله اقرأ او باستعانة اسمه اقرأ قوله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح
ما يقابل الاسم والفعل وقد تخص باسم حروف المعاني كان حروفا مركبة منها الكلمات تختص بحروف المباني والاكان
من حيل البناء على الفتح لان الشائع الكثير منها فان الكاف ولام الابتداء والسين والواو والفاء الى غير ذلك كذلك
ووصل معنى كون مرجحا ان المناسب المعقول ذلك لان الاصل في الكلمة علامة الاعراب الدال على المعنى الامن الوجود
فالاولى بالبناء المقابل له العدل وهو السكون ولما تعذر السكون في الحرف للموقوف لكونها مطلع الابتداء لكونها كلمات
حركت بالفتح الذي هو اخف الحركات واخف السكون من حيث الخفة وان كانت الاخف من حيث الحج الكسرة ولذا قيل
ان كل ما حرك حرك بالكسر قوله لاختصاصها بلزوم الحرفية اي باستلزامها الاعراب فانكشف الحرفية عنها اما بان يراد لزوم الحرفية لها كما هو
المشهور في اللزوم من جهة استلزام الاعراب من جانب اللازم وعدم وجود اللزوم بدون اللازم في الشائع في السنة الحكي واما
بان يراد انها لازمة للحرفية كما هو عبارة الكشاف وبينه في الكشاف انه لا يلزم الاسكان واحد لزوم الحرفية عن
الحرف والعطف وادر وادا للقسم وباؤه واحسبها لا يلزمان لجواز اضافتها للبناء اي ويمكن ان يكاسبا هاء حرفا تعلم مالم
بخلاف القسم بل كمل للاسم اتصاف بدل به ما لا يلزم الحرفية فقابل ووجه مناسبة الكسر للزوم الحرفية تقتضي عدم الحركة والكسر
تعلقها في الحرف والاسماء وعدمه في الافعال بالعدم ووجه مناسبته للزوم الجر من قوله داخلة على المظهر لان الداخل على المضمر مفتوحة
بانفصال همزة وانفصال ضمير لازم الاسناد قوله حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال اي لا للاعلال اذ لو حذفت لاجل الاعلال كان تحركاتهم
منونا محلا للاعراب فلا يصح جريان الاعراب على ما قبل كما في عصا وانما اذا حذف لمجرد التخفيف لا يوجب الاستعمال كان متحيا
وتصيير ما قبل محل الاعراب كما في يد واب وكان الاول ان يقول بناء اوله على السكون ايضا لكثرة الاستعمال لانه انقاس حيث
التخفيف قوله ويسافي الاسم في باب فاحق ان يحذف الياء عن الكتابة لان الاصح ان الوقف على ما قبل الباء لا على الباء
لان الساكن ويجيء في بيع الكتاب والكشاف بالياء ودونه وكما يعبر او وصل حال الالف لان اذا وقع ابتداء الكلمة وتمكن
تحمل عليها بكثرة الاشياء فنا قيل والاطراد انه اي عليه [illegible] صاحب في القاموس جمع اسم وجمع الجمع اسامي قوله والقلب
بعيد غير مطرد في تصاريف كلمة في كلامهم مثل كان [illegible] على الاسم وسما كما يقوله الكوفيون بلزوم القلب في جميع تصاريف الكلم وكلاف

بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي
ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها
فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلام
قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
آية ومن اجلهما اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين
كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب
آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك
يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه
ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله
مجراها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود
فان اسمه تعالى متقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم
ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله
فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة
العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق
الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة
داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء
التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ
بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفهم
على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال
والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو
لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو و
عوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره
في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به
اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم و
الاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو
المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب
تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب
او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو

نفس الشيء والى ما هو غيره والى ما هو ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك
والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة
الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف
واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على
كل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد
ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من الهت
الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله
اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العابد يفزع اليه او يجيره حقيقة
او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد
او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها
استثقال الضم في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل
اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك
الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح
يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه
لا بد له من اسم يجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا
لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والحق انه وصف
في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق
اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة
اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن
ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد قوله ظاهرا وهو الله في السموات
معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب
وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف
الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا
وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر
الا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال **الرحمن الرحيم** اسمان بنيا للمبالغة
من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف
يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ
باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم
لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ
تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن
والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا

لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليل وحقير وانما قدم والقياس
يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه
لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على
غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيل
رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها
والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى
التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن
لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف
له او للمحافظة على رؤس الاى والاظهر انه غير مصروف وان خص اختصاصه بما هو
الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان
به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها
وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره
بذكره والاستمداد به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من
نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه
ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا
واعتقادا قال **الشاعر** افادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا
فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة
وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر
والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض
الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به
وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر
التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة
الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من
خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال **تعالى** وما بكم من نعمة فمن الله وفيه
اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شأنه وقرئ
الحمدِ لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة
واحدة **رب العالمين** الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا
ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم
فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا
كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع
وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته

تدل على وجوده وإنما جمعه ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة وغلّب العقلاء منهم
فجمعه بالياء والنون كسائر أوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين
وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فإن كل واحد منهم عالم
من حيث إنه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض يعلم بها الصانع
كما يعلم بما أبدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي أنفسكم
أفلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح أو النداء أو بالفعل الذي دل عليه
الحمد وفيه دليل على أن الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى
المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي
ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله وقرأ الباقون
ملك وهو المختار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم
والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالأمر
والنهي في المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب
على المدح أو الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على أنه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا
بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى
العدوان دناهم كما دانوا أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على
الاتساع كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار ومعناه ملك الأمور يوم الدين على طريقة
ونادى أصحاب الجنة أو له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الإضافة حقيقية
معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء
الدين وتخصيص اليوم بالإضافة إما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه وإجراء
هذه الأوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم
كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لأمورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة
على أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فإن ترتب
الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللإشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك
الصفات لا يستأهل لأن يحمد فضلا عن أن يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الأول
لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الإيجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على أنه متفضل
بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لإيجاب بالذات أو وجوب عليه قضية لسوابق الأعمال
حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فإنه لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين إياك نعبد وإياك نستعين ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف
بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك
أي يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة لتكون أدل على الاختصاص وكان العلوم
صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بني أول الكلام على ما هو مبادئ حال العارف

من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه
وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة
فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين إلى العين دون السامعين
للأثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطا
للسامع فيعدل من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى إذا كنتم
في الفلك وجرين بهم وقوله الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ
القيس تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن أبي الأسود وإيا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف
والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الإعراب كالتاء في أنت
والكاف في أرأيتك وقال الخليل إيا مضاف إليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب إذا
بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وإيا
عمدة فإنها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم إليها إيا لتستقل
به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ إياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة أقصى غاية
الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة
ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي إما ضرورية أو غير
ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة
يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل
وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي
أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف
والمراد طلب المعونة في المهمات كلها أو في أداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ
ومن معه من الحفظة وحاضري الجماعة أو له ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف
عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب إليها ولهذا شرعت الجماعة
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد
غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره إلى
المعبود أولا وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث إنها نسبة شريفة إليه ووصلة بينه
وبين الحق فإن العارف إنما يحق وصوله إذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما
عداه حتى إنه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها إلا من حيث إنها ملاحظة له ومنتسبة
إليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن إن الله معنا على ما حكاه عن
كليمه حيث قال إن معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على أنه المستعان لا غير
وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب
الحاجة أدعى إلى الإجابة وأقول لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه أوهم ذلك تبجحا واعتدادا

منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله وإياك نستعين ليدل على أن العبادة أيضاً مما لا يتم
ولا يستتب له إلا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك
وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فإنهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء
إذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة وكأنه قال
كيف أعينكم فقالوا اهدنا أو إفراد لما هو المقصود الأعظم والهداية دلالة بلطف ولذا
تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية
وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى وأصله أن يعدى باللام أو إلى فعومل
معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع أنواعاً
لا يحصيها عد لكنها تنحصر في أجناس مترتبة الأول إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني
نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه أشار حيث قال
وهديناه النجدين وقال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية
بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله إن هذا
القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي
بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه
عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه فإذا
قاله العارف الواصل عنى به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشي
أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والأمر والدعاء يتشاركان لفظاً ومعنى ويتفاوتان
بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسرط
السابلة ولذلك سمي لقماً لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صاداً ليطابق الطاء في
الإطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل عنه وقرأ ابن كثير ورويس
عن يعقوب بالأصل وحمزة بالإشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في
الإمام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي و
المراد به طريق الحق وقيل ملة الإسلام **صراط الذين أنعمت عليهم** بدل من الأول
بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد و
التنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه
لأنه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه أن الطريق المستقيم ما
يكون طريق المؤمنين وقيل الذين أنعمت عليهم الأنبياء وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل
الحالة التي يستلذها الإنسان فأطلقت لما يستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وإن كانت لا تحصى

7 a

قوله واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معه معاملة اختار تعالى [illegible] وكان معنى المتعدي بالنفس والمتعدي
بحرف واحد وقد نقل عن الكشاف في الحواشي ان الاول الدلالة مع الاذهاب الى المطلوب ولهذا اختص بالله تعالى
والثاني مجرد الدلالة على الطريق فنسبته الى النبي او القرآن [illegible] الايصال [illegible]
ان يقال الهداية بمعنى معاني بعضها يقتضي التعدية بنفسه وبعضها التعدية باللام وبعضها التعدية بالى [illegible]
والاشارة [illegible] بملاحظة الارادة تعدى بنفسه وبملاحظة الاشارة تعدى بالى وبملاحظة
[illegible] قال العلامة [illegible] الدلالة تعدى [illegible] الهداية الى [illegible] تلك الدلالة [illegible]
[illegible] الهداية معاملة [illegible] كما عرفت [illegible]
[illegible] قوله الاول افاضة القوى [illegible] الهداية [illegible]
الهداية [illegible] قوله كالقوة العقلية [illegible] والحواس الظاهرة [illegible]
الصادق [illegible] الى [illegible] الهداية [illegible]
وهديناه النجدين قوله وقال واما ثمود [illegible] قوله الثالث الهداية بارسال الرسل [illegible]
وارسال الرسل لانه [illegible] نصب الادلة [illegible] الهداية وارسال الرسل [illegible]
للبيان اي الهداية بمعنى ارسال الرسل قوله بالوحي او بالالهام [illegible] انزال الكتب [illegible]
[illegible] قوله والامر والدعاء [illegible] طلب على وجه [illegible] قوله فكأنه يسرط
[illegible] الطريق [illegible]
[illegible] قوله والثابت في الامام اي مصحف عثمان رضي الله عنه [illegible] الامام [illegible]
[illegible] قوله والصاد [illegible] قوله والمراد به طريق الحق [illegible]
[illegible] الاسلام [illegible] الصراط المستقيم بالعبادة حيث قال [illegible]
[illegible] الصراط المستقيم [illegible] العبادة [illegible] الاستعانة [illegible]
العبادة [illegible] الصراط المستقيم صراط الانبياء [illegible] صراط الله
[illegible] عليهم [illegible] صراط المغضوب عليهم صراط [illegible] صراط من [illegible] الشيطان
[illegible] الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم
[illegible] الشيطان [illegible] المغضوب عليهم ولا الضالين قوله [illegible]
[illegible] قوله بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود
بالنسبة [illegible] المقصود [illegible] فائدته [illegible] المقصود
[illegible] فان قلت فلا يكون في حكم تكرير العامل [illegible] في حكم تكرير العامل [illegible]
قال [illegible] الذين [illegible] في حكم تكرير العامل [illegible] الاتضاح [illegible]
تكرير العامل [illegible] البدل
[illegible] الجار والمجرور [illegible]
[illegible] التابع [illegible] الجار والمجرور [illegible] التأكيد [illegible]
اقسام التابع [illegible] البدل تابع مقصود بالنسبة
[illegible] المنسوب اليه [illegible] التوقف [illegible] التعلق [illegible]
[illegible] البدل مقصود [illegible] التعلق عصام

كما قال ـــــ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي
والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل
وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه
والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها
بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول
الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة
المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان
ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين
على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة
على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تأويلين
اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني
وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له
ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على
الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم
بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به
المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول
ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب ولا الضالين ولذلك جاز
انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير
الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما
بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب
عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا
ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من
وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة
والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه
والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على
لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن
عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين
لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ـــ ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال
امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله
عليه السلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب
وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام

قوله وفائدة التوكيد المقصود منه على طبق تصحيح الكشاف انه في حكم المبدل منه ولم يكف المبدل ويمكن
ان يحمل على قراءته انه اي من عن طلب الصراط المستقيم بطلب صراط الذين انعمت عليهم ولا ينفى
احد بالاضراب عن طلب الصراط المستقيم وقوله فائدة التوكيد بيان لفائدة الاتيان بما يرفع البدل الا ان على عكس
التاكيد المصطلح في ذلك لان ذكر التابع في التاكيد لتاكيده وذكر المتبوع في البدل لذلك وقوله والتنصيص بيان
للفائدة الخاصة بهذا الموقع وعدل عن لفظ الاشعار الواقع في الكشاف الى التنصيص لان الاشعار بالنظر الى فهم
القاصد لاصل المراد والتنصيص بالنظر الى فهم البليغ الذي هو يقصد اولا وبالذات [illegible] ولا بالنظر الى اصل المعنى
[illegible]
...
[illegible]
ما عدا ذلك [illegible] والله تعالى اعلم

طا ا ا المر الر الر الر الر الر كهيعص طه طسم طس طسم الر

الم غلب الم تلك الم تنزيل يس ص حم حم السجدة حم عسق حم الم حم حم

ق ن

وجهر به في الجهرية لما روى عن وائل بن حجر انه عليه السلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين
ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهود عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل
وانس والماموم يؤمن معه لقوله عليه السلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان
الملائكة تقول آمين فان الامام يقول امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم
من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل
في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع
المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة
البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في
الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم الم

وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في
حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه
صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلم قال من قرأ حرفا من كتاب
الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم
حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى
اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت
بها لتكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر
الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها
قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين
ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه
التي تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها
على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما
عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول
ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط
ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة
والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه
اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف
فيها حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف
انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه

وعن ابن عباس سألت رسول الله عم عن معناه فقال افعل لعدم الثقة بالدار واستجابة الدعاء وما روي عن علي ان النهي
ب الكف لا تطلب عدم الفعل والا لكان امين لا تفعل لان الطلب لا يمكن بعدم الفعل ولكن ان نعلم ان معنى امين استجب دعائي
فعل هذا الفعل اي المفعول داخل في معناه ولهذا قال ابن مالك انه لازم في معنى المتعدي قوله وقال امين قرأ ابنه ما بعدها
ا امين متعلق بما بعده ومدم لا نهام في طلب الاجابة واولى تباعد عن فعل الدعاء مسألة وروي ان لفظ القاموس ك...
تقدم قوله وقال انه كالختم على الكتاب بل هو خاتم الله يحفظ الدعاء عن عدم الوصول الى الله تعالى كان الختم منع الكتاب
من عدم الوصول الى المكتوب اليه لانه لا يطلع على الغير فيكتمه عن المكتوب اليه لمصلحة فيه ان تعالى يوجب الاعتداد بالدعاء كان الختم
العامي على الكتاب يوجب الاعتداد به قوله وفي معناه قول علي بل يمان وتفسير للحديث فانه كالختم للدعاء باعتبار دعائه
ويمكن ان يقال ان ادله في معنى الحديث قول عليه لان قول المصلي لما طلب الى معرفته الاجر الذي ختم في كوه الرجوع الى النبي عم
وان الامام يقول امين حال حالة اي الملائكة يقول امين حال كون الامام قائلا فلا يشكل انه لا يعلم وجه الفصل بين قوله
فمن وافق تامينه تامين الملائكة ورد ان الملائكة تقول امين لم نزل روي بالمذهب توجيه بان مثلها في نظر سوره...
الساميت من المضاف اليه ورد الشاني اي ما قال ارضي اي المضاف يكتفي الا غش في المضاف اليه اذا صح حذف المضاف
حذف المضاف واسناد الفعل الى المضاف اليه كما سقطت بعض اصابعه او يصح ان يقال سقطت اصابعه ومعناه
قوله قلت بلى يا رسول الله قال العلامة التفتازاني اي لا ادري من تقدير قال الى قلت يا رسول الله وقال المحقق الشريف بهذا
التقدير يصير المعنى قال لي في جوابه صلى الله عليه قلت رسول الله فقدر قال اي توجب زيادة قلت فالتقدير وعن ابي انه
قال قلت بلى فكانه لما ذكر انه روي عنه عم كذا اسال سائل ماذا روي عن ابي فاجاب بانه روي عنه انه قال قلت
لكنه اختصر في العبارة ونحن نقول لا حاجة الى التقدير لان الظاهر ان ابي بن كعب اخبر بقوله قلت بلى يا رسول الله شوقا
الى جوابه عم وان كان للمخاطب اما لغرض ان المخاطب له عم في مثل غير معين والالتفات مع الخطاب بعد العام ... والقرآن
العظيم عطف على الكتاب لان القرآن يطلق على الكل والجزء او ... القرآن ومحل تعاضد والحديث يدل على انه افضل سور القرآن لو كان بعد
نزول كل القرآن ثم هذا حديث صحيح وان حكم المحدثون على جميع الاحاديث المروية عن ابي في فضائل السور وكانهم عنوا وضع اكثرها وان
حكموا بالوضع لاعتراف راويها بالوضع احتسابا لما رأى اشتغال الناس بالاشعار وغيره الى حسيه وعن ذلك وعادة صاحب التفسير لزيادة
القرآن وحفظه وعادة المفسرين ان يوردوا الفضائل في اوائل السور ولكن حثا على مطالعة ...
اورد بها في اواخر السور لانها اوصاف للسور ووصف الشيء بعده ويمكن ان يقال ... على طبق ما جاء
به النبي عم فانه كان يبلغ القرآن ثم يثني على فضله قوله لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته فان قلت ما ...
قلت لا يجوز ان يحيط ... الحديث بيان انه يحفظ الله تعالى قارئها عن الاحاطة ...
منها فيكون التقدير لن تقرأ حرفا من واحد منهما الا اعطيت ثواب الجمع ولا يبعد ان يكون التعبير عنهما بنورين لكونهما موجب
النور ويكون ضمير اعطيته للنور قوله ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا يدل على ان القضاء المبرم الا ان يراد بالمقضي
المقضي على تقدير عدم قراءة صبي من صبيانهم ... قوله حتما مقضيا ... بنو نوادر ... والكتاب
كرمان المكتب جمعه كتاتيب وجمع كاتب كذا في القاموس وفي تحرير الشريف على الكشاف خطاء المراد ... الكتب ورد
من اللبث نقلا بان اطلاق الكتاب على المكتب ... او مجاز في المحل قوله وسائر الالفاظ التي يتهجى بها
في القاموس الهجاء تقطيع اللفظة بحروفها وفي الاساس الهجاء تعديد الحروف ... تقطع الكلم بحروفها شبهها
بلا احتياج الى التجريد عن بعض المعنى او اعتبار زيادة في المعنى ... السيد ادعى ان التهجي
تعديد الحروف ... ولا يتكلف سنده في ذلك ... ان الالفاظ يعادل
بالحروف ... فان المراد غير معدودة باسمائها الاغير معدودة مطلقا ... ما يقاوم
اللغة ... بحذف المعلق بقرينة المقام قوله مسمياتها الحروف التي
منها الكلم يريد بالمبسوطة ... عبارة الكشاف وهي مسمياتها الحروف المبسوطة التي ركبت منها الكلم يريد بالمبسوطة
المنشورة ... حذف للمبسوطة ... الكلم عنه ... المبسوطة ...
... المبسوطة ... الحروف عبارة ... الكلم ...
جزء الكلم ... الدعوى ... الاستدلال
بقوله لدخولها في حد الاسم على تجرد دعوى الاسمية ... الجامع المانع لكونه ... المعرف ...
على ان كل داخل فيه من المحدود ... كونه حدا يتوقف على معرفة ان هذه الالفاظ داخلة فيها ...
الا ان يقال كون حد الاسم حدا يعرف باجماع النحاة على كونه حدا ... قوله
واعتوار ما يخص فيه ان كون هذه الامور الجارية على هذه الالفاظ الحقيقة الاسم موقوف على معرفة ان هذه الالفاظ اسماء فكيف
يستدل به عليه قلت الاختصاص مجمع عليه ... الالفاظ ...
الى الكلمات ... الاسم ... ذلك ...
مشتركا بين الاسم والفعل ... المقصود ... الكشاف ...
الدعوى ... الاسم مطلقا قوله ... على ...
سموه ... الاجمال قوله ... فما روى ابن مسعود ... الكشاف ... ابن مسعود ...
معارضا لما ... ما رواه ابن مسعود عن النبي عم ... الكشاف معارضا ...
اسم الحرف عليها لانه ... عن مشكاة النبوة وما صدر عن ... الاسم ...
كون الحرف في عبارته عم بهذا المعنى لم ... الكشاف قوله ... ولكنه ...
اي كان في ... بعضها

قوله ان لم يعد معها الالف حرفا برأسها بل عد مع الهمزة حرفا وسمى الكل بالالف وفيه ان الهمزة اسم محدث
برأسها ايضا فلا تسمى الهمزة في زمان نزول القرآن فالواقع في فواتح السور [illegible]
اراد ان المذكور في فواتح السور نصف اسامي الحروف [illegible] على كل [illegible] ويمكن ان [illegible] الالف
وعشرين اسما ومبنى التسمية على التوسع وعدم التحقيق وعدم [illegible] حروف المعجم ان لم يعد معها الالف حرفا برأسها كما هو مقتضى الاقتصار على [illegible]
التحقيق وللتميز من الامور التي [illegible] الى ان تعادت من الهمزة والالف [illegible]
[illegible] الالف [illegible] واحد [illegible] الاسم للالف خاصة [illegible]
[illegible] على انصاف انواعها [illegible]
والاجناس [illegible] عن الاجناس في عبارة الكشاف [illegible] والاشتمال على انصاف الانواع باعتبار الاكثر
[illegible] على تمام النوع [illegible] الغنة [illegible] والنون الساكنة وحرف التكرير وهو الراء [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] حروف الحلقية التي هي كثرة الوقوع في الكلام ولما ذكر من حروف القلقلة التي هي [illegible] الاستعمال اكثرها
بالترك في مقابلها حيث ذكر من [illegible] حروف الذلاقة [illegible]
علان ولم يذكره ولا في الصحاح [illegible] وفي القاموس [illegible] هذا هو المشهور وفي القاموس [illegible]
[illegible] اي [illegible] بلا مفتاح [illegible] من غير مفتاح ولا يبعد ان يكون
قوله ولما كانت الحروف [illegible] اعلم ان ما عدا المغنية [illegible] في المفصل الذلاقة الاعتماد على ذلق اللسان [illegible]
[illegible] من حروف الذلاقة [illegible]
ذلق اللسان [illegible]
اللسان [illegible] القاموس والصحاح [illegible] حروف الذلاقة ان الذلاقة [illegible]
[illegible] طرف اللسان [illegible] حروف الذلاقة [illegible] ذلق اللسان [illegible]
[illegible]
[illegible] احرف [illegible] اربع منها النصف على
[illegible] قوله [illegible]
احرف فيها ذكر [illegible] والالف واحدا [illegible]
كلمات هي اكثر استعمالا [illegible] الفصاحة [illegible]
استعمالا [illegible] البلاغة [illegible] العوان
من القلقلة [illegible] الاكثر استعمالا [illegible]
[illegible] والمغارب والنصف الاول
[illegible] الحلقية [illegible] كثرة الوقوع في الكلام [illegible] اكثر استعمالا [illegible]
اراد السبعة من الحروف الزوائد قوله [illegible] اكثر استعمالا من كل نوع ذلك [illegible]
في الاقسام الثلاثة [illegible] واما ذكرها في ثلاث سور [illegible]
انه يكون [illegible] والا [illegible] قوله [illegible]
[illegible]
قوله في تسع سور من الكتاب [illegible] الاربع [illegible]
السفع والوتر [illegible]
كل منها في طرف [illegible]
[illegible] قوله [illegible]
[illegible] الثلاثة [illegible] الاسم والفعل والحرف [illegible]
من [illegible] الحرف ولا يبعد [illegible]
[illegible] اثنا عشر [illegible] احدى عشر [illegible] كثرة الاستعمال
[illegible] قوله [illegible]
[illegible] السفر قوله [illegible] على السور [illegible]
الكلمات اذ لا يجتمع في [illegible] على الكلمات [illegible] الحروف [illegible]
الكلمات في نظم القرآن [illegible] الحروف [illegible]
[illegible] في المبتدأ من السور التي اورد فيها تلك الحروف النون في
نهاية تلك السور [illegible]

[illegible]

نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع أمر
ومن الشديدة الثمانية المجموعة في أجدت طبقك اربعة يجمعها أقطك ومن البواقي الرخوة
عشرة يجمعها خمس على بعضه ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء
نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها
ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية
وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء
والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل
وهي احد عشر على ما ذكر سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها أجدت طويت منها السنة
الشائعة المشهورة التي يجمعها أهطمين وقد زاد بعضهم سبعة أخرى وهي اللام في
أصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في جدف والعين في أعن والباء في
مروع الدلو والكاف في امتك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها الستة
المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء
والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والظاء والثاء والزاي
والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيها وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف
والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة
التي لا تدغم فيما قاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها
ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل
والحلقية التي هي الحاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر
ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشر التي يجمعها
اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت
الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية
ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة
ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد
في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف
كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن ومع حذف كدم في اربع سور لوقوعها
في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال
قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وذكر ثلاثيات لمجيئها في
الاقسام الثلثة في ثلث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر
عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما
اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم يعد باجمعها
في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة

فانه لا يتيسر ... المراد طلبا للمعرفة او اداء العبادات فتدبر

فيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء
السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن
وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة
كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا
وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها
او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في
لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تع
بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه
والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها
اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس
انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها
الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله
واللام من جبرئل على محمد عليهما السلم او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية
متمسكا بما روي انه عليه السلم لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا
كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها نأخذ
فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك
وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى
العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما
بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء
السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر
عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم
متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على
الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان
لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ
واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل
بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني
دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه
لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى
اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما
واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه

بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من أسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة
والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه
الأول أقرب إلى التحقيق وأوفق للطائف التنزيل وأسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك
في الأعلام من واضع واحد فإنه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل إنها أسماء
القرآن ولذلك أخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل إنها أسماء الله تعالى ويدل عليه أن
عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله أراد يا منزلهما وقيل الألف
من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة
وهي آخرها جمع بينها إيماء بأن العبد ينبغي أن يكون أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله
تعالى وقيل إنه سر استأثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الأربعة وغيرهم
من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله ورسوله ورموز لم يقصد
بها إفهام غيره إذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فإن جعلتها اسما لله تعالى أو القرآن
أو السور كان لها حظ من الإعراب إما الرفع على الابتداء أو الخبر أو النصب بتقدير فعل القسم
على طريقة الله لأفعلن بالنصب أو غيره كاذكر أو الجر على إضمار حرف القسم ويتأتى
الإعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة أو موازنة لمفرد كحم فإنها كهابيل والحكاية
ليست إلا فيما عدا ذلك وسيعود إليك ذكره مفصلا إن شاء الله تعالى وإن أبقيتها
على معانيها فإن قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء أو الخبر
على ما مر وإن جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا أو مجرورا على اللغتين
في الله لأفعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وإن جعلتها أبعاض كلمات أو
أصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الإعراب كالجمل المبتدأة و
المفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام إذا قدرت بحيث لا تحتاج إلى ما بعدها
وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين وأما عندهم فألم في مواقعها والمص وكهيعص
وطه وطسم وحم وطس آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف
لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك إشارة إلى الم إن أول بالمؤلف من هذه الحروف
أو فسر بالسورة أو القرآن فإنه لما تكلم به وتقضى أو وصل من أشير إليه بما يشار به إلى البعيد
المرسل إلى المرسل إليه صار متباعدا وتذكيره متى أريد بالم السورة لتذكير الكتاب فإنه
خبره أو صفته الذي هو هو أو إلى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود إنزاله
نحو قوله تعالى إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا أو في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به
المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل
أن يكتب لأنه مما يكتب وأصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه
أنه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا
بالغا حد الإعجاز لا أن أحدا لا يرتاب فيه ألا ترى إلى قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما

نزلنا على عبدنا الآية فإنه ما أبعد عنهم الريب بل عرّفهم الطريق المزيح له وهو أن
يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى إذا عجزوا عنها تحقق
لهم أن ليس فيها مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين
وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي وفيه والريب في
الأصل مصدر رابني الشيء إذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك
لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشك
ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه (هدى للمتقين) يهديهم إلى
الحق والهدى في الأصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة
إلى البغية لأنه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى لعلى هدى أو في ضلال مبين ولأنه
لا يقال مهدي إلا لمن اهتدى إلى البغية واختصاصه بالمتقين لأنهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه
وإن كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم أو كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس
أو لأنه لا ينتفع بالتأمل فيه إلا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر
في المعجزات وتعرف النبوات لأنه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فإنه لا يجلب نفعا ما لم
تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين إلا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن
بيان والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع
اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الأولى التوقي عن العذاب المخلد
بالتبرؤ عن الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل
ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو
المعني بقوله ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن
الحق ويتبتل إليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله اتقوا الله حق تقاته
وقد فسر قوله هدى للمتقين ههنا على الأوجه الثلاثة والآية تحتمل أوجها من الإعراب
أن يكون الم مبتدأ على أنه اسم القرآن أو السورة أو مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وإن كان
أخص من المؤلف مطلقا والأصل أن الأخص لا يحمل على الأعم لأن المراد به المؤلف الكامل في
تأليفه البالغ أقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وأن يكون
الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا أو بدلا والكتاب صفته وريب في المشهورة مبني
لتضمنه معنى من منصوب المحل بلا النافية للجنس العاملة عمل إن لأنها نقيضتها ولازمة للأسماء
لزومها وفي قراءة أبي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى
لا فيها غول لأنه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة أو صفته
وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال أو الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب
على أن فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وأن يكون

10

ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى أنه الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمى كتابا أو صفته
وما بعده خبره والجملة خبر الم والأولى أن يقال إنها أربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها
السابقة فالم جملة دلت على أن المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك
الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم جعل كماله بنفي
الريب فيه لأنه لا كمال أعلى مما للحق واليقين ثم أكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بأنه هدى
للمتقين أو تستتبع السابقة منها اللاحقة أو تستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل
للمدلول وبيانه أنه لما نبه أولا على إعجاز المتحدى به من حيث إنه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن
معارضته استنتج منه أنه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك أن لا يتشبث الريب
بأطرافه إذ لا أنقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك لا محالة هدى للمتقين وفي كل
واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الأولى الحذف والرمز إلى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة
التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن إيهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر
للمبالغة وإيراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف
للتقوى متقيا إيجازا وتفخيما لشأنه (الذين يؤمنون بالغيب) إما موصول بالمتقين على أنه
صفة مجرورة مقيدة له إن فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية
والتصوير على التصقيل أو موضحة إن فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على
ما هو أصل الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان والصلوة والصدقة فإنها أمهات الأعمال
النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا
ألا ترى إلى قوله تعالى إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين
والزكوة قنطرة الإسلام أو مادحة بما تضمنه وتخصيص الإيمان بالغيب وإقام الصلوة وإيتاء
الزكوة بالذكر إظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى أو على أنه مدح منصوب أو
مرفوع بتقدير أعني أو هم الذين وإما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره أولئك على هدى
فيكون الوقف على المتقين تاما والإيمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الأمن كأن
المصدق أمّن المصدّق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق
بمعنى الوثوق من حيث إن الواثق صار ذا أمن ومنه ما آمنت أن أجد صحابة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب وأما في الشرع فهو التصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد عليه
السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل
بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل
بالإقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الإيمان
غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على أنه التصديق وحده أنه سبحانه أضاف الإيمان
إلى القلب فقال كتب في قلوبهم الإيمان وقلبه مطمئن بالإيمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الإيمان
في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وإن طائفتان من

المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل
وهو متعين للارادة في الاية المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق
القلبي هل هو كاف ام لا بد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى
ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر
وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض
والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة
العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في الاية
هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب
كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا
قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي عن ابن مسعود قال والذي
لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى
يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني
للمصاحبة وعلى الثالث للالة **ويقيمون الصلوة** اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ
في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها
اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ
عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كان كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون
لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد
او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود
والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح
من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال
بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين
الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو
على لفظ المفخم وسمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي
يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في
نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق
في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان
للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به
وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون
الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل
ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والذم لتحريم

11 B

هدى للمتقين يهديهم الى الحق شبه بقوله بعد بعثهم الى الحق ان هدى كثار عن الهادي حمل الهادي بالطلاقة المستمرة المتعددة على انا نبدو لم
مثل الهداية واكثر كونه مجازا بعد ان كونه مصدر الهدى الى الاصل كمصدر قوله لانه حمل مقابل الضلالة في قوله تعالى تعلى هدى او في ضلال مبين اي حمل
عليه ان المقابل للضلال الهدى اللازم الذي بمعنى الاهتداء لا الهدى بمعنى الدلالة واجيب بانه لا فرق بين اللازم والمتعدي الا
بان اللازم اثره والمتعدي حمل في مقابله باشتراك اللازم مطاوعه بمعنى قوله لانه حمل لان الهدى اللازم المطاوع للهدى
المتعدي حمل في مقابلة الضلالة فهي العبارة استخدام ولما كان مبنى هذا الاشبه لا على المطاوع ترك دليل المطاوعة الذي
ذكره الكشاف مع هذا الدليل حيث قال ولان اهتدى مطاوع هدى ولكن تكون المطاوع في خلاف اصل منهما على ان للادلة
الثلاثة للكشاف عند المحقق دليلان ونتيجة ايضا ان المقابل للهدى هو الضلال المبين فيحتمل ان يحمل الضلال العدم المبين
وهو عدم الوصول مع الدلالة داخلا تحت الهدى فالاقوى في بيان الوضع في المقابلة ما ذكره الكشاف حيث حمل في مقابلة
الضلالة في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى هو الا دون بالضلالة وبما ذكره جعل الضلالة في مقابلة
الهدى قوله ولانه لا يقال مهدي عدل عنه شارح الكشاف حيث قال ولا يقال مهدي في موضع المدح كمهتد لانه اذا ورد
عليه ان المهدي ايضا شرع لان التمكن من الوصول ايضا مدح كالوصول واجيب بان عدم الوصول مع التمكن بعينه
يذم بها لعدم تمكن ان كتاب عنه بان الكشاف سوى منهما في المدح ولو لم يعتبر الوصول فيه تكون في المدح دون مهتد ولانه
يرد عليه ان مقام المدح قرينة على ارادة الوصول والتجوز به عن الوصول لكن عدم اطلاق المهدي الا على المهتدي
وبالجملة بعدم صفو الادعى كد المناقب وتكرها معارضة بقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
وحاصله عدم اعتبار الوصول في معنى الدلالة بان الاصل هو العدم ولا يحتاج الى دليل بخلاف الوجود ورجح كونه
الدلالة المطلقة قوله واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه دفع بهذا التخصيص مع انه يعم
الكافر والمتقي لان القران نزل لارشاد كل عاقل ولا يخفى انه يعرض لوجه تخصيص لم لا محالة والا يعطي بعض العادر لزم
التخصيص بعض المتقين وهو بتقدير ان يكون المتقين موصوفا بما يعم وجه التخصيص ان هدايته بالغة الى ان يستحق ان
يسمى نفس الهدى مختصة بالمتقين المخصوصين ويمكن ان يحمل هذا الوجه وجها للتخصيص بطلب النفي لانه اول لا هدى الا الى التوحيد
فادل اضاف المخاطب به موحدا ينفع عليه ابواب هدايات القران حتى انه يراه نفس الهداية ولم يتعرض لما اورده الكشاف
من انه كيف يكون هدى للمتقين وهم مهتدون وتوجيهه ان هدايته المتقي على تقدير ان يعتبر فيها الاتصال تحصيل الحاصل وعلى
تقدير ان لا يعتبر فيها وذلك لغو لانه لا يتكفل دفعه حمل المتقي على ثلاث مراتب فلا يزال الهداية لا يرفعه عن جنبه
من التقوى الى اخرى لعم في المرتبة الثالثة تحتاج الى دفع الشبهة فالشبهة لا يتوجه على النظم مطلقا بل على تعبيره بالوجه
الثالث من معنى التقوى فاشار الى دفعه احتراسا انه من المشارف للتقوى مسك قوله ولانه لا ينتفع به الا
من صقل العقل اي جلا العقل وجعله مجلوة عن غبار الغفلة والتردد قوله هذا وجه بان تخصيص الانتفاع بالمتقي
فالوجه الاول يعني لا لانتفاع بغيبه ولوفيه كونه هو الذي في الانتفاع بالتامل فيه وترك خطاياه وقوله وعلى
هذا قوله لشبهه ان يكون مرتد النفوذ جهين قوله لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه كالدواء النافع لشفاء
دفع المرض كما يدل عليه قوله تعالى ما هو شفاء فلينتفع به الكافر لدفع مرض الكفر والاقرب الى تمثيل الهداية انه
كالمنير الى الطريق فلا ينتفع باشارته الا من كان ذا عين واما الاعمى فلا يبصره فلم تتنور بصيرته بنور الايمان
الا انه راعى مناسبة كلامه بما اورده من الاية الكريمة ولما ذكرنا ايضا مناسبة فرق ذلك كما قيل لا يسمع الصم او
يهدي العمي وقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يرجعون قوله فلم ينفك عن شأن هذا على مذهب الشافعي فانهم ذهبوا
الى ان المتشابهات يعلمها الراسخون في العلم واما عند الحنفية لا يعلمها الا الله فوجه الهداية فيها انها يهدي
الى ان له اسرار تستند بها ولا يعرفها احد قوله وهو في عرف الشرع لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة فان قلت
كيف يندرج صاحب المرتبة الاولى فيمن تفرط في صيانة نفسه عما يضره في الاخرة فيبقى ان يقال كمن يعود لنفسه
حتى يندرج فيه قلت الخروج عن المقاصد الدينية وترك قلة الالباب والاعراض تخطاهم وحسبهم كما كان
في مبادئ الاسلام قوله ويقبل الله لشراشره البتل التقطع والشراشر بمجتمعين كمكسورين وهملهبين اولها
ساكنة القطعة التي كالمادة والتقطع الى الله قوله وهو التقوى الحقيقي المعدود واتقوا الله حق
تقاته حمل التقوى منحصرا فيه ان المعرف والمعارف يشمل عنده مبالغة بجعل غيره في جنبه كالعدم الماكونه المط
بتوكيده فاتقوا الله حق تقاته كل تحت لان الظاهر من الامر الوجوب ونسخ بهذا امر واجبات الشرع والا
لم يمكن تاركه محتاجا عنها لو لم فلا يكون له المرتبة الثالثة التقوى قوله وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الوجه
الثالث الاولى التفسير كما يتوهم لا يحمل على الاعم لا يندفع هذا ما ذكر من ان المراد الموحد الكامل البالغ اقصى درجات
الاجماعه لانه مع ذلك اعم من ذلك الكتاب على ان المقصود من التقدير ان المهدي به من حيث كلامهم وذلك
يستدعي الا وصفه بالترك من حيث كلمهم قد ذكرنا في الاوصاف لم ذا لم يجعل ذلك الكتاب مبتدا خبره

الم لئلا يلزم تقدم الخبر المعرف مع انه غير جائز على ما اشتهر في كتب النحو لكن قد حقق ان الاليق بالخبرية مع ان
يحمل خبرا او لا يخفى ان الاليق بالمقام الاخبار عن ذلك الكتاب بالمؤلف من جنس الحروف على انه يمكن ان
يجعل اي مؤلفا من الحروف ذلك الكتاب فلا يكون حاليا [illegible] تقدمه قوله لانها تقتضيها ولا
لا [illegible] عمل لا على ان يجامع التضاد والشابه فهو من حمل النقيض على النقيض وحمل النظير على النظير
وقد ذكر كلاهما في النحو الا انه جعل كونهما نظيرين لاشتراكهما في التحقيق فان لتحقيق الاثبات وهي لتحقيق النفي
[illegible] كذا في بعض حواشي الكشاف [illegible] وفيه خبره اي خبر لا والنون
[illegible] خبر الريب والاول هو الموافق للمشهور [illegible] ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول على ما هو المقصود
ليس نفي الريب بل نفي كونه متعلقا للريب [illegible] ان الاهم هو الظرف فكان ينبغي ان يقدم فاجاب بانه
لم يقصد تخصيص نفي الريب [illegible] سائر الكتب [illegible] هذا المعنى [illegible]
النزاع [illegible] الريب [illegible] لو كان منشأ السؤال [illegible] لان المقصود نفي كونه متعلقا للريب
لم يكن [illegible] لقوله تعالى لا فيها غول معنى وان الاتمة اذا [illegible] التقديم لا [illegible] بعد التخصيص الغير
المناسب للمقام والاوجه [illegible] على ان تفاوت [illegible] الكتب البليغة مع تجانسها لاعتبارات فلا يمكن في
[illegible] التفاوت في النظر [illegible] لا ريب فيه ولا فيها غول مع [illegible] وذلك مبني على التفاوت
بين القصدين في المقامين والمقصود [illegible] في معرفة الدقائق [illegible]
[illegible] لا ريب فيه [illegible] التحريم [illegible]
اذا فصل بين [illegible] لا النفي [illegible] والتكرير [illegible]
[illegible] هذا الكلام في قراءة [illegible] الكشاف ذكره في القراءة المشهورة [illegible]
كلام [illegible] العوائس [illegible] على ان فيه [illegible]
[illegible] بالخبر [illegible] الكتاب او لا ريب فيه
على ان الكتاب الكامل الذي [illegible]
[illegible]
[illegible] الكتاب [illegible]
[illegible]
[illegible] الكتاب [illegible] الكمال [illegible]
[illegible] الكشاف [illegible]
في [illegible] الكتب الالهية [illegible]
[illegible] الكشاف [illegible] الكتاب [illegible] الجنس والعهد
اشارة الى الكتاب الموعود [illegible] الكتب المتقدمة [illegible]
احتمال كونه [illegible] المعنى الفصل
[illegible] الكشاف [illegible] الم [illegible] الحروف [illegible]
[illegible] الفصل [illegible] العطف
[illegible] العطف [illegible]
[illegible] الكتاب لا ريب فيه [illegible]
[illegible] الرسل
[illegible] لا ريب [illegible]
[illegible] هدى [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] ذلك الكتاب [illegible]
[illegible] ذلك الكتاب [illegible] سائر الكتب والكتب الالهية
[illegible] التحدي [illegible]
[illegible] الضلالة
[illegible] لاهل التقوى [illegible]

11

ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام
في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان
ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس
كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان
ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج
والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره
بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم
المفعول للاهتمام به او المحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن
الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي آتاهم الله من النعم الظاهرة و
الباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال
ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون. والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون
بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن
شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على
المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم
الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة
في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان
بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق
اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم
مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم
وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة
لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه
من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه عليه والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن آخرها
وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة
الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن
الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين
وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه
على كل احد يوجب الحرج وتشوش المعاش. وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه
ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة
وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق

مصادر عن ايقان والايقان اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك
لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار
بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى مؤسى
وجعدة اذ اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد
الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك
فأجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها وكأنه نتيجة
الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا
بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان
فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان
يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم
على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى
واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى
واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب
من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكأنه اريد به
ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى
على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون
في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها
على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف
في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف
قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة
والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف
وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالجيم الفائز بالمطلوب
كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو
فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين
وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد
من وجوه شتى وبناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره
وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد
تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب

وردّ بأن المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح
له رأساً إن الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والفلاح
عقبهم أضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم
على قصة المؤمنين كما عطف في قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فإن الأولى
سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وإنّ من الحروف
التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في
دخولها على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذاناً بأنه فرع في
العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعاً بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع
قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف وأجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد
لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة
وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الأجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك
عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً إنا مكنا له في الأرض وقال موسى يا فرعون إني
رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه وإن عبد
الله قائم جواب سائل عن قيامه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول
إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود
أو للجنس متناولاً من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما أسند إليه وهو سواء
عليهم والكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام
الثمرة كافور وفي الشرع إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار
ونحوهما كفراً لأنها تدل على التكذيب فإن من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجترئ
عليها ظاهراً لا لأنها كفر في أنفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه
لاستدعائه سابقة المخبر عنه وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام
كما في العلم سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم خبر إن وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما
بالمصادر قال تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بأنه خبر إن وما بعده مرتفع به على الفاعلية
كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه أو بأنه خبر لما بعده بمعنى إنذارك وعدمه
سيان عليهم والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ما وضع له أما لو أطلق وأريد به
اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه لقوله
تعالى وإذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وإنما
عدل ههنا عن المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد وحسن دخول الهمزة وأم
عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت
حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة والإنذار
التخويف من عقاب الله وإنما اقتصر عليه دون البشارة لأنه أوقع في القلب وأشد تأثيراً في النفس

من حيث ان دفع الضر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ
ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه
يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية
بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة
لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض
بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم
لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون
فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام
لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه
لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم
بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم
ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار
بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه
والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم
ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب
الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم
عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها
مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين
المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما
وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع
بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء
في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة
بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم
وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة
عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق
وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد
به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها
ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة

فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى
المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى
الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم
وفيه اشعار على ترامي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما
كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما
واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي
لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما السابع ان
المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج
كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم
لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب
جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص
بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على
شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه
مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر
وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية
العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة
كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتهما مع الصاد لان الراء المكسورة
تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند
الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة
او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وبالضم والرفع
وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة
بالعين المهملة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى
تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك
سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن
المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض
والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير
ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه
ومعنى التنكير في الآيتين ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات
ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله
وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا

لعنه وراسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا
به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم
وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان
وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد
يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال
في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون
ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد
فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد
بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار
المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا تأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس
انما تتنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص
الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء
بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون
انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون
بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا
يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وغيرها ويرون المؤمنين
انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه
لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد
قالوه تموهيا على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة
والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه
باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او
الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة وما هم
بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح
بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد
المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان
على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل
على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه
بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني
فلا ينتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين امنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه

قوله وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا والعهد كما يكون بلفظ سبق يكون بلفظ مخالف له ومثل له الكشاف بقولك مرت بني فلان فلم يوجد في القوم لئام
الا الاستهزاء امره جعل القاضي عنه ارادة العهد ما به غلب الكشاف من ان استعمال القرآن وكذا والقرآن بعضه يفسر بعضا والوارد المنكر
١٦٨ بعد ارادة الجنس قوله تعالى ومن المؤمنين رجال والوارد المعرف بعد ارادة العهد قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ووجه البلاغة فيه قبل موعابه
المناسبة لان التنكير يناسب الجنس المبهم والتعريف العهد المعين وقيل ان التعبير عن الكل بالجنس يقتضي انه لا معرفة للمتكلم بالكل الا وصف
الجنس والمعرفة بوصف الجنس لا يستلزم معرفة البعض بعينه فاراد المعين بعد التعبير كاملا ولا يخلو عن بعد والمراد بعينه والتعبير بالجنس
بعينه عنه ويلا فاراده مبهما كانه يرد عليه ان بعد تحقيق هذا القول وتنقيحه لا يتجه ما ذكره العلامة التفتازاني من ان هذا الوجه بعد التنكير انما هو
بما ذكرنا من المناسبة والا فلا امتناع في ان يعبر عن المعين بلفظ المنكر لعدم القصد الى تعيينه وان تعين بعض الجنس الشايع فيعبر عنه
بالمعرفة وقيل الاخبار عن المبهم بكونه من الجنس مفيد بخلاف الاخبار عن المعين فان معرفة المعين قلما تنفك عن معرفة انه من الجنس وذكر
البعض من المعهود معينا حسن لانه زيادة تعريف له بخلاف ذكره نكرة لانه تنكير لما يعرفه كل المعرفة ولا يستحسن ذلك من العارف الا اذا كان
في تنكيره داع كستر عليه ويمكن ان يقال المقصود بجعل البعض من الجنس جعله مبهما او نزوله منزلة ما لا يعين له لينزل عن درجة التعيين وسقوطه عنها فلا
يناسب تعينه وجعله من المعينين المعهودين لاقتضاء المقام تعينه فلا يناسب المقام ذكره مبهما قوله فعلى هذا تكون الاية تقسيما لقسم الثاني ولما تقدم من كلام الكشاف
ان هذا التوجيه بعد تحقيق تثليث القسمة لا تثبت القسمة بجعل الذين كفروا للاجنبين للكفر فلا يصح جعل المنافقين منهم او توجيه له بان قوله ويجوز ان يكون للعهد
بعد قوله ولام التعريف فيه للجنس ولما كان من تتمة تثليث القسمة بل قوله ويجوز ان يكون للعهد عدل لتثليث القسمة
وقوله لام التعريف للجنس من تتمة تثليث القسمة والحق معه وان لم ينبه له شراح الكشاف بعد وتكلفوا لتصحيح كلام الكشاف بالم من ان يلغى
عليك شباهة فان كنت حريصا فطالع ما ذكروا فيما سطروا قوله واختصاص الايمان بالله واليوم الاخر اي فائدة اختصاص الايمان بالله واليوم الاخر
بالذكر او سببه تخصيص ما ذكر بعد اوجه الاخيران مبنيان على كون مقولهم منقولا بالمعنى ويكون العبارة غير محكية والاول يحتمل التقديرين لانه مبني على كون العبارة
منقوله محكية وعلى تقدير كونها غير محكية منهم والثاني مبني على تقدير كونها محكية لان الادعاء منهم ولا يخفى انه ينبغي ان يكون او ابدال باب الجهتين
الاخيرين لا يجامعانه بوجه وجعل الايمان بالله واليوم الاخر حاويا للايمان انما يصح لو كان اليوم الاخر اخرا لكان الايمان وليس كذلك لان اخر اركانه البعث
بعد الموت كما ذكر في الحديث واشتهر في تفصيل الايمان وجه كونهم منافقين فيما يظنون انهم مخلصون فيه ان النفاق هو اظهار الايمان وابطان
الكفر وهم يظنون انهم في دعوى الايمان بالله وباليوم الاخر ليسوا منافقين لانه طبق في اعتقاد المؤمنين لانهم يؤمنون بهما مع انهم في هذا القول منافقون
لان ما يظهرونه الموافقة مع المؤمنين في الاعتقاد وهم مخالفون لكن هذا انما يتم لو لم يعدوا ان اعتقادهم بالله وباليوم الاخر يخالف اعتقاد المؤمنين والا
محال لظنهم انهم مخلصون فيه غير قاصدين النفاق وثم وجه خامس للتخصيص وهو انهم ادعوا دينهم وهو الايمان بالله وفي الايمان باليوم الاخر وسبق في
دعوى انهم امنوا بالله وباليوم الاخر وبيان انهم حدث ايمانهم بهما اعتراف بانهم على ما اعتقدوا سابقا لم يكونوا مؤمنين بهما فيه كمال المبالغة في
تزايد بهم واعترفوا بانهم كانوا على الضلال ولا يصح منهم دعوى حدوث الايمان بسائر الكتب والملائكة والقدر والبعث بعد الموت لانهم كانوا مؤمنين بها
سابقا وليس يصح دعوى حدوث الايمان بالقرآن وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انهم كانوا على الباطل في دينهم ولنا ان نقول لا تخصيص في الاية لان قوله
بالله وباليوم الاخر كما ذكر لا يقول الا ظاهر في كونه صفة الايمان وجعل القسم لسعة دائرته به المباعدة عن العدول عن الجادة بلا داع لا تعدل الا ان لا
ينفعه في بابها ولا بد من تضمين الاعتراف كما سبق على انه قد صرح بكون الباء للسببية والمصاحبة وصرفه عن كونه صفة الايمان ولا يجعل قوله
وما هم بمؤمنين منقطعا فاصدون اي ما امنوا وما هم بمؤمنين بل يصح ان يكون بالله وباليوم الاخر قسما من الله تعالى ويكون جوابه ما امنوا وما هم بمؤمنين
قوله من وقت الحشر الى ما لا يتناهى من وقت الحشر وقوله لانه اخر الايام المحدودة كيف ينفعل بالترجيح الثاني لان وجه وصفه بالاخر عليه
خفي دون وجهه على الترجيح الاول فانه على الاول ليس بعده وبيان بخلافه على الثاني ويعني كونه اخر الايام المحدودة انه لا يجد الوقت بعده ولا يخفى ان الانسب
الانسب باطلاق اليوم عليه لان اليوم اسم لمحدود قوله ما انتحلوا اثباته انتحال الشخص ادعاؤه للغير لنفسه والمراد ادعاؤهم ما ليس لهم قوله وكان اصله وما
امنوا هذا اذا كان لنفي ما افاده قولهم امنا والظاهر انه لنفي ما افاده تكرار قولهم امنا واستمرار المستفاد من قوله تعالى يقولون امنا فيفي حالهم الا ادام ان
فالمطابق له ما يفيد نفي جميع دعاويهم وهو استمرار عدم ايمانهم المستفاد من قوله وما هم بمؤمنين قوله ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون
الفاعل يعني قولهم امنا يفيد الاهتمام بشان الفعل والنظر الى تحقيقه وكشف حاله وكون النظر على الفاعل لاجله وقوله وما هم بمؤمنين يفيد
الاهتمام بشان الفاعل وكون النظر الى الفعل منعطفا وهذا هو الذي ذكره الكشاف والجواب عنه ان الظاهر من تقديم الفاعل والايلاء حرف
النفي ما ذكرت لكنه قد يستعمل للكناية عن نفي الفعل مبالغة في نفيه والمقصود هنا ذلك وهو الذي ذكره الكشاف حيث قال العقد الى انكار
ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق الاداء الى الغرض المطلوب فيه من التاكيد والمبالغة ما ليس في غيره فما افاده قوله لكنه عكس اي صرح بشان
كما ينبغي بل ينبغي ان يقال هو ايضا بشان الفعل فما بدا انه عكس تحقيقا تاكيدا ومبالغة في نفي ما ادعوا ووجه المبالغة على ما ذكره
الشريف في حواشي الكشاف ان فيه سلوك طريق الكناية ابلغ من التصريح كما تقرر والاوجه ان كونهم خارجين عن عداد المؤمنين
يجعل دعواهم بعيدة عن ساحة الصدق بمراحل لا يمكن قطعها ويجعل كذبها معاينا مشاهدا ومن تكلف العدول عن قوله وما امنوا الى قوله وما هم
بمؤمنين لكمال تميزهم عن المؤمنين فانهم ايضا يقولون امنا وما امنوا قبل هذا القول قوله ولذلك اكد النفي بالباء اي لان
القصد الى المبالغة في نفي الايمان عنهم اكد المنفي بالباء قوله على الايمان الظاهر استئناف يرد عليه بيان الكشاف ويحتمل
من متعلقا وذكر كذلك قوله ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه تحقيقا للتقييد بل الاطلاق ايضا لانه جوابه

لان التقييد في قوله آمنا بالله وباليوم الآخر ان لم يكن على سبيل الحكاية كان للمبالغة في نفاقهم وبيان انهم منافقون فيما يظن بهم الصدق فكيف
في غيره فمقتضى النظم هو الاقتصار على نفيه وكذا اذا كان على سبيل الحكاية وكان تعقيبه بنفي الايمان بالله واليوم الآخر للتخصيص المقصود واما
اذ كان ادعاؤهم بانهم اختاروا الايمان من جانبيه وحصل لهم جميع اجزاء الايمان فالتقييد ليس بقيد بل مبالغة في العموم والاطلاق لاستيعاب
والتقييد لانه جواب التقييد وذلك لانه يحتمل وجهين اعتبار التقييد والقرينة عليه واما اعتبار الاطلاق فلا يحتاج لاثباته لانه خاتم النظم والاخيه
ان سائله بانه لم يذكر نكتة الاطلاق فالظاهر انه ليس بعده وبيان النكتة بل فيه وبيان نفي القرينة يقتضي ان يولى بالقيد وبه ان التقييد بنا على
انه جواب لما حكى معينا مع انه لا يخص من الاحتمال بل التقييد محتمل لانه جواب المقيد سواء كان التقييد واطلاق في المحكي او من الحاكي فالاولى بالقيد به على
صيغة الجدار عصام

قوله فلا ينتهض حجة لو كان الاستدلال بصريح الآية نفي الايمان عن فارغ القلب لم يتم ولو كان بان يكون المنافقين
لحرفهم في التصديق اذ ليس اعتقاد النقيض كفرا لكونه كذبا اذ الكذب لا يوجب الكفر بل لانه يوجب انتفاء
التصديق كما يجب التصديق لهم فتأمل

من الكيد وليتزيد له ما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع
اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة
والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس
على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله
على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال من يطع
الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله
من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم
عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا وامتثال الرسول والمؤمنين
امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين
ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه
الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه
كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ
يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة
وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم
ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وما يخادعون الا انفسهم** اي نافع وابن كثير
وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا
انفسهم من حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه
خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ وما يخدعون
من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم
بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل
الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان
يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا يأمره ويشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم
ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم **وما يشعرون** لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم
جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف
الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم**
مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص
به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة
والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال
الحياة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات
عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما
فيوما وزادهم الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة

15 a

بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي ونحوها فزادهم الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي
وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله من حيث انه مسبب من فعله واسنادها
الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من
الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم
وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي مؤلم
يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قراها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب
كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرا الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون
الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين
الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق
متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به
استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات
فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض
عطف على يكذبون او يقول وما روي ان اهل هذه الآية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس
الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير
الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار
ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم
بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث
ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج
والمرج ويخل نظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين قالوا انما نحن
مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان
شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخله
على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد
بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستئناف به وتصديره
بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت
على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة
بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون
واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لا
ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس

حذف النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون
في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما
يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان
ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان
او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه
والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم
واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد
قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس
باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير
شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة
بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة
رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة
في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة
من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون
والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز
بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما
يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم
وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال
لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله
ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته
فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت
معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا
سخرت منه وعدي بالى لتضمن معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم
وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل
سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم
تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين
والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا

بالاول دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **انما نحن مستهزءون** تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم** يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او الغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا فحينا وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي واصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه

١ وعمه وارض عمها لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**
اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان
احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء و
الا فاى العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان
من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى او الاعيان
ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا
كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره والمعنى انهم
اخلوا بالهدى الذى جعله الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا
اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها **فما ربحت تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء
فى معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية و
عشش فى وكريه جاش له والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على راس
المال ولذلك سمى شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل
او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة
فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس
مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم
واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين
آيسين عن الربح فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذى استوقد نارا** لما جاء بحقيقة حالهم
عقبها بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فانه اوقع فى القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل
متحققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله فى كتبه الامثال وفشت فى كلام الانبياء
والحكماء والمثل فى الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم للقول
السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير
لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله
ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين
كما فى قوله وخضتم كالذى خاضوا ان جعل مرجع الضمير فى بنورهم وانما جاز ذلك
ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة
التى هى صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل كالجزء منه فحقه ان لا يجمع
كما لا يجمع اخواتها فيستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة
زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التى عليها التنزيل ولكونه
مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على
اللام فى اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذى استوقد
والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق

النار من نار ينور نورا إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا فلما أضاءت ما حوله أي النار ما حول
المستوقد إن جعلتها متعدية وإلا أمكن أن تكون مسندة إلى ما والتأنيث لأن ما حوله
أشياء وأماكن أو إلى ضمير النار وما موصولة في معنى الأمكنة نصب على الظرف أو مزيدة وحوله ظرف
وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير
للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا إنما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لأنه المراد من إيقادها أو
استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره
أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف
كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للإيجاز وأمن الالتباس وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل
بفعله أو لأن الإطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة ولذلك عدي الفعل
بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا
أخذه وما أخذه الله وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ إلى النور فإنه لو قيل
ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور
عنهم رأسا ألا ترى كيف قرر ذلك وأكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي
عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان
وترك في الأصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله
وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك
أن تفعل كذا أي ما منعك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق
وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أو ظلمة
الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد أو ظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة
ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك وكأن الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن
آتاه ضربا من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا
لما تضمنته الآية الأولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فإنهم أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم
من الحق باستبطان الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى من
نور الإرادة أو مثل لإيمانهم من حيث إنه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد و
مشاركة المسلمين في المغانم والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانطماس نوره بإهلاكهم
وإفشاء حالهم بإطفاء الله تعالى إياها وإذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة
إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم
وانتفت قواهم كقوله صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا أصم عن
الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة إذ
من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه كقول زهير لدى
أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن

ترشيح التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وهنا وان طوى
ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان
جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في
ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقضت قواهم وثلثتها ترتب بالنصب على الحال
من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام
القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف
فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر
وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او
عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث
ابتدءوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام سبب لتحيرهم واحتباسهم
او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في
الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير الشك مثل جالس الحسن او ابن سيرين
وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان و
من ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة
التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال
للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما و
تنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ
بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا
وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب
فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه
بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره
ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف
وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب
اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب
من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في
آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه
باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى
يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكانه
لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق
الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون
كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه

الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة
اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق
لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعتهم الصاعقة وهي
في الاصل صفة لصعقة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل
عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام
مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع
والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان
كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة
الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى
موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان
يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال
وقد يدخل عليها حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة
والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت
فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الطاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها
ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه
قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول
محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك
اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام هما
اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين
لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما
ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك
التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ولو شاء
الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي ولو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بوميض البرق لذهب بها فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد
حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من
حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند
انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم وابصارهم مع تمام ما يقتضيه والتنبيه على ان
تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها
واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص
بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى

كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله
وجوده فهو موجود وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على
عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن
او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل
العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن على ما يشاء
ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع
الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال
بقائه مقدور وان مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين
من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت
حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه
حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض
منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقاده في ظلمة
او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن
جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما
يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير
رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين
واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد
وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم
وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم
باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه
وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات
المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت
من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر
وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف
ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم
وقيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب
الذي به حيوة الارض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات
المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة بالبرق
وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها
مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد
يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم

وترققهم في الامر حتى نورطهم او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوايد الآجلة ولو شا الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشا قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة لندا المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المناد واجري عليه المقصود بالندا وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما ها التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر الندا على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شي نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشي وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي التربية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشي على تقدير واستوا واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام

الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شي سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجا كما قال يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل لخلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجي على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كروية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشيا كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر ينزل من السما الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزا الرطبة من اعماق

الأرض الى الجو أهو أم سحاب فإن ما علاك سما ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا
به ثمرات واكتنافه المنكرين أعني ماء ورزقا كأنه قال وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا
بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع إذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر
كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا أو للتبيين ورزقا بمعنى المرزوق كقولك أنفقت من
الدراهم ألفا وإنما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لأنه أراد بالثمرة جماعة الثمرة التي
في قولك أدركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد أو لأن الجموع يتعاور بعضها
موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء أو لأنها لما كانت محلاة باللام خرجت
عن حد القلة ولكم صفة رزقا إن أريد به المرزوق ومفعوله إن أريد به المصدر كأنه قال
رزقا إياكم فلا تجعلوا لله أندادا متعلق باعبدوا على أنه نهي معطوف عليه أو نفي منصوب
بإضمار أن جواب له أو بلعل على أن نصب تجعلوا نصب فأطلع في قوله تعالى لعلي أبلغ الأسباب
أسباب السموات فأطلع إلحاقا لها بالأشياء الستة لاشتراكها في أنها غير موجبة والمعنى إن
تتقوا لا تجعلوا لله أندادا أو بالذي جعل إن استأنفت على أنه نهي وقع خبرا على تأويل مقول
فيه لا تجعلوا والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى من خلقكم
بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي أن لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير
أتيما تجعلون إلي ندا وما تيم لذي حسب نديدا من ند ندودا إذا نفر وناددت الرجل
خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده
المشركون من دون الله أندادا وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولا أنها تخالفه في
أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد
أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم
من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند ولهذا قال موحد
الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور تركت
اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وأنتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا
ومفعول تعلمون مطرح أي وحالكم أنكم من أهل العلم والنظر وإصابة الرأي فلو تأملتم أدنى
تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة
المخلوقات أو منوي وهو أنها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه
فإن العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم أن مضمون الآيتين هو الأمر بعبادة
الله والنهي عن الإشراك به والإشارة إلى ما هو العلة والمقتضي وبيانه أنه رتب الأمر بالعبادة
على صفة الربوبية إشعارا بأنها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بأنه خالقهم وخالق أصولهم
وما يحتاجون إليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فإن الثمرة أعم من
المطعوم والرزق أعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه أمورا لا يقدر عليها غيره وشاهدة

على وحدانيته رتب عليها النهي عن الإشراك به ولعله سبحانه أراد من الآية الأخيرة مع ما دل
عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الإشارة إلى تفصيل خلق الإنسان وما أفاض عليه من المعاني
والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالأرض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما أفاض عليه من
الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية
والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والأرضية المنفعلة بقدرة
الفاعل المختار فإن لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وإن كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ذكر عقيبه ما هو
الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وإفحام
من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وإفراطهم في المضادة
والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به إعجازه ويتيقن أنه من عند الله
كما يدعيه وإنما قال مما نزلنا لأن نزوله نجما منجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه أهل الشعر
والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان
الواجب تحديهم على هذا الوجه إزاحة للشبهة وإلزاما للحجة وأضاف العبد إلى نفسه تنويها
بذكره وتنبيها على أنه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وأمته والسورة الطائفة
من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وهي إن جعلت واوها أصلية منقولة من سور المدينة
لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على أنواع من العلم احتواء
سور المدينة على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها
بمطار لأن السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ أو لها مراتب في الطول والقصر والفضل
والشرف وثواب القراءة وإن جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة
من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا إفراد الأنواع وتلاحق الأشكال وتجاوب النظم
وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فإنه إذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر
إذا علم أنه قطع ميلا أو طوى بريدا والحافظ متى حفظها اعتقد أنه أخذ من القرآن حظا تاما
وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به إلى غيرها من الفوائد من
مثله صفة سورة أي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين
وزائدة عند الأخفش أي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم أو لعبدنا ومن للابتداء
أي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا أميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم أو صلة
فأتوا والضمير للعبد والرد إلى المنزل أوجه لأنه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر
آيات التحدي ولأن الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب
والنظم ولأن مخاطبة الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جلدتهم أبلغ
في التحدي من أن يقال لهم ليأت بنحو ما أتى به هذا آخر مثله ولأنه معجز في نفسه لا
بالنسبة إليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن

لا يأتون بمثله ولأن رده إلى عبدنا يوهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فإنه أمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر أو الإمام وكأنه سمي به لأنه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الأمور إذ التركيب للحضور إما بالذات أو بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لأنه حضر ما كان يرجوه أو الملائكة حضروه ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ودونك هذا أي خذه من أدنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو أي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي أمر إلى أمر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين وقال أمية يا نفس ما لك دون الله من واق أي إذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا إلى المعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فإنه لا يقدر على أن يأتي بمثله إلا الله أو وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فإنه من ديدن المبهوت العاجز عن إقامة الحجة أو شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء أو آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة أو الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الأعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله أي من دون أوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم أن ما أتيتم به مثله فإن العاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله إن كنتم صادقين أنه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الإخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر أنه كذلك عن دلالة أو أمارة لأنه تعالى كذب المنافقين في قولهم إنك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب إلى قولهم نشهد لأن الشهادة إخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به أمر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو أنكم إذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه ظهر أنه معجز والتصديق به واجب فآمنوا واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعم الإتيان به وغيره إيجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الإيجاز وصدر الشرطية بإن الذي للشك والحال يقتضي إذا الذي للوجوب فإن القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى إتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم أو خطابا معهم على حسب ظنهم فإن العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لأنها واجبة الإعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولأنها لما صيرته ماضيا

صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكأنه قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير أنه أبلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في إحدى الروايتين عنه وفي الرواية الأخرى أصله لا أن وعند الفراء لا فأبدلت ألفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر أن المراد به الاسم وإن أريد به المصدر فعلى حذف مضاف أي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الأصنام التي نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه أو بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص إعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وإبطال للمقصود إذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وإن ضعفت فإن صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به أن الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فإنها يجب أن تكون قصة معلومة أعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ أعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف أو حال بإضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وإن جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الأول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الإتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن ثم إنهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا إلى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني تضمنهما الإخبار عن الغيب على ما هو به فإنهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه أكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث أنه عليه السلام لو شك في أمره لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته وقوله أعدت للكافرين دل على أن النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطلب له ما يشاكله من أمر أو نهي فيعطف عليه أو على فاتقوا لأنهم إذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي

ظهر إعجازه وإذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك
يستدعي أن يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وإنما أمر الرسول عليه السلام أو عالم كل عصر أو كل أحد
يقدر على البشارة بأن يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم و
إيذانا بأنهم أحقاء بأن يبشروا ويهنئوا بما أعد لهم وقرئ وبُشِّر على البناء للمفعول عطفا
على أعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فإنه يظهر أثر السرور في البشرة ولذلك
قال الفقهاء البشارة هو الخبر الأول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي
فأخبروه فرادى عتق أولهم ولو قال من أخبرني عتقوا جميعا وأما قوله تعالى فبشرهم بعذاب
أليم فعلى التهكم أو على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من
الصفات الغالبة التي تجري مجرى الأسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لأم بظهر الغيب تأتيني وهي من الأعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل
الخصلة أو الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الإيمان مرتبا للحكم عليهما إشعارا بأن
السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الأمرين والجمع بين الوصفين فإن الإيمان الذي هو
عبارة عن التصديق أس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لا بناء عليه ولذلك
قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على أنها خارجة عن مسمى الإيمان إذ الأصل أن الشيء لا يعطف
على نفسه ولا ما هو داخل فيه أن لهم منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه أو مجرور بإضمار
مثل الله لأفعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه إذا ستره ومدار التركيب على الستر
سمي به الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة كأنه يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير كأن عيني
في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا أي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الأشجار
المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لأنه ستر في الدنيا ما
أعد فيها للبشر من أفنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وجمعها و
تنكيرها لأن الجنان ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة النعيم وجنة عدن وجنة
المأوى ودار الخلد ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة
على حسب تفاوت الأعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم إياها لأجل ما ترتب عليه
من الإيمان والعمل الصالح لا لذاته فإنه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من أن يقتضي ثوابا وجزاء
فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الإطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت
وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم
وقوله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام لئن أشركت ليحبطن عملك وأشباه ذلك ولعله
سبحانه لم يقيد ههنا استغناء بها تجري من تحتها الأنهار أي من تحت أشجارها
كما تراها جارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنهار الجنة تجري
في غير أخدود واللام في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري
أو للعهد والمعهود هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر

بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة و
المراد بها ماؤها على الإضمار أو المجاز أو المجاري أنفسها وإسناد الجري إليها مجاز كما في قوله
وأخرجت الأرض أثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات
أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأنه لما قيل إن لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها
مثل ثمار الدنيا أم أجناس أخر فأزيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الأولى
والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وأصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ
من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة
فصاحب الحال الأولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل أن يكون من
ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك أسدا وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا إلى
نهر جار هذا الماء لا ينقطع فإنك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب
جريانه وإن كانت الإشارة إلى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته
ذاته كقولك أبو يوسف أبو حنيفة من قبل أي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر
الدنيا لتميل النفس إليه أول ما ترى فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غيره وتتبين لها
مزيته وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنسا لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك أو في الجنة
لأن طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم
يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف
أو لما روي أنه عليه الصلوة والسلام قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول
الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم إذا رأوها على الهيئة
الأولى قالوا ذلك والأول أظهر لمحافظته على عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة
رزقوا والداعي لهم إلى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة
والتشابه البليغ في الصورة وأتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الأول راجع
إلى ما رزقوا في الدارين فإنه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى
إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني إلى الرزق فإن قيل
التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس
ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الأسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي
مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في إطلاق التشابه هذا وإن للآية محملا آخر
وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة
في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل أن يكون المراد هذا الذي رزقنا أنه ثوابه ومن تشابههما
تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون
في الوعيد ولهم فيها أزواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض
والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال

وقرى مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النسا فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال
واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على
تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطا وكسر الها بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة
للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل
لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذى ودفع ضرر الجوع
وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها
وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها
على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد
عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام
لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجز الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد
ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث
لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه
فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان قيل
الابدان مركبة من اجزا متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك
والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا تعتورها الاستحالة
بان يجعل اجزاها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شي منها على احالة
الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما تشاهد في بعض المعادن هذا وان
قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما
كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقرا
وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت
منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الاخرة بابهى ما
يستلذ به منها وازاح عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الايات السابقة متضمنة
لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون
على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون
الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد
المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع
منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال
في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغا واشارات الحكما فيمثل الحقير بالحقير
كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان المثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة

والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفها باثارة الزنابير وجا في كلام العرب اسمع
من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل
الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف
ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب
الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي
منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من امن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فقال
ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها
والحيا انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراة على القبايح
وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة
فهو انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا
اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به البارى تعالى كما جا في الحديث ان الله يستحيي من ذي
الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى
يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة
المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الما يعرض
نفسه كرعن بسبت في انا من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة
ويحتمل الاية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل
اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شي على اخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من
منصوب بافضا الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا
وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي
في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع
لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير
قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة
او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقريت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجوها
اخر ان تكون موصولة حذفت صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة
بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما رد
استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل
بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران
والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش
فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت
كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو
اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام

عزيه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلوة والسلام ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصل ما اجمل وتوكد ما به صدر وتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المومنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهاميه وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السوال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدا النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله ان المنافقين

هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد الوسط قال روبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي والانهماك فلا يسلب عنه اسم المومن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المومنين والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصل بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما تقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المومنين والتفرقة بين الانبياء والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو

القول الطالب للفعل وبالمبع العلو وقيل مع الاستعلاء لمسمى الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسوال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع التسليم فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف يعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية والحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلايعها

وبعد ما بها وما يختص بالانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القران هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط وفي دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستانف بدحيها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه انتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسويهن عدلهن وخلقهن مصونة عن العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما شاكلها

كيف يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانيه بحيث لا يشذ شئ منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها
فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر
مبنيه على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهو ان مواد
الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة
لها لذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانيه والثالثه فانه عالم بها و
بمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على
ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم
وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم
وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته
وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الها من نحو وهو وهي تشبيها له بعضد واذ قال
ربك للملائكه اني جاعل في الارض خليفه تعداد لنعمة ثالثه تعم الناس كلهم فان
خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود انعام يعم ذريته
واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضيه وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبله
يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها
بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من
الظروف الغير المتصرفه لما ذكرناه واما قوله واذكروا اذ كنتم ونحوه فعلى تاويل اذكر
الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الايه قالوا
او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل عليه مضمون
الايه المتقدمه مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفه على خلق لكم داخله
في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكه جمع ملأك على الاصل كالشمائل والتا
لتانيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين
الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على
انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفه
قادرة على التشكل باشكال مختلفه مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك
وقالت طايفه من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكما
انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقه في الحقيقه منقسمة الى قسمين قسم
شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله
فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكه المقربون وقسم
يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضا وجرى به القلم الالهي لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماويه ومنهم ارضية

على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكه كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكه
الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا
فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكه فدمرهم وفرقهم في الجزاير والجبال وجاعل
من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض وخليفه عمل جاعل فيهما لانه بمعنى الاستقبال و
معتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفه من يخلف غيره وينوب منابه
والهاء للمبالغه والمراد به ادم لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في
عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى
من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ
ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبيا لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكه ومن كان منهم
اعلى رتبة كلمه بلا واسطه كما كلم موسى في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذا من اللحم لما بينهما من التباعد جعل
الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او
خليفه من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا
وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابي القبيله في قولهم مضر
وهاشم او على تاويل من يخلفكم او خلقا يخلفكم وفائدة قوله تعالى هذا للملائكه تعليم المشاورة
وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفه قبل خلقه واظهار
فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيانه ان الحكمة تقتضي ايجاد
ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدما تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعه اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم
من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم
معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبه فانهم
اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما
عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمه
من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابه
والسفح في الصب والشن في الصب عن فم القربه ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على
البنا للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدما
فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى
اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك
والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف

لا العبث والتفاخر وكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية و
غضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا
اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده
فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة
تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل
متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب
يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج
منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى
اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح
في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر
الشيء مبعد عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك
ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك
الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة
وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة
اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم
اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض
لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها
فخلق منها ولذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق
ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار
الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال
واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد
في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف
على العلم بالمعاني ~~بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني~~ والمعنى انه تعالى خلقه من
اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلم
وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول
عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض
عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا
يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ

وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن ومسمياتها
فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير و
اقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف
ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم
صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم
وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد
يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن
اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم
وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله الى الله وسبحان مصدر كغفران ولا
يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على
الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة
الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه الصلاة والسلام سبحانك تبت اليك وقال يونس
عليه الصلاة والسلام سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم
المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت
وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز
يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب
الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه
ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم
من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو
ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون
استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة
واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات
والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط
في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه
بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر
في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع
ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك
انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم لا تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا
منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم

ولا علما فضيل لقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعلم الاشيا قبل حدوثها
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم لما انباهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا
بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوى خلقه لقوله تعالى فاذا
سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف
الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة
بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهى نعمة رابعة عدها عليهم والسجود فى الاصل تذلل
مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعنى البعير
اذا طاطا راسه وفى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعى فالمسجود
له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما
خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما فى العالم الروحانى
والجسمانى وذريعة للملائكة الى استيفا ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا
فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر اياته وشكرا
لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام فى قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس
بالقران والسنن او فى قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوى هو التواضع لادم
تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط به معاشهم
ويتم به كمالهم والكلام فى المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس
ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة فى عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية
او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه
اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اى فى علم الله او صار
منهم باستقباح امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يؤمر بالتخضع
للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدى استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والاية تدل على ان ادم افضل
من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله
امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان
يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا
يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة انه كان جنيا نشا بين
اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة
لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد
والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلين
فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان
كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل

ضربا من الملائكة لا تخالف الشياطين بالذات وانما تخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة
والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك
صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وجل الا ابليس كان من
الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار
لما روت عايشة انه عليه الصلوة والسلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من
مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضى والنار كذلك غير ان
ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا
صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا
يزال تتزايد حتى ينطفى نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع
بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضى
بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار لامره وترك الخوض فى سره وان الامر للوجوب وان
الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم
الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابى الحسن الاشعرى وقلنا يا ادم اسكن انت
وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح
العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار
الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انها بستان بارض
فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله امتحانا لادم وحمل الاهباط على الانتقال
منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر
محذوف حيث شئتما اى مكان من الجنة شئتما وسع عليهما ازاحة للعلة والعذر
فى التناول من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة
فى تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشى يورث داعية وميلا ياخذ
بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك الشى يعمى ويصم فينبغى ان لا يحوما
حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بارتكاب المعاصى او نقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية
سواء جعلته للعطف على النهى او الجواب له والشجرة هى الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من
اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين فى الاية لعدم توقف ما هو المقصود
عليه وقرى بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء فازلهما الشيطان عنها اى اصدر زلتهما
عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن فى قوله تعالى وما فعلته عن امرى او ازلهما
عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان فى المعنى غير ان زل يقتضى
عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة

الا ان يكونا ملكين او يكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين و
اختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف
توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة
التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل
قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل
في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى
فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحوا لقوله
قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس
اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السما
بعضكم لبعض عدو حال استغنى عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على
بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين
يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول و
العمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على انها استقبلته وبلغته وهي
قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب
الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم
تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال بلى واصل
الكلمة الكلم وهو الاثر المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة
فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه
معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر
آدم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النسا في اكثر القرآن والسنن انه
هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع
فانه اذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد
بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد
للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود
فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر
بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان
مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن
مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم يجد له عزما وان كل واحد منهما
كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سما الدنيا والثاني منها الى الارض
وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك

لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فاما ياتينكم مني هدى
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول
وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان
ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جي بحرف الشك وسواء
اتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه
اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه
ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب
فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع عليه نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب
على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كانه
قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان
متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث
انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة
فابدلت عينها على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة
تخفيفا والمراد باياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة تنبيه وقد تمسكت الحشوية
بهذه القصة على عدم عصمة الانبيا عليهم الصلوة والسلام من وجوه الاول ان آدم كان نبيا
وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون
لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال
وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه
والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب
من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما
سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغي والعصيان
اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى
معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى
فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط
عن الامة لم يحط عن الانبيا لعظم قدرهم كما قال عليه الصلوة والسلام اشد الناس بلاء
الانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة
دون المؤاخذة كتناول السم على الجهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله ما نهيكما ربكما وقاسمهما
الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا

ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه الصلوة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرام على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل عليه فقال **يا بني اسرائيل** اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والتسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والطاعة اوف بما عاهدتكم

من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة **واياي فارهبون** فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله **وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم** افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به** بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا** ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه **واياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآيات السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله **وتكتموا الحق** جزم داخل تحت

حكم النهي كأنهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق
والاخفا على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل
وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان
استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون
فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم
فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل
على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة
في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكا بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث و
النفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة
الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا
عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط
السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر
تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضا الواسع يتناول
كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة
الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها
نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا
يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي
تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون
قبح صنيعكم فيصدكم او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي
بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه
وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع
بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها
بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب
الاخلال بالاخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق
عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا
على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات
لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها
جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال
فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية
بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف

النفس عن الاطمئنان حتى يتجاوبوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روى انه عليه الصلوة
والسلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اى الاستعانة بهما او
الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة
ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
الا على الخاشعين اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة
والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل
ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن
مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع
قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف
وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم لان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها
ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه الصلوة والسلام
وجعلت قرة عينى فى الصلوة يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم كرره للتاكيد
وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا
لمن غفل عنها واخل بحقوقها وانى فضلتكم عطف على نعمتى على العالمين اى عالمى
زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا فى عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا
بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين و
استدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اى ما فيه من
الحساب والعذاب لا تجزى نفس عن نفس شيئا لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او
شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا
تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى
والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد
المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف
من قوله او مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية
العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل
وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثانى اما ان يكون مجانا
او غيره والاول ان يشفع له والثانى اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزى عنه او بغيره
وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع
شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية
لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت
عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اما بعد فقد قال الله تعالى
فى سورة البقرة ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا الاية
قال الامام البيضاوى اى لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذا عاينوا
العذاب لندموا اشد الندم وقال الفاضل سعد الدين التفتازانى محررا
لكلامه الظاهر ان العلم حال المعاينة محقق فانه متعلق بان القوة لله
فلما قوله لندموا تعليق بما سبق لا على ما فى الدنيا ولكن توجيه اخوانه
اقول ويريد المصنف اشار عند تصوير معنى الاية الشريفة بقوله
ان القوة لله جميعا اذا عاينوا العذاب الى ان الظرف فى اذ يرون
العذاب متعلق بما بعده اعنى القوة لا بما قبله اعنى يرى الذين ظلموا
لان العلم بان القوة لله جميعا حين معاينة العذاب مما لا شبهة فى
تحققه فكيف يقع شرطا للو المقتضية لامتناع شرطها بخلاف ما اذا تعلق
بالقوة فان المعنى لو علم الذين ظلموا الان كون القوة يوم القيامة
مختصة بالله تعالى لندموا فى الحال على ما سبق لهم فى الدنيا من القبائح
وقوله لا على ما فى الدنيا يريد به ان ليس المعنى لو يعلمون فى الاخرة لندموا
فيها على كل ما فعلوه فى الدنيا واما التوجيه الاخر فيحتمل ان يكون اشارة
الى كون لو واذ فى الاية الشريفة للمستقبل بمعنى ان واذا فانهما يأتيان لذلك
كما ذكره الاسترابادى فى بحثنا الظروف المبنية ووضع لو التى بمعنى ان

العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه
الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث
الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان
اباءهم تشفع لهم **وإذ نجيناكم من آل فرعون** تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل
آل اهل لان تصغيره اهيل خص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون
لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن
الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد
وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** يبغونكم من سامه
خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء **سوء العذاب** افظعه فانه قبيح بالاضافة
الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير
في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما **يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف
وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب
بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا **وفي ذلكم بلاء** محنة ان اشير بذلكم
الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله
عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد
به الامتحان الشائع بينهما **من ربكم** بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وبتوفيقه لتخليصكم
او بهما **عظيم** صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من
الله فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين **واذ فرقنا
بكم البحر** فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم
فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على
بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط **فانجيناكم واغرقنا
آل فرعون** اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل
شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغني بذكره
عن ذكر اتباعه **وانتم تنظرون** ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر
عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا
روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده
وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه
اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم
ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه

منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة
من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم
وتصديق موسى عليه الصلوة والسلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع
عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء
واخباره عليه الصلوة والسلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره **واذ واعدنا موسى
اربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية
وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ
غير ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي
ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور **ثم اتخذتم العجل** الها ومعبودا **من بعده** من بعد
موسى او مضيه **وانتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة
من عفا اذا درس **من بعد ذلك** اي الاتخاذ **لعلكم تشكرون** لكي تشكروا عفوه
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين
الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او
بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين
عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بتدبر الكتاب
والتفكر في الايات **واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم** فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومتميزا بعضها عن
بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي
كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين
او فتوبوا **فاقتلوا انفسكم** اتماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب
نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل
من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي
لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة
الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب **ذلكم خير لكم عند بارئكم** من حيث انه
طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** متعلق بمحذوف
ان جعلته من كلام موسى عليه الصلوة والسلام لهم تقديره ان فعلتم فقد تاب عليكم
وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم
ما امرتم فتاب بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة
والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من

لم يرو جحق منعه حقيق بان يسلب منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب
الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم
يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي
في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع
من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع
كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل
عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي
فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه
الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال
بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الاخرة ولافراد من الانبياء
في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود
سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه
او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم
باس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام وسخر الله لهم السحاب يظلهم من
الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني
وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من
طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا
هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ا
دخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها
حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب
اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة
موسى عليه الصلوة والسلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم
من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ
بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم
بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله
خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت
همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند
الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل
الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب
الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة

فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار
طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح
امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم
بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس
وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون
الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر
اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه
ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر
الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه
جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن
لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه
بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا
عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر
من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة
وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف
تقديره فان ضربت فقد انفجرت كما في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها
وهما لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا و
اشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين
لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس
بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر
الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر
امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن
ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله
حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره
ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به
ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم
طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد
لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه

فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع
فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام
الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان
وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد
به اطايبه التي توكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ
قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى
اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير
البعد والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو خير
يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا
مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه
وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما
صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود
وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة
احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط
مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة
او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به او
صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء
المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات
التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقران واية الرجم والتي فيها
نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا و
زكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز
قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر
بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما
ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة
على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوز الاشارة
بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير
قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك

ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليس على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين
امنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد المخلصين منهم والمنافقين لانخراطهم
في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود
اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم
سموا باسم اكبر اولاد يعقوب والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة
كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة
فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم
دين نوح عليه الصلوة والسلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان
عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا
اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبداء
والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام
دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب
ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم عند ربهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم
والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها
لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم
عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتى
اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه الصلوة والسلام لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من
التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا
خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه
ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب واعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء
منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا و
اذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه
فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق و
يهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك او بالخبط والضلال في فترة من
الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع
الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام
عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا
منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم
السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود

عليه الصلوة والسلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة
واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت
فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها
يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو
الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا
بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به
سرعة التكون وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة
فجعلناها اى المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل للقيد
لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين
واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما
تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر
منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم
ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه
وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال
وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه
طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا
بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا مكان هزو او اهله او
مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة
واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمى به
على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي اى ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اى بقرة هي او كيف هي لان ما
يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه
اجروه مجرى ما لم يعرفوا ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا
فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر
للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك
اى بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود
هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمها تأخير
البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير
الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه الصلوة والسلم

لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم بتعنتهم
بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون
به من قوله امرتك الخير فافعل ما أمرت به او أمركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة
ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى اسناده الى اللون وهو
صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن
الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك
خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها
من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع
تسر الناظرين اى تعجبهم والسرور اصله لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان
البقر تشابه علينا اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه
علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالتاء وبالياء ويشابه
ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا
وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وانا ان
شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم
آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك
عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة و
اجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى
الحرث اى لم تذلل للكراب وسقى الحروث ولا ذلول صفة للبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية
مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفة ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ
لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وتسقى من
أسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا
اخلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهى فى الاصل مصدر وشاه
وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة وحققتها
لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه
اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم
وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روى ان شيخا صالحا
منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر فشبت
وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامها حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا
وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا

فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي
قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى
انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا
خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع
بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت
التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل
مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه
عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص او القتيل
ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن
وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع
من حضر حياة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون
لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على
قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب
ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم
قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة
دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد
ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه
التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت
معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها
بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع
ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ
مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة
من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب لين القلب
فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة والمعنى انها في القسوة مثل الحجارة او ازيد عليها
او انها مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
قراءة الاعمش بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على
اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها
شبهها بالحجارة او بما اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر
وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا
لما اراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح بسعة وكثرة

والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ إن على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها
وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير بالياء ضما الى
ما بعده أفتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا
لكم التصديق او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم
يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم او
تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم
موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان
شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون
مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم
وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا
بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التوراة وإذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم
ينافقوا منهم عاتبين على من نافق أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد
صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء
ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم
به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة
عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او
بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها أفلا
تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او
خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله أفتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع
لكم في ايمانهم أولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء
ما فتح الله واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها او التوراة إلا أماني استثناء
منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك
تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من
المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وقيل الا ما يقرأون قراءة عارية عن معرفة المعنى
وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمني داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم
بانهم اميون وإن هم إلا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن
بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن
الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا

يتبوؤ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتدا
به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات
الزائغة بايديهم تأكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به
ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما
استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون
يريد الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس ايصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به
واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة
روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة
الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا
خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف
الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه
دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام
بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون
على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على
وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق
بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض
لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب
اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار
كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شأن الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى
تصديق قلبه واقرار لسانه لم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان
من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر
منه حتى تستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا
اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى
ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته و
خطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون
اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على
خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته
ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني
اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله لا تضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ
من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا

وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او
معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا تعبدون
وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون
بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا
وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل
ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه
حسنا للمبالغة وقرئ حسنا بفتحتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر
كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض
عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول
ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام
اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء
والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض
بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله
به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم
او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون
به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون
توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم
فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به
والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك
انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما
اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو
الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر
وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون
وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد
من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدوا
لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون

انفسكم وقرأ حمزة أسرى جمع أسير كجريح وجرحى وأسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل
هو ايضا جمع اسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر
تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
وما بينهما اعتراض والضمير للشأن او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه
تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا
كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى
منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب لأن عصيانهم اشد
وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم
وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في
رواية ابي بكر ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا
والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية
وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال
قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن
مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير
من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وأيدناه قويناه
وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به
جبريل وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته
على الله تعالى ولذلك اضافه الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث
او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان
في جميع القرآن أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى
اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به
توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء
للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسول ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء
للسببية او التفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى عليهما السلام وانما ذكر بلفظ المضارع
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل
او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة
وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار
من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع

علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا
والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم
وانها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم
كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون
وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم
كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من
كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت
في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار
بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله
على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون
للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من
العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة
يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب وسهل بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره
للرسالة فباؤوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد
عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب
العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن
بما انزل علينا اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر
جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه
وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه وهو القرآن مصدقا لما معهم
حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون
انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية
لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه ولقد جاءكم
موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم
العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم
العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم
ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول
صلى الله عليه وسلم طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ
اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا

ما أمرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك وأشربوا
في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب
والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله إنما يأكلون في بطونهم نارا
بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لأنهم كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه
فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به إيمانكم أي بالتوراة والمخصوص
بالذم محذوف نحو هذا الأمر أو ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث
إلزاما عليهم إن كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الإيمان بالتوراة وتقديره إن
كنتم مؤمنين بها لما أمركم بهذه القبائح ورخص لكم فيها إيمانكم بها أو إن كنتم مؤمنين
بها فبئسما أمركم به إيمانكم بها لأن المؤمن ينبغي أن لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن
الإيمان بها لا يأمر به فإذا لستم بمؤمنين قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس
سائرهم أو المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين لأن من أيقن أنه من أهل الجنة
اشتاقها وأحب التخلص إليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي عليه السلام لا أبالي سقطت
على الموت أو سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر
جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم أي على التمني سيما إذا علم أنها سالمة لا يشاركه فيها غيره
ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالإنسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها
أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان
كما أخبر لأنهم لو تمنوا لنقل واشتهر فإن التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أن يقول ليت
كذا وإن كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه لو تمنوا الموت لغص كل إنسان
بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه
على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة
من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم أحرص وتنكير حيوة لأنه أريد فرد من
أفرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين أشركوا محمول على المعنى فكأنه قال
أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر للمبالغة فإن حرصهم شديد
إذ لم يعرفوا إلا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فإنه لما زاد حرصهم
وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون إلى النار ويجوز
أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة الأول عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف
صفته يود أحدهم على أنه أريد بالذين أشركوا اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله أي
ومنهم ناس يود أحدهم وهو على الأول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف
لو يعمر ألف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان أصله لو أعمر فأجرى على الغيبة

لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر الضمير لأحدهم وأن يعمر
فاعل مزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره أو لما دل عليه يعمر وأن يعمر
بدل منه أو مبهم وأن يعمر موضحه وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة
لقولهم سانهته وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير
بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله عمن
ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم
فلا يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا
ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وأنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب
الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره
وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدو
أحدهما فهو عدو لله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك
يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن أربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قرأه حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرأ ابن كثير وجبرئل كجحمرش قرأ عاصم وجبريل كقنديل
قرأه الباقون وأربع في الشواذ جبرئل وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة و
التعريف ومعناه عبد الله فإنه نزله الضمير الأول لجبريل والثاني للقرآن وإضماره غير مذكور
يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج إلى سبق ذكره على قلبك فإنه القابل
الأول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال
قل ما تكلمت به بإذن الله بأمره أو بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى
وبشرى للمؤمنين أحوال من مفعوله والظاهر أن جواب الشرط فإنه نزله والمعنى من عادى منهم
جبريل فقد خلع ربقة الإنصاف أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته إياه لنزوله عليك بالوحي لأنه
نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علته مقامه أو من عاداه فسبب
عداوته أنه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا أو فهو عدو لي وأنا عدوه كما قال من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين أراد بعداوة الله
مخالفته عنادا أو معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم كقوله والله
ورسوله أحق أن يرضوه وأفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على
أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله وأن من عادى أحدهم
فكأنه عادى الجميع إذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولأن المحاجة كانت فيهما
ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة والرسل
كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وأبو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل و
ميكئيل وميكائيل ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون أي المتمردون

من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن
صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا
عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون
الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق
منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض
بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان
بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه
رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله
يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود
اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول
عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسقا
وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم
الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا
وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر
التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال
ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم
يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان
ملكه تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم
ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن
الشياطين كفروا باستعماله يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير
والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك
لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون
وبهذا يميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات
والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة
لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير
الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس
وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة
يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي
عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي الابصار وقيل رجلان سميا
ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف

ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور
انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة و
العلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين
بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما
نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر
باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما
المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون
منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون
سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة
بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا
منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى
العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه
اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر
ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا
به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على
اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي
او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم
فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع
السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو ومعناه لأثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا
به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها
وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب
خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان
المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير وجهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم
يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون
يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما نلقنه حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه
وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها
وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا
بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ و
قرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج
لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى الطلب

الدعاة او راعنا اسمعوا اسماع قبول لا كاسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى
ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من
اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المومنين ويزعمون انهم
يودون لهم الخير والود محبة الشي مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يودون ومن الاولى
مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون
ان ينزل عليكم شي منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء
يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شي وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل
العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته
وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشي واثباتها في غيره
كنسخ الظل للشمس ومنه الناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت
الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها
اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرا ابن عامر ما ننسخ
من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها اي
نؤخرها من النسا وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول
وننسكها باظهار المفعولين نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها
في الثواب وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شي قدير فيقدر على النسخ والاتيان
بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما
يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح
العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص
كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل
ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف
اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير
والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القران فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب
بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي والمراد هو وامته
لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل
ما يشا ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شي قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك
العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على
ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا
عن المنصور ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في

٦١ الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشيا كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسوال
كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في
اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السما وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات
البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية
لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويودي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان
وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو
تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين
حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم و
تشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم
من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة
المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل
قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق
ان الله على كل شي قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا
كانه امرهم بالصبر والمخالفة واللجا الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة
او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع
عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا
او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر
لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المومنين خير من
ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال
تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل
هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل
عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له
نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند
ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان
كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه
ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست
اليهود على شي اي على امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال

والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل
قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا
فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد كل فريق ابطال دين الآخر
من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم
بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل
حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا
او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا
اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه
ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا خاشعين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم
منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم
وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوز
ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة
بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي
الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام
او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم
وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي
عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده
عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة
وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى
هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه
للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله
والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع
او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه
والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام
العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات
والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي
من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل
ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان
يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا
لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون

مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه
واحتج به الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي
تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او
بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل
بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال
فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع
الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع
مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء
اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة
الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث
فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة
بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ
الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك واعلم ان السبب في هذه الضلالة
ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا
ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى
الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد
وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله
هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تأتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار
والثاني جحود لان ما اتاهم آيات واستهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم
الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا
الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه
اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا
ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسأل
عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهي
للرسول عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكافر كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر
عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم
فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله
عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو
الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله

لعباده على لسان انبيائه من احكام الكتاب اذا املته والهوى رأى يتبع الشهوة بعد
الذى جاءك من العلم اى الوحى او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولى ولا نصير يدفع
عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمنى اهل الكتاب يتلونه
حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه اولئك يؤمنون به
بكتابهم دون المحرفين وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول
مؤمنوا اهل الكتاب ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث
اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر
قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة
واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القضية
والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء فى
الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل
العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط
احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة
فى قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله
اولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سننه
وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله معاملة
المختبر وبما تضمنه الآيات التى بعدها وقرئ ابراهيمُ ربَّه على انه دعا ربه بكلمات مثل
ارنى كيف تحيى الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام
فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذى وفى وفى القراءة الاخيرة
الضمير لربه اى اعطاه جميع ما دعاه قال انى جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت
ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون
الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال
فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذى له مفعولان والامام اسم من يؤتم به
وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال
ومن ذريتى عطف على الكاف اى وبعض ذريتى كما تقول وزيدا فى جواب سأكرمك والذرية
نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما فى تقضيت من الذر بمعنى التفريق او
فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذِريتى بالكسر وهى لغة قال
لا ينال عهدى الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم
لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء
منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ

الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا
مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره
وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله لقوله حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجانى
الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف
على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد
عليه الصلوة والسلام وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدمه او الموضع الذى
كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انه عليه السلام
اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اؤمر بذلك فلم تغب الشمس
حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد
الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعى فى وجوبهما
قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله
وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم
به يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتى بان طهرا ويجوز
ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه
للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اى المصلين جمع راكع
وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله عيشة
راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر
ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من
كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر
بخلاف الامامة والتقدم فى الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان
لم يكن سبب التمتيع ولكنه سبب لتقليله بان يجعل مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى
نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه
ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء
ابراهيم وفى قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر
الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم
شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس
صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء
عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان
كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعائه

الناس الى حجه ﴿وإسماعيل﴾ ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها ﴿وإسماعيل﴾ كان يناوله الحجارة ولكنه
لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ﴿ربنا تقبل منا﴾ اي
يقولون ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما ﴿إنك أنت السميع﴾ لدعائنا ﴿العليم﴾ بنياتنا ﴿ربنا واجعلنا مسلمين
لك﴾ مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة
في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر وان التثنية
من مراتب الجمع ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم
احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما
ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك
قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلام ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله وعد
الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن ﴿وأرنا﴾ من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين ﴿مناسكنا﴾ متعبداتنا
في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرأ ابن كثير ويعقوب أرنا قياسا على فخذ في فخِذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة
الساقطة دليل عليها ﴿وتب علينا﴾ استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما
وارشادا لذريتهما ﴿إنك أنت التواب الرحيم﴾ لمن تاب ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ في الامة المسلمة ﴿رسولا منهم﴾
ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امي ﴿يتلو عليهم آياتك﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل التوحيد والنبوة
﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ﴿ويزكيهم﴾ عن الشرك والمعاصي
﴿إنك أنت العزيز﴾ الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد ﴿الحكيم﴾ المحكم له ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ استبعاد
وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته ﴿إلا من سفه نفسه﴾
الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم
ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على
الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير وناخذ بعده بذناب عيش اجب
الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار
بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾
حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة
كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر
﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار
اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال
ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية
الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا
الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾ التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه
صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله
بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر واوصى
والاول ابلغ ﴿ويعقوب﴾ عطف على ابرهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه
ابرهيم ﴿يا بني﴾ على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه نظيره رجلان
من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين
ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا
ويشسوخور وزبولون ودوني ونفتوني وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ﴿إن الله اصطفى لكم
الدين﴾ دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ ظاهره النهي
عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على غير تلك الحال اذا ماتوا والامر
بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على
الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد
وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية
يوم مات فنزلت ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او
متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم
ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضِر بالكسر ﴿إذ قال لبنيه﴾ بدل من اذ حضر ﴿ما تعبدون
من بعدي﴾ اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات
عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل
عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل و
إسحاق﴾ المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب
والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضه هذا بقية
آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا
او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان ﴿إلها واحدا﴾ بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية
كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور و
التأكيد او نصب على الاختصاص ﴿ونحن له مسلمون﴾ حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل
ان يكون اعتراضا ﴿تلك أمة قد خلت﴾ يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها
الجماعة لان الفرق تؤمها ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم
لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس
باعمالهم وتأتوني بانسابكم ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون
بحسناتهم ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى﴾ الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى

فقال لها احد هذين الفريقين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب
الامر قل بل ملة ابرهيم اى بل نكون ملة ابرهيم اى اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ بالرفع اى ملته
ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف
او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب
وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان امنوا بمثل
ما امنتم به وما انزل الينا القران وقدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان بغيره وما انزل
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا
متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهى ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط
جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق
وما اوتى موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى
وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتى النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من
ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه
فى سياق النفى عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اى لله مسلمون مذعنون مخلصون فان
امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا بسورة من مثله
اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية والمعنى
ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق
او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل
مقحم كما فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه ويشهد له قراءة من قرا بما امنتم به او بالذى
امنتم به وان تولوا فانما هم فى شقاق اى ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا فى
شقاق الحق وهى المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين فى شق غير شق الاخر
فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم
وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم
لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة
الله اى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان
الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه
صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة
فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه
تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله امنا وقيل على البدل من ملة ابرهيم او على الاغراء
ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اى
لا نشرك به كشرككم وهو عطف على امنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة الله فى مفعول قولوا
ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا امنا

بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا تجادلوننا فى الله فى شانه و
اصطفائه نبيا من العرب دونكم روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا
فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحلونه افحاما وتبكيتا
فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين
لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله فى اعطائها فلنا
ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى
قراءة ابن عامر والكسائى بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى اى الامرين
تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى
الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله
يعنى شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب
لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة
فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما فى قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة فى التحذير
والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفى هذه الاية
لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة فى الاول الانبياء وفى الثانى اسلاف اليهود والنصارى
سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر
يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين
النفس واعداد الجواب ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التى كانوا عليها يعنى بيت المقدس والقبلة
فى الاصل الحال التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة
قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه
وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه
الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم
الاية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم
امة وسطا اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم للمكان الذى تستوى اليه المساحة
من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع و
المذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما
اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل

اى يعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم
بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات
والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم
يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين
فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى
فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال امته فيشهد
بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على
امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول عليه السلام شهيدا عليهم وما جعلنا
القبلة التى كنت عليها اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها
بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت
قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل
الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس
الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك فى الصلوة
اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه
وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التى كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام
ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما
قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا
وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل
كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليُعلم على
البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما فى من من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن
ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هى المخففة من الثقيلة
واللام هى الفاصلة وقال الكوفيون ان هى النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا
القبلة التى كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة
الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم
اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلاتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما وجه
الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم
فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى
ربما نرى تقلب وجهك فى السماء تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين
وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك
قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلى جهتها

ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك اصرف
وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور
اى منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم
اى محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام كان
فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه
عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد
الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى
الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم
تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا
لتضمن كتبهم انه يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد
للفريقين ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة
للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما
تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع
لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له
وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم
بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا
يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على
سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحى انك اذا لمن
الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا
عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعنى علماءهم
يعرفونه الضمير لرسول الله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القران او التحويل
كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم
عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك
فى محمد انه نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص
لمن عاند واستثناء لمن امن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام
للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه
من الله كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اى هو
الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا
تكونن من الممترين الشاكين فى انه من ربك او فى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهى الرسول

عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه
ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة
او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين
محذوف اى هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة
الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اى هو مولى
تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين
او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اى موضع تكونوا
من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق
الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا
ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت من اى مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه لهو الحق
للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول
بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها
ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما تقرن المدلول بكل واحد من
دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان يؤكد
امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان
التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد
ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم
استثناء من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول
الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم
وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل
الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم
فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم ولاتم نعمتي عليكم
ولعلكم تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على
علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة
دخول الجنة وعن علي عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل
بما قبله اى ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده
اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء
قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على

انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد
النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة
التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة
الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء اى هم احياء ولكن لا
تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات
وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم
على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر
قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين
وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد
البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون
للقضاء بشيء من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف
عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم
به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف
وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد
العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم
فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب
للرسول او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام
كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق
لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون
على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة
في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف
والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا
لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة
وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد
البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على
الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت
الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة انما

الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير
وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر
بالدم وعن مالك والشافعي ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا
اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا
انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية
الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف
فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات
كالآيات الشاهدة على امر محمد صلوات الله عليه والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد
ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى
منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه
واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة
ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا
التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب
من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن
يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون
عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو
ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء
بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا
او لا ينظر اليهم نظر الرحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح
ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها لكن لا
يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها
وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدأ
محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت بآية نعرف بها صدقك فنزلت
ان في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات
مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه
على ذكر المطر والسحاب او لان منشأهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ
بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء
من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض
بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون

النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا و
البث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب
المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر
للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون
يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر
فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا
والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان
من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير
المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي
اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا
عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان
لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر
المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين
اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله
كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من
الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة
طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله العبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه
عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض
فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد و
يعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ
الانداد اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى
اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون
ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان
محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا
يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ترى بالخطاب وكذا وان الله شديد العذاب على الاستئناف
او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع
من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم
الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من
الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر

وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا
لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء
الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب
والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة
في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس حلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف
او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة
المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى
فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بسكون الطاء وهما لغتان في جمع
خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها وبفتحتين
على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة
وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء
والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر
تسفيها لرايهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف
لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء
ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من
اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه مستند الى مدرك شرعي فوجوبه
قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس
وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى
ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا
باتباع القران وسائر ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله الى الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال
او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر
الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد
واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة
ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف
مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق
عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع
اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم
في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن

لا تساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي
رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا
طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون
ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولي النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل
العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس
والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع
بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف
عنها او استثناء الشرع عنها والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان
وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية
الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك
اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر آخر ولا عاد
سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر
وهو ظاهر قول الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فان قيل
انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا
او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون في بطونهم
الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليها فكانه اكل النار كقوله
اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون
يوم القيامة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا
في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في
الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار
تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها
كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب
او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله
وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها
او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول
وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين

حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ
ولكن البر ما بينه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس
البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص البرّ بالنصب
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اى ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم
به بر من آمن او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب
الجنس او القرآن وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اى على حب المال
كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر
وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى يريد المحاويج منهم
ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة
وعلى رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذى اسكنته الخلة واصله دائم
السكون كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق
وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجاهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام
للسائل حق وان جاء على فرسه وفى الرقاب وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى
او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله
وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثانى اداؤها والحث عليها و
يحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث
نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين فى البأساء و
الضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على ساير الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر
والضراء فى الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا فى الدين واتباع
الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية
باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة
وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب
والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية
فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر
فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه
فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع
مالك والشافعى قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى عن على عليه السلام ان رجلا قتل
عبده فجلده الرسول ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم

بذى عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير و
للقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما فى
التورية فلا ينسخ ما فى القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ
الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه
وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء فى القرآن فمن عفى له من اخيه شئ اى شئ من العفو
لان عفا لازم وفايدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك وشئ
مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشئ بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجانى والى
الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدى به الى الذنب عدى الى الجانى باللام وعليه
ما فى الآية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما
من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اى فليكن اتباع
او فالامر اتباع والمراد به وصية العافى بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها
باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها على
مطلق العفو وللشافعى رضى الله عنه فى المسئلة قولان ذلك اى الحكم المذكور فى العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه
من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما
وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية
فله عذاب اليم فى الآخرة وقيل فى الدنيا بان يقتل لا محالة ولكم فى القصاص حيوة كلام فى غاية الفصاحة
والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس من الحكم نوعا
من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا
يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير
ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص او المراد بها الاخروية فان القاتل اذا اقتص
منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الآخرة ولكم فى القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا
والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ فى القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او فى
القرآن حيوة للقلوب يا اولى الالباب ذوى العقول الكاملة ناداهم للتامل فى حكمة القصاص من استبقاء
الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص
فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا اى مالا
وقيل مالا كثيرا لما روى عن على عليه السلام ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله
ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا اراد ان يوصى فسالته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت
كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين
والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصى او الايصاء ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن
بدله والعامل فى اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط
باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم

في ابتداء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والاحاديث
بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز
الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه
وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم
الذين خافوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم
من قولهم اخاف ان ترسل السماء جنفا ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين
الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان
الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم
وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك
عن المفطرات فانها معظم الصوم له وجاء او الاخلال باداءه لاصالته وتقدمه اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس
بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب
صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء او ثلاثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه
مفعول ثان لكتب على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدة الايام لما روي ان رمضان كتب على
النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا
ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه
ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام
اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل
الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين
للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند
فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع
وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق
بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه و
يطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات
يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية
فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد
في الفدية فهو اي التطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او
المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التأخير
للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه

وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره
ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلك شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام
صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا او بدل من اياما
معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف
للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للتعريف والتانيث وقوله عليه السلام
من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع
والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة
الذي انزل فيه القران اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل
منجما الى الارض او انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التوريه لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين و
الموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار
بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان
من القران اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل
بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل
فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب
الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت
يوم الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر
والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله
على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخره على سبيل اللف
فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير او للافعال كل لفعله او معطوف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا
ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير
تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال
وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد وحفص باسكان الكاف
وتخفيف الميم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال
العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد
للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم و
ليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ

نسخ السنه وحسنها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العده وحثهم على القيام بوظائف
التكبير والشكر عقبه بهذه الايه الداله على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على
اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى
ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشا او يرقدوا ثم ان
عمر رضه باشر بعد العشا فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا
بعد العشا فنزلت وليلة الصيام الليله التي يصبح منها صايما والرفث كنايه عن الجماع لانه لا يكاد يخلو
من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضا وايثاره هاهنا لتقبيح
ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانه وقرى الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب
الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطه وشدة الملابسه ولما كان الرجل
والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانه كالاكتساب
من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم
التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنه بالقران والمباشره الزاق البشره بالبشره كنى به عن الجماع
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه
الولد فانه الحكمه من خلق الشهوه وشرع النكاح لا قضا الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير الماتى
والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض
واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا
عن الاستعاره الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان اول ما يبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت ولم
ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح
فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجه جايز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك
ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشره الى الصبح الدلاله على جواز تاخير الغسل اليه وصحة
صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان اخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربه
والمراد بالمباشره الوطى وعن قتاده كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك
وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطى يحرمه ويفسده
لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اى الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب
الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان
حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد
بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر

والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى ولا ياكل بعضكم مال بعض على الوجه الذي لم يبحه الله وبين
نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلا الالقا
اى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طايفه من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما
كشهادة الزور واليمين الكاذبه او متلبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصيه مع
العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمي ادعى على امرى القيس الكندى قطعة من ارض ولم يكن له
بينه فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه السلام ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم
القاضي لا ينفذ باطنا ويويده قوله عليه السلام للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون
الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي
له قطعة من نار يسالونك عن الاهله ساله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم وقالا ما بال الهلال يبدو
دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج
فانهم سالوا عن الحكمه في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهره
في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها
وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه ادا وقضا والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه
وبين المده والزمان ان المده المطلقه امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان
مده مقسومه والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن
البر من اتقى كان الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون
من نقب او فرجه وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى
المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت
الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوه
عقب بذكره جواب ما سالوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسالوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها
او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السوال وتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من وراءه والمعنى وليس
البر ان تعكسوا مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها
اذ ليس في العدول بر او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله
لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين
يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين
يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنه والنسا
او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويويد الاول ما روى ان المشركين صدوا
رسول الله عام الحديبيه وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكه ثلثة ايام فرجع لعمرة القضا
وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتدا
القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة او المثله او قتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين

يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق
في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح
والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل
لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم
فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد
الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين
مثل ذلك يفعل جزاؤهم بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد
سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا
عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان تظلم الا من ظلم فوضع
العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة
القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات
قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة
شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا
الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل
الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق
فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز
الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب
المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء
طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك
والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها
آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او
تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله
وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله
العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما
مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان

وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان
تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم
منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر
العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر
العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج
فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت
الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر
او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح
هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية
بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن
انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي
المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه
حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء
والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية
كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل ففدية
فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام
قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق
بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة آصع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال
امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج
فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم
بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة
ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين
والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر
وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني
ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب
وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد
جملة كما علم مفصلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون
الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة
فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة لانه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد

الحرام عند من فعل ذلك منهم فعليه دم جنايته لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على
مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل منها مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل
عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد
العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات
معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله
عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من
المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد
استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض
فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو
دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام
ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم
والرفقة في الحج في ايامه نفى الثلاثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت
منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن
مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث
ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب
فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على
الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا
لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون
يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود
بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب
بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد
الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت
معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة
من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت
من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين
المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم
الصرف وههنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع
الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه
من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام
فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحواء

التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا
ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله
ثم افيضوا او مقدمة الذكر المأمور به واجب وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والمأمور به غير مطلق فاذكروا الله
بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشاءين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى
قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني
بمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما
سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر ما يليه ويقرب منه فانه
افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا
حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي
الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية
واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من
المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا
بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل
من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من
قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم
في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم
فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما
تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون
مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى
فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد مذكورا منكم آباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا
اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب
به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه من يقول ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا و
منحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة
يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة
الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة
وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة
للمراد بها اولئك لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا
او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب
العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا
الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح

57 A

القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القرّ والذي بعده اي
فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر
فلا اثم عليه ومن تأخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه
على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثّم
المتعجل ومنهم من اثّم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على
الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم
واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك
قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق
بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مرادة من ادعاء المحبة و
اظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه
من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على
ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو ألدّ الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة
ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم
واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك
الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله
ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة
وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته
اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب
ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطى
للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى
يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون
وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا انفعكم ان كنت معكم ولا اضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه
وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرا وكلفهم
بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم
بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي
وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث
كالحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا
لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره
والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله كلها

ادخلوا

بالإيمان بالأنبياء والكتب جميعاً والخطاب لأهل الكتاب أو في شعب الإسلام وأحكامه كلها فلا تخلوا
بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق فاعلموا
أن الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم إلا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده
إلا أن يأتيهم الله أي يأتيهم أمره أو بأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا أو يأتيهم الله ببأسه فحذف
المأتي به للدلالة عليه بقوله إن الله عزيز في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما أظلك وقرئ ظلال كقلال من
الغمام السحاب الأبيض وإنما يأتيهم العذاب فيه لأنه مظنة الرحمة فإذا جاء منه العذاب كان أفظع لأن
الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب فكيف إذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فإنهم الواسطة
في إتيان أمره أو الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفاً على ظلل أو الغمام وقضي الأمر أتم أمر
إهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الأمر عطفاً على
الملائكة وإلى الله ترجع الأمور قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم على أنه من الرجع وقرأ الباقون على
البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على أنه من الرجوع وقرئ أيضاً بالتذكير وبناء المفعول سل بني إسرائيل
أمر للرسول أو لكل أحد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة أو
آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على أيدي الأنبياء وكم خبرية أو استفهامية مقررة ومحلها
النصب على المفعولية أو الرفع بالابتداء على حذف العائد إلى المبتدأ وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل
نعمة الله أي آياته فإنها سبب الهدى الذي هو أجل النعم يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس أو بالتحريف
والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت إليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بأنهم بدلوها بعد ما
عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فإن الله شديد العقاب فيعاقبه أشد عقوبة لأنه ارتكب
أشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في أعينهم وأشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا
عليها وأعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى إذ ما من شيء إلا وهو فاعله ويدل عليه قراءة
زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الأمور البهية والأشياء
الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب
أي يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا مبدأ
السخرية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لأنهم في عليين وهم في أسفل السافلين أو لأنهم في كرامة وهم
في مذلة أو لأنهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وإنما قال والذين اتقوا بعد قوله من
الذين آمنوا ليدل على أنهم متقون وأن استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب
بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجاً تارة وابتلاء أخرى كان الناس أمة واحدة متفقين على
الحق فيما بين آدم وإدريس أو نوح أو بعد الطوفان أو متفقين على الجهالة والكفر في فترة إدريس أو نوح
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين أي فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا
فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور
في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وأنزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به أنه أنزل مع كل

ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا التزيين هو التحسين المدرك بالحس دون
المدرك بالعقول ولهذا جاء في أوصاف الدنيا دون أوصاف الآخرة
والمزين في الحقيقة هو الشيطان فإنه حسن الدنيا في أعينهم وحببها
إليهم وقراءة زين على البناء للفاعل والحمية ما يبعث على الإسناد
المجازي فإنه لما أمهل المزين ولم يعاجله زينت أو زينها حتى استحسنوا
وأحبوها ومن قال المزين على الحقيقة هو الله إذ ما من شيء إلا وهو فاعله
أخطأ في الدعوى وما أصاب في الدليل أما الأول فلأن التزيين
صفة تتقوم بالشيطان وإن علم الحقيقة أنه تتقوم به تلك الصفة
وليت شعري ما يقول هذا القائل في [illegible] الضلالة وأما الثاني
فلأن مبناه عدم الفرق بين الفاعل [illegible] الذي كلامنا فيه
والفاعل الخلاق الذي نعول عن هذا المقام

واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب
اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق
الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب
المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما
جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه
اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما
ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل
الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستئناف
وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين امنوا معه لتناهي
الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرئ يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية
كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب استئنافا على ارادة
القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز
بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رض ان عمرو بن الجموح
الانصاري كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما
انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان
المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية
واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به
عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكاة
لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل
بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم
اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير
لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان
النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه
دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عم
بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش
فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة
الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا

58

يامن فيه الخائف ويتفرق فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح
حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله
الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا
وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه
كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وصد
صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام
على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دؤاد اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا
ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على
الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار
واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على
الظن وهو خبر عن الاشياء المعدودة من كبائر قريش وافعل من مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوا من قتل الحضرمي
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها
حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد
لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن
يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط
الاعمال وهو مذهب الشافعي رح والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا
لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم
ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة و
الجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا
بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة
احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسألونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن
ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر
من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم
وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام احدهم فقرأ
اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان
بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه
هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا بيانا
شافيا في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل
مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا

لانه يسكر اي يحجز وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر
اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به
القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما قل فيهما اي في تعاطيهما
اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور وارتكاب المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب
والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة
واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة
للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر
ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن
كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر
له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى النبي
عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى
كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله
كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما
بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي
تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون
في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون
عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث
على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله
يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد او اصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه
ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة
ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له
الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين
والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون لكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته
عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان
تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة
اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس كلهم عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها
والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا

وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين
ولو اعجبكم اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي
الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم
الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى
ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود
والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء
والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في
اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض
مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام
انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو
الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما
وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان
لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش
يطّهّرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تأخر جواز الاتيان
عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي
المأتى الذي حلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش
والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها
لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان
لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع
امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم
ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم
امر الرسول صلوات الله عليه ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح
لافترائه على عائشة او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح
بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر
ومعنى الآية على الاول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور
المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو
خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها بيان واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون

للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني
ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف
مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان
الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله
سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من
كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب
لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله
بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات
فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا
يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ
باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون
على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن
تربص اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف
اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك
قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءوا رجعوا في اليمين بالحنث فان الله
غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي
كالتوبة وان عزموا الطلاق فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة
الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح
الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان
ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات
والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار
بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء
رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى
الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها
وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول
الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال
على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع
لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان
في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق
قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي
هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات

ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد
والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله
واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ
عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن
ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر
الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن
البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل هاهنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في
زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة
بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل
حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق
وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة
لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق
والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق
الرجعي اثنان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق
الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة
وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى
تبين والحكم الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت
تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه
شيء والله ما اعتبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب
الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت واختلعت
منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع
وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان
يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة
احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته
عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله
فلا جناح عليهما على الرجل فيما افتدت به في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه
تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود
الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع
لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام
ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة

اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه
ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء
واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها
فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر
انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق
مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا
تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى
تنكح زوجا غيره حتى يتزوج غيره والنكاح يسند الى كل واحد منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر
على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روى ان امراة رفاعة قالت
لرسول الله ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل
هدبة الثوب فقال رسول الله اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ
الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها
والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله المحلل و
المحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج
الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله
وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن و
لا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله
اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النسا فبلغن
اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال
كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ الوصول الى الشي وقد يقال للدنو منه على الاتساع
وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد
انقضا الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة
الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق
يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة
ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجا الى الافتدا واللام
متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله
هزوا بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهى عن
الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه
عليه الصلوة والسلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتق واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة

افردهما بالذكر لاظهار الشرف يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شي عليم تاكيد وتهديد
واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق
البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاوليا لما روى انها نزلت في معقل بن
يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة
لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب
توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركوهن يتزوجن
عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاوليا والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد
فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنسا وهو ظرف
لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال من الضمير المرفوع
او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو
غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب
والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم
الاخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع لكم واطهر من دنس الاثام والله
يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه
بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر
او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن
حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه
الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه
وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة
الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومون المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في
استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة النكاح بالمعروف
حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المون والتقييد بالمعروف ودليل
على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل
له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البنا للفاعل والفتح على البنا
للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والبا من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في
تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه
من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا

على استصلاحه والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضرا به او يقصرا فيما ينبغي له وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى
المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اى
يؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين
يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى
وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب
على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا صادرا عن
التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الراي
من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك لما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا
ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع
اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها
فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع
الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله اذا قمتم الى الصلوة
وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجر
بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله
وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة
في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين او والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم
وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا
الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل
المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان
انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة والحامل وغيرها لكن القياس
اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن
اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن في
انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع
ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون
خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء المعتدات والتعريض والتلويح ايهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر
لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر

اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة
وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او
اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن
وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب
فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا
قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة
معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا
تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت
معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم
مبالغة في النهي عن العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان
اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم
على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية منه حليم لا يعاجلكم بالعقوبة
لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن او تفرضوا لهن
فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى
مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة
المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة
ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية نفي الوجوب في الصورة
الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب في الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن
والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره اى على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام
لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار
على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب
المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا
وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا
او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى
المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن او فالواجب
نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها
الا ان يعفون اى المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول
ضميره والنون علامة الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر ان هنا ونصب المعطوف

وقرا حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء والالف في جميع القرآن

عليه أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي رضي وان تعفوا أقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النسا عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض إن الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلم يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوة عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلم افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة انه عليه السلم كان يقرا والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فإن خفتم من عدو او غيره فرجالا أو ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل ورجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي رض وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فإذا أمنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازنه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا إلى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرا لانه بمعنى التمتيع غير إخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فإن خرجن من منزل الازواج فلا جناح عليكم أيها الائمة فيما فعلن

في أنفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها ألم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب إلى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم ألوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم أحياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب منه فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء إن الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن أكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا أن الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرا ابن كثير فيضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب أضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعماية واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وإليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم ألم تر إلى الملإ من بني

الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى أي من بعد وفاته ومن للابتداء
إذ قالوا لنبي لهم هو يوشع أو شمعون أو اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله أقم لنا أميرا ننهض معه
للقتال يدبر أمره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على أنه حال أي ابعثه لنا
مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم إن كتب عليكم
القتال ألا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال إن كتب عليكم
فأدخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل
الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي أي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث
عليه من الإخراج عن الأوطان والإفراد عن الأولاد وذلك أن جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني إسرائيل فأخذوا ديارهم وسبوا أولادهم
وأسروا من أبناء الملوك أربعمائة وأربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد
أهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم
طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع الصرف روي أنه
عليه الصلاة والسلام لما دعا الله أن يملكهم أتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت قالوا
أنى يكون له الملك علينا من أين يكون له ذلك ويستأهل ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
والحال أنا أحق منه بالملك وراثة ومكنة وأنه فقير لا مال له يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن طالوت كان فقيرا
راعيا أو سقاء أو دباغا من أولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وإنما كانت النبوة في أولاد لاوي
ابن يعقوب والملك في أولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده
بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك أولا بأن العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانيا
بأن الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية وجسامة البدن ليكون أعظم خطرا في
القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد
يده فينال رأسه وثالثا بأنه تعالى مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتيه من يشاء ورابعا بأنه واسع الفضل
يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على أنه
سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب
فإنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله أبدله
منه كما أبدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة والمراد به صندوق التوراة وكان من خشب
الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للإتيان أي
في إتيانه سكون لكم وطمأنينة أو للتابوت أي مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام
إذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها
رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فإذا
استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الأنبياء من آدم إلى محمد عليهم السلام وقيل التابوت القلب والسكينة

إن الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني
المنافقين وقالوا لإخوانهم لأجلهم وفيهم ومعنى أخوتهم اتفاقهم في النسب أو المذهب إذا ضربوا في الأرض
إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها وكان حقه إذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية
أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على أن
إخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على أن اللام لام العاقبة
مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة
في قلوبهم خاصة وذلك إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم
ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فإن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم
أي هو المؤثر في الحياة والممات لا الإقامة والسفر فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على أنه وعيد
للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم أي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من
مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى أن السفر
والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل وإن وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت
خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم أو قتلتم على أي وجه اتفق هلاككم
لإلى الله تحشرون لإلى معبودكم الذي توجهتم إليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا إلى غيره لا محالة تحشرون فيوفي
جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم أي فبرحمة وما مزيدة
للتأكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم
حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك
لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الأمر أي في
أمر الحرب إذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة
المشاورة للأمة فإذا عزمت فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء
أمرك على ما هو أصلح لك فإنه لا يعلمه سواه وقرئ فإذا عزمت على التكلم أي فإذا عزمت لك على شيء وعينته
لك فتوكل علي ولا تشاور فيه أحدا إن الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح إن ينصركم الله
كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم أي فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم
من بعده من بعد خذلانه أو من بعد الله بمعنى إذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل
وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي أن يغل وما صح لنبي أن يخون
في الغنائم فإن النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية
والمراد منه إما براءة الرسول عما اتهم به إذ روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله أخذها أو ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم وإما المبالغة في النهي للرسول على ما روي أنه بعث

طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين
غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول
والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي
غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء
ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود
والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا
ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم أفمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء بسخط من الله
بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى
ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او
هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد
من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة
انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من
نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين
به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اي القرآن
بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى
ان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر أولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم
انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم
كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال
انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل
هو من عند انفسكم مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات
والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين
يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين
وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا
داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان
يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد
المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح
ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخذالهم وكلامهم هذا فانهما اول
امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخذالهم ومقالهم

تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا
يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق
وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع
بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم
كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا
حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن
انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا
عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال
يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على
اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ
جاز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ
بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء فرحين
بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم
الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا
فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين
والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا
ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل
على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه
وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل
معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا
به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث
على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون
بنعمة من الله وفضل كرره للتأكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله ألا خوف عليهم ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم
بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه لقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرها للتعظيم
وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استئناف
معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين
احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد
لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا

همّوا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا إلا من حضر
يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة وكان بأصحابه
القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم
الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي وأطلق عليه الناس لأنه من جنسه
كما يقال فلان يركب الخيل وماله إلا فرس واحد أو لأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه إن الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني أبا سفيان وأصحابه روي أنه نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم
بدر القابل إن شئت فقال صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فأنزل
الله الرعب في قلبه وبدا له أن يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير
من زبيب إن ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من
الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريدا أفترون
أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج
في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم إيمانا الضمير المستكن للمقول أو لمصدر قال أو لفاعله إن
أريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله
وازدادوا إيمانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص
ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة
وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر إن جعل الطاعة من جملة الإيمان وكذا إن لم يجعل فإن اليقين
يزداد بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من أحسبه إذا كفاه
ويدل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل
الموكول إليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الإيمان وزيادة فيه وفضل
ربح في التجارة فإنهم لما أتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد
عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل
عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين
وإظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم وإصابة النفع مع ضمان الأجر حتى انقلبوا
بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به إنما ذلكم
الشيطان يريد به المثبط نعيما أو أبا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته
أو صفته وما بعده خبر ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي إنما ذلكم قول الشيطان
يعني إبليس يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان
وأصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الأول وإلى الأولياء على الثاني وخافون في مخالفة أمري
فجاهدوا مع رسولي إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين أو قوم ارتدوا
عن الإسلام والمعنى لا يحزنك خوف أن يضروك ويعينوا عليك لقوله إنهم لن يضروا الله شيئا أي لن يضروا أولياء

الله بمسارعتهم في الكفر وإنما يضرون بها أنفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة
نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الإرادة إشعار بأن كفرهم
بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته وأن مسارعتهم في الكفر لأنه
لم يرد لهم أن يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان من الثواب إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان
لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم تكرير للتأكيد أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين
أو ارتد من الأعراب ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل
من يحسب والذين مفعول وأنما نملي لهم بدل منه وإنما اقتصر على مفعول واحد لأن التعويل على البدل
وهو ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو المفعول الثاني على تقدير مضاف
مثل لا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء
خير لأنفسهم وما مصدرية فكان حقها أن تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الإمام فاتبع وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على أن الذين فاعل وأن مع ما في حيزه مفعول وفتح
سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والإملاء الإمهال وإطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من
أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء إنما نملي لهم ليزدادوا إثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها
وما كافة واللام لام الإرادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ إنما بالفتح وبكسر الأولى ولا يحسبن بالياء على
معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم بل للتوبة والدخول في الإيمان وإنما نملي لهم
اعتراض معناه أن إملاءنا لهم خير إن انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز أن يكون حالا
من الواو أي ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز
الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره صلى الله عليه وسلم والمعنى لا يترككم مختلطين
لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي إلى نبيه بأحوالكم أو بالتكاليف الشاقة التي
لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم كبذل الأموال والأنفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم
ويستدل به على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء
وما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء
فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الإخلاص
أو بأن تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يقولون إلا
ما أوحي إليهم روي أن الكفرة قالوا إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي
أنه صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي أمتي وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون إنه يزعم أنه يعرف من يؤمن
به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وإن تؤمنوا حق الإيمان وتتقوا النفاق فلكم أجر عظيم لا يقادر
قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرأ
بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء إن جعل
الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم أو من يحسب وإن جعله الموصول كان المفعول الأول محذوفا لدلالة يبخلون
عليه أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو أي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا

يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل
لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله
ما فيهما مما يتوارث فما لهم يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه في
سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فمجازيكم وقرا
نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله وروي انه صلى الله عليه وسلم
كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا
الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا
ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه
لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في
صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقران
والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترا
على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرا حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء
وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب
المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات
والحالات وذكره هاهنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب
حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك
اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس
لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث
ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف
ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول
حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني
اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى
طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو
وسائر المعجزات سواء في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم
فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن
جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر
والكتاب المنير تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرفنا القران ما يتضمن الشرائع والاحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته

اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس
ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله
ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم
القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله
صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها
والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد
والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا
اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه
وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع
غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات وانفسكم
بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين
واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا
للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر
والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به
وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه
ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب والكلام جواب القسم الذي ناب
عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه
ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب
عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها
فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار
وعن علي عليه السلام ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس
وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق
بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول
وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل
ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم

تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب أليم بكفرهم وتدليسهم روي انه صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن
شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل
نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت
في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة
ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد
لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب
لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب
الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال
هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير
العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن
قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين
وقاعدين ومضطجعين وعنه صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه
يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء فهو حجة للشافعي في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن
مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل
العبادات كما قال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه صلى الله عليه وسلم
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا
اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت
هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه
اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا
من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا
يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها
لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه
وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء وهو نظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان
فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار
بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من
نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان
اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على
نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول وقيل

القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنهما معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا
اي بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها
مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم
وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب
واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما ظهرت الدلائل
لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء
عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا
منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه
انك لا تخلف الميعاد باثابة المومن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير
ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال
خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه
وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان
عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال
والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد
للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى
فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب
ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب
ترتيبا والثاني افضل ولان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير
وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده
حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل
للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ
ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المومنين كانوا يرون
المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت
متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمومنين قال
صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد
اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله
النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش
ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل

انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه
الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل
في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا
وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون
انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف
وما انزل اليكم وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار
المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند
ربهم ما خص بهم من الاجر ووعده في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب
لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر
الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على
مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب
واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا
ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال صلى الله عليه وسلم من الرباط
انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل
صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون
واتقوه بالتبري عما سواه لكي تظفروا بغاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث
المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات بالشريعة ومصابرة النفس في رفض العادات
السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي
يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء

مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم وخلق منها زوجها عطف
على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه او على محذوف تقديره
من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات
كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا
حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي
من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر
بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق
وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا
فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي

بالرحم والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أي اتقوا الله
واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة
وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به وقد نبه سبحانه
إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من
وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله إن الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى
أموالهم إذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة
إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على أنه جمع على
يتمى كأسرى لأنه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى وأسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه
على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية إما للبلغ على الأصل أو الاتساع
لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس
منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم صغارا أو لغير البلغ والحكم مقيد وكأنه قال وآتوهم إذا بلغوا ويؤيد
الأول ما روي أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه
فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس
بتبدل ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم أي لا تنفقوها معا ولا تسووا بينهما
وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف إنه الضمير للأكل كان
حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حَوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وإن خفتم ألا
تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء أي إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا
تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها
ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن أو إن خفتم أن لا تعدلوا
في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء
بحقه لأن المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج الذنوب كلها على ما روي أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا
من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية
اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل
لكم وإنما عبر عنهن بما ذهابا إلى الصفة أو إجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أو ما
ملكت أيمانكم وقرئ تَقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة أي إن خفتم أن تجوروا مثنى وثلاث
ورباع معدولة عن أعداد مكررة ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا غير منصرفة للعدل والصفة
فإنها بنيت صفات وإن كانت أصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فإنها معدولة باعتبار
الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء
من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة
ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف

في العدد فإن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد أيضا فواحدة فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على أنه فاعل محذوف أو خبره تقديره فتكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة أو ما ملكت أيمانكم سوى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك أي التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسري أدنى ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا يقال عال الميزان إذا مال وعال الحاكم إذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بأن لا تكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الأزواج وإن أريد الأولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر إلى مفهوم الآية لا إلى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لأنها في معنى الإيتاء أو الحال من الواو أو الصدقات أي آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا إذا دان به على أنه مفعول له أو حال من الصدقات أي دينا من الله شرعه والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى أو يجري مجرى اسم الإشارة كقول رؤبة في قوله كأنه في الجلد توليع البهق أراد كأن ذاك وقيل للإيتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فإن وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمنه معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها وإنما أضاف المال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم وإنما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على أنفسهم وهو أوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما أي تقومون بها وتنتعشون وعلى الأول يؤول بأنها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرأ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم اجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بأن تحتلم أو يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم إذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ما له وما عليه وأقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند أبي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لأنه يصلح للنكاح عنده حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فإن أبصرتم منهم رشدا وقرئ أحستم بمعنى أحسستم فادفعوا إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن الشرطية جواب إذا المتضمنة معنى الشرط والجملة

غاية الابتلاء كأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وهو دليل على أنه لا يدفع إليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة إذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع إليه المال وإن لم يؤنس الرشد ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من أكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته وأجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال الصبي وعنه صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وإيراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على أنه نهي للأولياء أن يأخذوا وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم بأنهم قبضوها فإنه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بإعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله أو حال إذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي أن أوس بن صامت الأنصاري خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين ممن لا يرث فارزقوهم منه فأعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل أمر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك أو ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو أن يدعو لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم أمر للأوصياء بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضر بهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده وتهديد

71 A

للخائف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعد ما امرهم
بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة
الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون
في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما
من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى
ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش
عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته
وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا ألهبتها يوصيكم الله يأمركم
ويعهد اليكم في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر
بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد
الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى
للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار
الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة
واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى
جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين
اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة
العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث
مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما
الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته
التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا السدس مما ترك ان كان له
للميت ولد ذكرا او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض
ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فقط فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة
الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكأنه قال
فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله
الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة
والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة
يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وبه قال ابن عباس … من غير اعتبار التثليث سواء كان
من الاخوة او الاخوات قال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص

اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية
يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصبا للورثة من بعد
ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان
في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة
في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور
اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم
وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصيكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه
روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته
او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضا وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم
ماله فهو اعتراض موكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر موكد او مصدر
يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر
ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى ولد
وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من
بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن
الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في
النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق
والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اى الميت يورث اى يورث منه من
ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا
والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث
ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرى يورث على البنا للفاعل فالرجل الميت وكلالة
تحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر
بمعنى الكلال قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها
كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة
عطف على رجل وله اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت
اى من الام ويدل عليه قراة ابي وسعد بن مالك وله اخت او اخ من الام وانه ذكر اخر السورة ان
للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب
ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين
الذكر والانثى في القسمة لان الادلا بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة
كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار
اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا
يلزمه وهو حال عن فاعل يوصى المذكور في هذه القراة والمدلول عليه بقوله يوصى على البنا للمفعول في قراة

ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصيةً من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول
به ويؤيده ان قرئ غير مضارِّ وصيةٍ بالاضافة اى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه
بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم
لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله
شرائعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن
عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا
وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتى يأتين
الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها و
الفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن
اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن
فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة
الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن
بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء
بقوله الزانية والزانى او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى
عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعنى الزانى والزانية فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير
والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر
ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة على الاولى
نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات وهذه فى
اللواطين والزانية والزانى فى الزناة انما التوبة على الله اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله
بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان
ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من
قريب من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله قل متاع الدنيا
قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى
يتوبون فى اى جزء من الزمان القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء
فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان
الله عليما فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار
سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة

للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة كانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد
بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء
اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان
العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله
اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل
اذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول
وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك
وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ
حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفى اى ولا تمنعوهن
من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج
كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله
كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة
وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت
ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا لان يأتين بفاحشة وعاشروهن بالمعروف بالانصاف
فى الفعل والاجمال فى القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اى
فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه و
لكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى
فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج
مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى فلا تأخذوا منه شيئا اى من القنطار أتأخذونه بهتانا
واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اى أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة
كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم
اذا اراد جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى
تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل
الباطل ولذلك فسرها هنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر
والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا
وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان او ما اشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التى نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به
الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما
قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهى وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف

او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى ولا تنكحوا حلائل اباكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثنا منقطع ومعناه
لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي
ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك
سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم
نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة
ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم
تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثه
وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخاله كل انثى ولدها من ولد انثى
ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم و
اخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا
وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن ولذلك قال عليه السلام يحرم من
الرضاع ما يحرم من النسب واستثنا اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح
فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة
فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من اخر سمي به لانه يربه
كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التا لانه صار اسما واللاتي بصلتها
صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا
علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم
والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادبا اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله
فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النسا وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول
صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج
ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلما غير انه روي عن علي عليه السلم تقييد التحريم
فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنساين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم
تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده
قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقا بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب
جمهور العلما وقد روي عن علي عليه السلم جعله شرطا والامهات والربائب يتناولن القريبة والبعيدة
وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطي بشبهة
او ملك يمين وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح
عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها

مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع
الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة
في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه
الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان آية التحليل مخصوص
في غير ذلك ولقوله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى
او منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء
ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما
ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح
مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا
النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي
واطلاق الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا
وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل
المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت
ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات
الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى
احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين
غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين
او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه
والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو
صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم
به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة
حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة
او مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخ كما روي انه
صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم
ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة و
تمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من
الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات
في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او
من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات

من الإماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع
نكاح الأمة الكتابية مطلقا وأول أبو حنيفة طول المحصنات بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو
الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الأفضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن أصحابنا
من حمله أيضا على التقييد وجوز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة
الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الأمة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج
والله أعلم بإيمانكم فاكتفوا بظاهر الإيمان فإنه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الإيمان فرب
أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل الإيمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح
الإماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من
آدم ودينكم الإسلام فانكحوهن بإذن أهلهن يريد أربابهن واعتبار إذنهم مطلقا لا إشعار
له على أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن أجورهن أي أدوا
إليهن مهورهن بإذن أهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره أو إلى مواليهن فحذف المضاف للعلم بأن
المهر للسيد لأنه عوض حقه فيجب أن يؤدى إليه وقال مالك المهر للأمة ذهابا إلى الظاهر بالمعروف
بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات
أخدان أخلاء في السر فإذا أحصن بالتزويج فإن أتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات
يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على أن حد العبد
نصف حد الحر وأنه لا يرجم لأن الرجم لا يتنصف ذلك أي نكاح الإماء لمن خشي العنت منكم
لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الأصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر
أعظم من مواقعة الإثم بأفحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الإماء
وأن تصبروا خير لكم أي وصبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح
البيت والإماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بأن رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم
به من الحلال والحرام أو ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم وليبين مفعول يريد واللام
مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة كما في قول قيس بن سعد أردت لكيما يعلم الناس أنه
سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له أي يريد الخير لأجله ويهديكم
سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طرقهم ويتوب عليكم ويغفر
لكم ذنوبكم أو يرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة أو إلى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله
عليم بها حكيم في وضعها والله يريد أن يتوب عليكم كرره للتأكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون
الشهوات يعني الفجرة فإن اتباع الشهوات الائتمار لها وأما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون
غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فإنهم يحلون الأخوات من الأب
وبنات الأخ والأخت أن تميلوا عن الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات
عظيما بالإضافة إلى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله أن يخفف عنكم
فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأمة

وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الصاد
والباقون بضمها وكسر الصاد

وخلق الإنسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس ثمان آيات
في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث إن تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به إن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله
بعذابكم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا
والقمار إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع أي ولكن كون تجارة عن تراض غير
منهي عنه أو اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين
وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لأنه أغلب وأوفق لذوي المروءات
ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وقرأ
الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة وإضمار الاسم أي إلا أن تكون التجارة أو الجهة
تجارة ولا تقتلوا أنفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند أو بإلقاء النفس إلى التهلكة ويؤيده ما
روي أن عمرو بن العاص تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم أو بارتكاب ما
يؤدي إلى قتلها أو باقتراف ما يذللها ويرديها فإنه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالأنفس
من كان من أهل دينهم فإن المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي
هو شقيقها من حيث إنه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها
رأفة بهم ورحمة كما أشار إليه بقوله إن الله كان بكم رحيما أي أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته
عليكم ومعناه أنه كان بكم يا أمة محمد رحيما لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك
إشارة إلى القتل أو ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما إفراطا في التجاوز عن الحق وإتيانا بما لا
يستحقه وقيل أراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف
نصليه نارا ندخله إياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية و
يصليه والضمير لله أو لذلك من حيث إنه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه
ولا صارف عنه إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ
كبير على إرادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والأقرب
أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا أو صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنها سبع الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف
المحصنة وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس الكبائر
إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع وقيل أراد به هاهنا أنواع الشرك لقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به
ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالإضافة إلى ما فوقها وما تحتها فأكبر الكبائر
الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الأمران فمن عن له أمران
منها ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من
الثواب على اجتناب الأكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال ألا ترى أنه تعالى
عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا أن يؤاخذ عليها وندخلكم

ومجده أو بالجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسئلوا الله من فضله اى لا تتمنوا ما للانسان واسئلوا الله مثله من خزائنه التى لا تنفد وهو يدل على ان المنهى هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شئ عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اى ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عقدت ايمانكم موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالى وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى ان الله كان على كل شئ شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبى وكسبى فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالطلاق وبما انفقوا من اموالهم فى نكاحهن كالمهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات

بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اى يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال وعنه صلى الله عليه وسلم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذى حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتى تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن فى المضاجع فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اى لا تبايتوهن واضربوهن يعنى ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلثة مرتبة ينبغى ان يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه تعالى يتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجه اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثانى للزوجين اى ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اى ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذى القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذى القربى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما والجار الجنب البعيد او الذى لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك

وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت أيمانكم العبيد والإماء إن
الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم فخورا يتفاخر
عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه
أي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس
بالبخل به وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
الغنى والعلم فهم أحقاء بكل ملامة وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر
إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان
النعمة بالبخل والإخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار تنصحا لا
تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون
أموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وإنما شاركهم في الذم والوعيد لأن البخل
والسرف الذي هو الإنفاق لا على ما ينبغي من حيث إنهما طرفا إفراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب
الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ليتحروا بالإنفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له
قرينا فساء قرينا تنبيه على أن الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله إن المبذرين
كانوا إخوان الشياطين والمراد إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة ويجوز أن يكون وعيدا
لهم بأن يقرنهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم
الله أي وما الذي عليهم او أي تبعة تحيق بهم بالإيمان والإنفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل
بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي
بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه
ينبغي أن يجيب إليه احتياطا فكيف إذا تضمن المنافع وإنما قدم الإيمان ههنا وأخره في الآية
الأخرى لأن القصد بذكره إلى التخصيص ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم إن الله
لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة
ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم
جزاؤه وإن تك حسنة وإن يكن مثقال الذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر او لإضافة
المثقال إلى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع
على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى
ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل
أجرا عظيما عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لأنه تابع للأجر مزيد عليه فكيف إذا جئنا من كل أمة
بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد
عقائدهم وقبح أعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن وجئنا بك
يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم

وقيل هؤلاء إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل إلى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض بيان لحالهم
أي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الأمر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت أن يدفنوا فتسوى
بهم الأرض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون
كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون أن يسوى بهم الأرض وحالهم أنهم
لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روي أنهم إذا قالوا ذلك ختم الله
على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرأ نافع وابن
عامر تسوى على أن أصله تتسوى فأدغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء
الثانية يقال سويته فتسوى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما
تقولون أي لا تقوموا إليها وأنتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم
روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة
فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون
فنزلت وقيل أراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان
الصلاة وإنما المراد النهي عن الإفراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح
وسكرى على أنه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وأنتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على أنها صفة الجماعة
ولا جنبا عطف على قوله وأنتم سكارى إذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي أصابه
الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأنه يجري مجرى المصدر إلا عابري سبيل
متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من أعم الأحوال أي ولا تقربوا الصلاة جنبا في عامة الأحوال إلا في
السفر وذلك إذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا أي جنبا غير
عابري سبيل وفيه دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل
بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة لا يجوز له المرور في
المسجد إلا إذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية
تنبيه على أن المصلي ينبغي أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وإن
كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فإن الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول إليه
أو على سفر لا تجدون فيه أو جاء أحد منكم من الغائط فأحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين وأصل
الغائط المطمئن من الأرض أو لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على
أن اللمس ينقض الوضوء وقيل أو جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن
الجماع أقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله إذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا
التقسيم أن المترخص بالتيمم إما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الأمر مرض او سفر والجنب
لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر أسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث
بالعرض واستغنى عن تفصيل أحواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكأنه قيل وإن

كنتم جنبا مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اى فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو
ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب
لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف
اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روى انه صلى الله عليه وسلم
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد هنا وايديكم الى المرافق
ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر
اى الم تنظر اليهم او القلب وعدى بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية
لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم
منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون
ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا
به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين
هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او
صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن
مواضعه اى ومن الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله
بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم
بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير
مسمع اى مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما
ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها
من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم
فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا
وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون
من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا و
اسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل
وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم
ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به
وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه
او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم
من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على
هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام

الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك جعل معناه من قبل
ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث
جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء
او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق
بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ
كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب
الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى
الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا
قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله
بايقاع شيء او وعيد او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا
ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد
للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اى ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا
عليه واحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم
يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد
بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل
التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك
وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه
الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول
يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل
وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء
تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من
حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح
فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره
وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب بها المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من
اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود
كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في حيي بن
اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا

حتى نطاوعكم فتعلموا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله
الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره و
يقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا
وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة
او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد
لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك
فاذن لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم
بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم
اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفاء
لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا بالنصب ام يحسدون الناس
بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما
حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم ووبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل
وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز
وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء عمه الكتاب
والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به
بمحمد صلى الله عليه وسلم او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء امرك
وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم
من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم
قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم
لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها
فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم
على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا
ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة و
الظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت في يوم الفتح في عثمان
بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى
ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده

اليه فامر عليا عليه السلام بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة
في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا
قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله
نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او
مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في
الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول
وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها
على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد
الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على
طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة
الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة
دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس
ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب
ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم
بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى
الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق
الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم
الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال
نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال
هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي
الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط
طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما
قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت
جمع لقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا
بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك
صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس
في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم
من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل

عما يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا ما أردنا بذلك
إلا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القتيل
طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه
أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب
فأعرض عنهم أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم
عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم في معنى أنفسهم أو خاليا بهم فإن النصح في السر أنجع قولا بليغا
يبلغ منهم ويؤثر فيهم أمرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب
وذلك مقتضى شفقة الأنبياء وتعلق الظرف ببليغا على معنى بليغا في أنفسهم مؤثرا فيها ضعيف
لأن معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الأصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به
وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذنه في طاعته وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه
وكأنه احتج بذلك على أن الذي لم يرض بحكمه وإن أظهر الإسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره
أن إرسال الرسول لما لم يكن إلا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن
كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالنفاق والتحاكم إلى الطاغوت جاؤك
تائبين من ذلك وهو خبر أن وإذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص واستغفر لهم
الرسول واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم شفيعا وإنما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على
أن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقبل اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه أن
يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وإن فسر
وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه أو حالا من الضمير فيه فلا وربك أي فوربك ولا مزيدة
لتأكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لأنها تزاد أيضا في الإثبات كقوله لا أقسم بهذا البلد
حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه ثم لا يجدوا في
أنفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله فإن الشاك في ضيق
من أمره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم
تعرضوا بها للقتل بالجهاد أو اقتلوها كما قتل بنو إسرائيل وأن مصدرية أو مفسرة لأن كتبنا في معنى
أمرنا أو اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ أبو عمرو ويعقوب
أن اقتلوا بكسر النون على أصل التحريك أو اخرجوا بضم الواو للإتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو
ولا تنسوا الفضل وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على الأصل والباقون بضمهما إجراء لهما مجرى الهمزة
المتصلة بالفعل ما فعلوه إلا قليل منهم إلا أناس قليل وهم المخلصون لما بين أن إيمانهم لا يتم إلا
بأن يسلموا حق التسليم نبه على قصور أكثرهم ووهن إسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه
كتبنا أو لأحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا
ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا
لهم في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتا في دينهم لأنه أشد لتحصيل العلم ونفي الشك أو تثبيتا لثواب

أعمالهم ونصبه على التمييز والآية أيضا مما نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل إنها والتي قبلها نزلت في
حاطب بن أبي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير
ثم أرسل الماء إلى جارك فقال حاطب لأن كان ابن عمتك فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم احبس الماء إلى الجدر
واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كأنه قيل
وما يكون لهم بعد التثبت فقال إذا لو تثبتوا لآتيناهم لأن إذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما
يصلوا بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم أبواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم
الخلائق وأعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه أو من ضميره
قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الأنبياء
الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم
تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا
على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق
حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته ولك
أن تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين في مقام
الاستدلال والبرهان والأولون إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الأنبياء
أو لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة
وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في أرضه وإما أن يكون بأمارات وإقناعات تطمئن إليها نفوسهم
وهم الصالحون وحسن أولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ولم يجمع لأنه يقال ل
لواحد والجمع كالصديق أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك
واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع
مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت ذلك
إشارة إلى ما للمطيعين من الأجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم أو إلى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم
الفضل صفته من الله خبره أو من الله حال والعامل فيه معنى الإشارة وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه أو
بمقادير الفضل واستحقاق أهله يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للأعداء والحذر و
الحذر كالإثر والأثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا إلى الجهاد ثبات جماعات متفرقة
جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية إذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع أيضا على ثبين جبرا لما حذف
من عجزه أو انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية وإن نزلت في الحرب لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب
المبادرة إلى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل الفوات وإن منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ
بمعنى أبطأ وهو لازم أو بطؤوا غيرهم كما ثبط ابن أبي ناسا يوم أحد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل

من تعل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة
من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فإن اصابتكم مصيبة كقتل
وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من
الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كأن لم تكن
بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف
عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال
عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا
وحسدا كأن لم تكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه
متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة
من المثقلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب
تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على
الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن
القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشرونها ويختارونها على الآخرة
وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا
عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة
او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم
مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف
على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل
بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب
الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان
للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين
وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وهو جمع
ولد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من
لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر
ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا
اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جري
على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء
الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان

كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه
فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله اي يخشون
الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته ويخشون
خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على
معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان
جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله
اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد
جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت
ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة
خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في
قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة
في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ
مشيدة وصفها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على
الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله
وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة
نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يقبض ويبسط حسب ارادته فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل
من الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لها او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط
والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله
الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل الجنة
الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب
فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير
ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة ما من مسلم يصيبه
وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان
كما ترى لا حجة فيهما لنا ولا للمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق الجار
بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز
نصبه على المصدر ولا خارجا من في زيد كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع

الرسول فقد أطاع الله لأنه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي أنه صلى الله عليه وسلم قال من أحبني فقد أحب
الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد إلا أن نتخذه
ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم
أعمالهم وتحاسبهم عليها إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون إذا أمرتهم
بأمر طاعة أي أمرنا طاعة أو منا طاعة وأصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات
فإذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول أي زورت خلاف ما قلت لها
أو ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت إما من البيتوتة لأن الأمور تدبر بالليل أو
من بيت الشعر أو البيت المبني لأنه يسوى ويدبر وقرأ أبو عمرو وحمزة بيت طائفة بالإدغام لقربهما في
المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة أو جملة ما يوحى إليك لتطلع على أسرارهم فأعرض
عنهم قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم وتوكل على الله في الأمور كلها سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك
معرتهم وينتقم لك منهم أفلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه وأصل التدبر النظر
في أدبار الشيء ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه
يسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض
على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره هنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق
من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف
مما يوجب الأمن أو الخوف أذاعوا به أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أخبرهم الرسول عليه السلام بما أوحي إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة أذاعوا
به لعدم حزمهم وكانت إذاعتهم مفسدة والباء مزيدة أو لتضمن الإذاعة معنى التحدث ولو ردوه
ولو ردوا ذلك الخبر إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم إلى رأيه ورأي كبار الصحابة البصراء بالأمور
أو الأمراء لعلمه لعلم على أي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم
وقيل كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي
الأمر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي
الأمر أي يستخرجون علمه من جهتهم وأصل الاستنباط إخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر أول ما تحفر
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإنزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال
إلا قليلا إلا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحق والصواب وعصمه من متابعة
الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو إلا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله إن
تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف إلا نفسك إلا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد
وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك لا الجنود روي أنه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج
فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون
على بناء الفاعل أي لا نكلفك إلا فعل نفسك لا أنا لا نكلف أحدا إلا نفسك وحرض المؤمنين على القتال

والمصالح صح

إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم
الرعب حتى رجعوا والله أشد بأسا من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه
من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا أو جلب إليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها
الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب
منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له
كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من أقات الشيء إذا قدر قال
وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على إساءته مقيتا أو شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فإنه يقوي
البدن ويحفظه وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها الجمهور على أنه في السلام ويدل على وجوب الجواب
إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فإن قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وإما برد مثله لما
روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك
ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك
فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك
لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل أو للترديد بين أن يحيي
المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد
في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الأصل مصدر حياك الله على
الإخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية
وأوجب الثواب أو الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي إن الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها
الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر أو الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم إلى يوم القيامة أي الله والله ليحشرنكم من قبوركم
إلى يوم القيامة أو مفضين إليه أو في يوم القيامة والقيامة والقيام كالطلاب والطلابة
وهو قيام الناس من القبور أو للحساب لا ريب فيه في اليوم أو الجمع فهو حال من اليوم أو صفة للمصدر ومن
أصدق من الله حديثا إنكار أن يكون أحد أكثر صدقا منه فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه لأنه نقص
وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين فئتين أي فرقتين ولم تتفقوا
على كفرهم وذلك أن ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البدو واجتووا المدينة فلما
خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في إسلامهم وقيل نزلت
في المتخلفين يوم أحد أو في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق إلى الوطن أو قوم
أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين أي
متفرقين فيهم أو من الضمير أي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله أركسهم
ردهم إلى حكم الكفرة أو نكسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركس رد الشيء مقلوبا أتريدون أن تهدوا من
أضل الله أن تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا إلى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا
تمنوا أن تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب
التمني لجاز فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحقق إيمانهم بهجرة

ورددوها صح

كان صح

هو لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او
عن اظهاره فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبوهم
راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم
واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل
الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم
كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق المعاهدين
او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العطف على انه صفة بعد
صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم
وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان او لان او كراهة
ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم
ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما
جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا
قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا
كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها
اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن القتال فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم
او تسلطا ظاهرا حيث اذن في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا
خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ
او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي
والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما نذكر والخطأ ما لا يصاحبه القصد الى الفعل او الشخص
او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي المسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه
او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي انه نزلت في عياش بن ابي ربيعة
اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا
خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء
ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار واللؤم في العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها
بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها
كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث

امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم يكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا
ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم
عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو
لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه
فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم
بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اى وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل
الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث
مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب
عليه صيام شهرين توبة من الله نصب على المفعول له اى شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته
او على المصدر اى وتاب الله عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله
صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تقبل
توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن
لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره
ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او
المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها
الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته
ولا تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
السلم بغير الالف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك
متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذي
هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل على العجلة وترك التثبت
فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اى اول ما دخلتم في الاسلام
تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم
فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل
الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون
عند الله من قتل مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان
بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله

اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله
وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطى وان خطاه مغتفر
لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه
اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب
على الحال او الاستثناء وقرى بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت
ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه
الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم حالة موضحة لما نفي الاستواء
فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه
يتضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة
العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان
فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين
اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على
المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر
باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه
وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الاخرة وقيل
الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء
والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد
الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع
وقرى توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من
استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت
في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم
اي في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم
عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماواهم جهنم
لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم
حال من الملائكة باضمار قد او الخبر والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها
مستنتجة منه وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن
الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من

الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك
فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا
بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال منه او عن المستكن
فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه
او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر
خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم
قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرى يدركه بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله
وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب روي انه لما نزلت في
جندب بن ضمرة حمله بنوه متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله
ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون
وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت
يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول
عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة
فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول
ماول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا
الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي
الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرى
تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول
تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن
وقرى من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم
لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها لياتم به الائمة بعده وانهم
نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلوا

ويقوم الطائفة الأخرى تجاه العدو وليأخذوا أسلحتهم أي المصلون حزماً وقيل الضمير للطائفة
الأخرى وذكر الطائفة الأولى يدل عليهم فإذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا أي غير المصلين من
ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا
لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على أن الإمام يصلي مرتين لكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام
ببطن النخل وإن أريد به أن يصلي بكل ركعة إن كانت الصلاة ركعتين فكيفيته أن يصلي بالأولى
ركعة وينتظر قائماً حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا إلى وجه العدو وتأتي الأخرى فيتم بهم الركعة
الثانية ثم ينتظرهم قاعداً حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع
وقال أبو حنيفة يصلي بالأولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بإزاء العدو وتأتي الأخرى فتصلي معه
ركعة وتتم صلاتها ثم تعود إلى وجه العدو وتأتي الأولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم
صلاتها وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الأسلحة
في وجوب الأخذ ونظيره قوله والذين تبوءوا الدار والإيمان ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن
أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا أن ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم
شدة واحدة وهو بيان ما لأجله أمروا بأخذ السلاح ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر
أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر أو مرض
وهذا مما يؤيد أن الأمر بالأخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم أمرهم مع ذلك بأخذ
الحذر كيلا يهجم عليهم العدو إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الأمر
بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لأن الواجب أن يحافظوا
في الأمور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فإذا قضيتم الصلاة أديتم وفرغتم منها فاذكروا
الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الأحوال أو إذا أردتم أداء الصلاة واشتد
الخوف فصلوها كيف ما أمكن قياماً مسايفين ومقارعين وقعوداً مرامين وعلى جنوبكم مثخنين
فإذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فأقيموا الصلاة فعدلوا واحفظوا أركانها وشرائطها
وأتوا بها تامة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً فرضاً محدود الأوقات لا يجوز إخراجها
عن أوقاتها في شيء من الأحوال وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة وأنها واجبة الأداء حال
المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للأمر بالإتيان بها كيفما أمكن وقال أبو حنيفة لا يصلي المحارب
حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون إلزام لهم وتقريع على التواني فيه بأن ضرر القتال دائر بين
الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من إظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا
يرجو عدوهم فينبغي أن يكونوا أرغب منهم في الحرب وأصبر عليها وقرئ أن تكونوا بالفتح بمعنى ولا
تهنوا لأن تكونوا تألمون ويكون قوله فإنهم يألمون علة النهي عن الوهن لأجله والآية نزلت في
بدر الصغرى وكان الله عليماً بأعمالكم وضمائركم حكيماً فيما يأمر وينهى إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس روي أنها نزلت في طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان

في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى
منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إليّ طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر
انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك
وافتضح وبرئ اليهودي فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بما أراك الله بما عرفك الله وأوحى به
إليك وليس من الرؤية بمعنى العلم وإلا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين أي لأجلهم
والذب عنهم خصيماً للبراء واستغفر الله مما هممت به إن الله كان غفوراً رحيماً لمن يستغفره
ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم يخونونها فإن وبال خيانتهم يعود عليها أو جعل المعصية
خيانة لها كما جعلت ظلماً عليها والضمير لطعمة وأمثاله أو له ولقومه فإنهم شاركوه في الإثم حين
شهدوا على براءته وخاصموا عنه إن الله لا يحب من كان خواناً مبالغاً في الخيانة مصراً عليها
أثيماً منهمكاً فيه روي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطاً بها ليسرق أهله فسقط الحائط
عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفاً ولا يستخفون من الله وهو أحق
أن يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه إلا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ
عليه إذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب
وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطاً لا يفوت عنه شيء ها أنتم هؤلاء مبتدأ وخبر
جادلتم عنهم في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع أولاء خبراً أو صلة عند من يجعله موصولاً فمن
يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً محامياً يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءاً
قبيحاً يسوء به غيره أو يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك
وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفوراً لذنوبه رحيماً
متفضلاً عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على
نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وإن أسأتم فلها وكان الله عليماً حكيماً فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن
يكسب خطيئة صغيرة أو ما لا عمد فيه أو إثماً كبيرة أو ما كان عن عمد ثم يرم به بريئاً كما رمى طعمة زيداً
ووحد الضمير لمكان أو فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة و
لذلك سوى بينهما وإن كان مقترفهما دون مقترف الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته بإعلام ما هم
عليه بالوحي والضمير للرسول لهمت طائفة منهم من بني ظفر أن يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال
والجملة جواب لولا وليس القصد فيه إلى نفي همهم بل إلى نفي تأثيره فيه وما يضلون إلا أنفسهم
لأنه ما أزلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فإن الله عصمك وما خطر ببالك كان
اعتماداً منك على ظاهر الأمر لا ميلاً في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر أي شيئاً من الضرر
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الأمور أو من أمور الدين
والأحكام وكان فضل الله عليك عظيماً إذ لا فضل أعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم
لقوله وإذ هم نجوى أو تناجيهم فقوله إلا من أمر بصدقة أو معروف على حذف مضاف أي إلا

نجوى من أمر أو على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه
الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به
أو إصلاح بين الناس أو إصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه
أجرا عظيما بنى الكلام على الأمر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على أنه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين
كان الفاعل أدخل فيه وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث إنه وصلة إليه
وقيد الفعل بأن يكون لطلب مرضاة الله لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيرا رياء وسمعة
لم يستحق به من الله أجرا ووصف الأجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من أعراض
الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فإن كلا من المتخالفين في شق غير الشق
الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين
غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين
ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية
تدل على حرمة مخالفة الإجماع لأنه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين
وذلك إما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما والثاني باطل إذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب
الحد وكذا الثالث لأن المشاقة محرمة ضم إليها غيرها أو لم يضم وإذا كان اتباع غير سبيلهم
محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لأن ترك اتباع سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت
الكلام فيه في مرصاد الأفهام إلى مبادي الأحكام إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل جاء شيخ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إني شيخ منهمك في
الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي
جرأة وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب
والاستقامة وإنما ذكر في الآية الأولى فقد افترى لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم
نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله إن يدعون من دونه إلا إناثا يعني اللات والعزى ومناة
ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بني فلان وذلك إما لتأنيث أسمائها كما قال وما ذكر فإن
يسمن فأنثى شديد الأزم ليس لها ضروس فإنه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فإذا
كبر سمي حلمة أو لأنها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث إنها ضاهت الإناث لانفعالها
ولعله تعالى ذكره بهذا الاسم تنبيها على أنهم يعبدون ما يسمونه إناثا لأنه منفعل ولا يفعل
ومن حق المعبود أن يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل
المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع أنثى كرباب وربى وقرئ أنثى على التوحيد وأنثا على
أنه جمع أنيث كخبيث وخبث وثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كأسد وأسد وأثنا
على قلب الواو لضمها همزة وإن يدعون وإن يعبدون بعبادتها إلا شيطانا مريدا لأنه
الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق

٦١

بخير وأصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة
ثانية للشيطان وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه أي شيطانا مريدا جامعا بين
لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه أولا على أن الشرك ضلال
في الغاية على سبيل التعليل بأن ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الألوهية
غاية المنافاة فإن الإله ينبغي أن يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بأنه عبادة الشيطان
وهي أفظع الضلال لثلاثة أوجه الأول أنه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى
فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني أنه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى
الضلال واللعن والثالث أنه في غاية العداوة والسعي في إهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية
الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع أي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء
ولأضلنهم عن الحق ولأمنينهم الأماني الباطلة كطول الحياة وأن لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم
فليبتكن آذان الأنعام يشقونها لتحريم ما أحل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر و
السوائب وإشارة إلى تحريم كل ما أحل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل أو بالقوة ولآمرنهم فليغيرن
خلق الله عن وجهه صورة أو صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد
والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الإسلام
واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء
مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الأربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا
أو أتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بإيثار ما يدعوه إليه على ما أمره الله ومجاوزته
عن طاعة الله إلى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا إذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة مكانه
من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وهو إظهار النفع
فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون
عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص إذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لأنه اسم مكان
وإن جعل مصدرا فلا يعمل أيضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا أي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالأول
مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز أن ينصب الموصول
بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لأنه بمعنى نعدهم إدخالهم وحقا على أنه حال من المصدر
ومن أصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية
الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب أي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وإنما ينال
بالإيمان والعمل الصالح وقيل ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي أن
المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله
منكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل
الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم أي ليس الأمر بأماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار

او قولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلا لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك
وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر رضه فمن ينجو مع هذا
يا رسول الله فقال عليه السلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو
ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته
من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل احد
لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان
او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها
في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب
العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن
اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي
هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات
تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا
عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه
وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على
انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وتخالطها وقيل من الخلل فان كل
واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة
او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء به للترغيب في اتباع
ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابراهيم عليه السلم بعث الى خليل
له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت
ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا
منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة
منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلم فاشتم رائحة الخبز فقال من
اين هذا لكم فقالت من عند خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله
ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال
مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله
بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك
في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصن اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا
انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال
عليه السلم كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم

في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى
ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف
معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز
ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا
يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على
ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب
يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ
ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون
ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات
ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على
جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين
من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى
بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما
فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل
اي يأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شأنهم
وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها نشوزا
توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما
صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا
من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على
المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة
وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة
من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب
في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة
عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها
على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص
الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم
عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب
مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر
ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني
فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على

المرهوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احدهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم
تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل من الزمان فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى
من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اى وان تفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر
ببدل او سلوة من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله
ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر
او بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية
في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان
تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصيكم لرحمته
لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله
ما في السموات وما في الارض كرره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتهم على
غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا
راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس
يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا
آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الايجاد والاعدام قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا
ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او
ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء
او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريد كقوله من كان يريد حرث الآخرة الآية وكان الله سميعا بصيرا
عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل
مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم
ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او
الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اى المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له
غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير
وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما
راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنس الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا
تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة
الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان

بما تعملون خبيرا فيجازيكم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن
سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا
بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه
او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب
الاول القرآن والثاني الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اى ومن يكفر بشيء من ذلك
فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم
كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوما تكرر منهم
الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد
منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا
الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد
اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين
يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين
ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه الله وقد كتب
العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم
في الكتاب يعني القرآن وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى
انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو
ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير
في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم
والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا
منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود
معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او
للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين
يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين
او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا
لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اى قالوا للكفرة
الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ
يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به
قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا
لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين

سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم
والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى
الايمان قبل مضي العدة إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ سبق الكلام فيه اول سورة البقرة
وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان
يُرَاءُونَ النَّاسَ ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري
من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من
يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر
الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ حال من واو
يراؤون كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم
والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد
وقرئ بكسر الدال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال
الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ لا منسوبين الى
المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا
الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم أَتُرِيدُونَ أَنْ
تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث
الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو
منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه
فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها
فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك وَلَنْ تَجِدَ
لَهُمْ نَصِيرًا يخرجهم منه إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا عن النفاق وَأَصْلَحُوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم حال النفاق
وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وثقوا به او تمسكوا بدينه وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ لا يريدون بطاعتهم الا وجهه
فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ومن عدادهم في الدارين وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا فيساهمونهم فيه
مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ايتشفى به غيظا او يدفع به ضرا او يستجلب به نفعا وهو
الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض
فاذا زال بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك
النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا مثيبا يقبل
اليسير ويعطي الجزيل عَلِيمًا بحق شكركم وايمانكم لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ الا جهر
من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه
فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وَكَانَ
اللَّهُ

الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم إن تبدوا خيرا طاعة وبرا أو تخفوه أو تفعلوه سرا أو تعفوا عن
سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفاءه تشبيبا له ولذلك رتب عليه قوله فإن
الله كان عفوا قديرا أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حث
المظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الأخلاق إن الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الإيمان والكفر
ولا واسطة إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان بالله إنما يتم بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا
أو إجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال أولئك
هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه حقا مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين
بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا أي يقينا محققا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله و
رسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أضدادهم ومقابلوهم وإنما دخل بين على أحد وهو يقتضي متعددا لعمومه
من حيث إنه وقع في سياق النفي أولئك سوف نؤتيهم أجورهم الموعودة لهم وتصدير سوف لتوكيد الوعد
والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم
كتابا من السماء نزلت في أحبار اليهود قالوا إن كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى
وقيل كتابا محررا بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعياننا
بأنك رسول فقد سألوا موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه فقد سألوا موسى أكبر
من ذلك وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهم والمعنى
إن عرقهم راسخ في ذلك وإن ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة أي أرناه
نره جهرة أو مجاهرين معاينين له فأخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فأهلكتهم بظلمهم بسبب
ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضا أوائلهم والبينات
المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة إذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وآتينا موسى سلطانا مبينا
تسلطا ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم
بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فإنه
شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على
أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال وأخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا
وأطعنا فبما نقضهم ميثاقهم أي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد
والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز أن تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما
عطف عليه إلى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها بكفرهم لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف

فيكون منفصلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الأنبياء
بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها
محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الايات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا
منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى هو معطوف على بكفرهم لانه
من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله و
يكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا
عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم
قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا
للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود
سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه
يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام
رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه
شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل طيطايوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه
فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة
وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة
وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن
وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله
فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه
في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا
فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه
وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء وقال قوم صلب
الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق
على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع
اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما
كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين
وقيل معناه ما علموه يقينا كقول الشاعر كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا
من قولهم قتلت الشيء علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان
الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته
اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود
اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله
ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به

قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل
ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به
اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به
حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون
ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن
الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه
كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن الراسخون في العلم منهم
كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما
انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلاة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على
ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او
الضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكاة رفعه لاحد الوجوه المذكورة
والمؤمنون بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه
المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من
السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان
ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا
قراءة حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا
او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه
مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال
ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى
الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة
او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه
بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة
وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله فكأنه لما تعنتوا
عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون

ولكن الله يشهد وانهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز الدال على
نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه
الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول
الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج الناس اليه في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين
حال عن الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا
بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر
والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو
اتوا بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفتها الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اي
وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع
عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من
ذلك وعليه يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو
خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس
قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها
خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فامنوا خيرا لكم اي
ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان
كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات
والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في
السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر
لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ولد لغير
رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على
الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى
مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل
والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة
اي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس و
يريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق
انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا
من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا
وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه

ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح
لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا
له فان عبوديته شرف يباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه
عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي
ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه
لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى
يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة
فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصه بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير لا باعتبار
التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس ولو اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من
الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك
لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف
التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم
اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد
جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي جاءكم دلائل العقل
وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القران فاما الذين
امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء
لحق واجب وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام
والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن
عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل
في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوائل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت
فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو
في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام
لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث
النصف وهو يرثها اي والمرء يرث الاخت ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد
بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة
بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله يفتيكم
في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته

محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وعدمهما
وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر
يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه
او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم
فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن
ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق
قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين
بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم
من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به
او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود
والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناها البهيمة
من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما
يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم
الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير
في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم
حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل او تحريم يا ايها الذين
آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال
الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي
دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى
الكعبة جمع هدية كجدي جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي
للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض
للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء
شجر او غيرها ليعلم انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا
من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة
له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه
على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام
القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة
وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين و
اذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من

الامر دلاله الامر الآتي بعد الحظر على الاباحه مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف
جدا واحللتم لغة في حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم و
عداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش
عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر
ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط
معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد
والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم اليا جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين
وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضا ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى
عليكم الميتة ما فارقه الروح من غير تذكيه والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان في
الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به
كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب
او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي
نطحتها اخرى فماتت والتا فيها للنقل وما اكل السبع وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح
الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم تحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل
الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع لقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب
واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل
هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم
اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخرى نهاني ربي والثالث
غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا
فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على
الانصبا المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه
فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافترا على الله ان اريد بربي
وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه
وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة
عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها
او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت
لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول
الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم
منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير
فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من

جمله الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شي من هذه المحرمات في
مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او يجاوز حد الرخصة لقوله
غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السوال معنى
القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسالونك بلفظ الغيبة
وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسئول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سالوا عما
احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم
مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل
ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد
على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مودب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه
او مما علمكم ان تطلبوا من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه
الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم فان اكل
منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان
تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى
سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله
سريع الحساب فيواخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي عليه السلام نصارى بني
تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم
في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم
حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر
العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد
الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء
بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر
والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام
وبالكفر انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله
فاذا قرأت القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان
من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه
الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع

على خلافه لما روى انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان
ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من آخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق للجمهور على دخول المرفقين
في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى
المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية
مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان
الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم
تكن غاية لقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية هنا من ذي الغاية وجب
ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل
وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم و
ذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء
في قدر الواجب فاوجب الشافعي رحمه الله اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الراس لانه
عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع
وابن عامر وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر
الامة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تعالى
عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك و
فائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها وتغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل
بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا
وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم
لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء
فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج
حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم
بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم
تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب
وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما
مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما
تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه
الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله

على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان وَاتَّقُوا اللَّهَ في انساء نعمته ونقض ميثاقه إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكأنه قال وعدهم هذا القول وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وروي انه عليه السلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي وسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبرئيل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ بالنصرة لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ

اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه وَنَسُوا حَظًّا وتركوا نصيبا وافيا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بالجزاء والعقاب يَا أَهْلَ الْكِتَابِ يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ مما تخفونه لا يخبر به اذا لم تضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يَهْدِي بِهِ اللَّهُ وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ من اتبع رضاه بالايمان منه سُبُلَ السَّلَامِ طرق السلامة من العذاب او سبيل الله وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ من انواع الكفر الى الاسلام بِإِذْنِهِ بارادته او بتوفيقه وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا

آله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب لازم قولهم توضيحاً لجهلهم وتفضيحاً لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئاً فمن يمنع من قدرته وارادته شيئاً ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعاً احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبيون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياماً معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقاً وملكاً له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبيناً لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما بين موسى وعيسى اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما بين عيسى ومحمد عليهما السلام اذ كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكاً اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى عليهما السلام وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت احداً من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون مسكناً لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعدما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفاً من

الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأساً ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين متغلبين لا تتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم بالوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابداً نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا فيها بدل من ابداً بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليهما السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفاً على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفاً على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفاً على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتاً غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقاً فيكون التحريم مطلقاً وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحاً لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب

ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل
عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان
توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فأكلته
فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا
على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا
بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم
نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو
في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب
اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط
حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لأقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد
له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من
قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار
المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن
بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لأقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه
ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله
المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع
والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي
لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى
باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا
لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان
يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة
عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ
فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط
كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل
هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث
في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت
من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير
في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده
الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتا كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا
ويلتي احضري فهذا اوانك والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لاهتدي

الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى ان عجزت
لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله
لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد
لونه وتبرؤ ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده وتبرأ عنه ابوه ومكث بعد ذلك مائة
سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم
واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي
من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي
ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او
فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكأنما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة
الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله
والعذاب العظيم ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ
من بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب
ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في
الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل
بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون
به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا
قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز
نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا
من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف
في انه يقتل ويصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم
اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث
لا يتمكنون من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الآية للتفصيل
وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة
ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو
حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة
وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان
اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل
الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا
في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته

كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب
يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في
به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في
ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل
لهم الى الخلاص ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة
اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء ... لا تقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما
توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا
وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد
بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في فقد صغت
قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب
والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان
على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته
واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم
يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة ايتاء على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم
او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين
يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على
من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون
ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد
او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون
كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا
عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك
لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا
لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا
باهماله او تغيير وصفه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم
او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبرا لمحذوف اي هم
يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه

[illegible]

بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به وروي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا
محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان
امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه
وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور واغرق آل فرعون
والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال
خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن
يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي
هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا
ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام
كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين
وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم الكتابيان الى القاضي
لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي رض والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا
الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن
يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة
فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم
وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن
حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها
المستكن فيه وتانيثها لكونها نظير المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك
ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك
بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى
يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى
ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا
صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين
الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل
على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة
انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان
يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه
شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا

96

[illegible]

[illegible]

الناس واخشون نهى للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها اي في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو اي فالتصدق كفارة له للمتصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل وروى بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف او تعلقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد له بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة

شريعة وهي الطريقة شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل منهم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف وحذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية على حسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة

خارجا واجيب بانه لم يجئ خالبا عن ضمير ... لم يجز عسى زيدان يخرج عمرو وسوا جعل بمنزلة خبر المبتدا او المفعول ونحن نقول لكي لتعاديه ... الذين اقسموا ...

يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من الدوائر بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روى

ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله

ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي

فنزلت **فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ** لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين **أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ** يقطع شأفة

اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم **فَيُصْبِحُوا** اي هؤلاء المنافقون **عَلَى**

مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عما اظهروه

مما اشعر على نفاقهم **وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا** بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدأ ويؤيده

قراءة ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول

الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح

بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح ويقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به **أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ**

أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا

بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم

وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا

بالله يجتهدون جهدا ثم حذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونه معرفة او على المصدر

لانه بمعنى اقسموا **حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ** اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم

بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ**

مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قراءة على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من

الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده

ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر

المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله

الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجند

المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصين

وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض

تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين

قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام **فَسَوْفَ**

يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه

عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان

من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره

فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة

ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** عاطفين عليهم متذللين لهم جمع

ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو

طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة **أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** شداد متغلبين عليهم من عزه اذا

غلبه وقرئ بالنصب على الحال **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة **وَلَا**

يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في

دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين

ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي

تنكير لائم مبالغتان **ذَلِكَ** اشارة الى ما تقدم من الاوصاف **فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** يمنحه ويوفق

له **وَاللَّهُ وَاسِعٌ** كثير الفضل **عَلِيمٌ** بمن هو اهله **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** لما نهى عن موالاة

الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة

ولرسوله وللمؤمنين على التبع **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** صفة للذين امنوا فانه جرى

مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح **وَهُمْ رَاكِعُونَ** متخشعون في صلاتهم

وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على

الاحسان ومسارعة اليه فانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه

واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر

ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس

في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة

التطوع تسمى زكوة **وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ومن يتخذهم اولياء **فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**

اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء

فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن

يوالي غير هؤلاء فانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ

نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين

يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا

شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم

ابو عمرو والكسائي والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه

عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين

تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين **وَاتَّقُوا اللَّهَ** بترك المناهي **إِنْ**

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده **وَإِذَا نَادَيْتُمْ**

إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان

مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرره في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي منه ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت هاهنا موضعها على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عُبِدَ الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عَبُدَ على انه نعت كفطن ويقظ او عَبَدَة او عُبَّد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبدِ الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من معنى التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم

السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل على المضارع افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار بها في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثني اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض

ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية
ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اى
بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اى ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط
في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها
وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع
ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها
كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك
من الناس عدة وضمان بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين
لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا واوحى الله الى ان لم تبلغ
رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
فاخرج راسه من قبة أدم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب
تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من
الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه
حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ... والاذعان لحكمه فان
الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة
اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم
الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي
المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة
البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين
آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا
انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم
عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون
والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت
بما عندك راض والراى مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ عن الخبر اذ
لو عطفت عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم
التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء
وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر
وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر
والراجع محذوف اى من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو
الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم
صبوا الى اتباع الشهوات ولا يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم
رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع

ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم
وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك من ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الاى
وحسبوا الا تكون فتنة اى وحسب بنو اسرائيل انه لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا
حمزة وابو عمرو والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا
تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها
ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل
ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم
اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع
كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا محذوف اى العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف
لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فجازاهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم
انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنعه من دخولها كما
يمنع المحرم عليه من المحرم وماويه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى ما لهم احد ينصرهم من
النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون تمام كلام
عيسى وان يكون من كلام الله نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا الى الله وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم
فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية
منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما
في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول
الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اى
ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على
من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء
عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير
والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات
كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه
من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا
ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما
الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد
المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف
نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا

للايات عجيب واعراضهم عنها اعجب قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان
ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من
الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه
من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان
التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان
شرا فشر قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية
او تضعوه فتدعوا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم وأضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعتهم
وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه
وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل
اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم
فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي
للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة
منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه
اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب
يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا
ليردوا عليه يوم القيامة أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط
الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم
اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن
اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في
اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن
اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا
وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال
على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ترى أعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم
ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء
للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء
والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا

الجزء السابع

عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته
او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط
مع الصالحين والدخول مدخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من
معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله
فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو
للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فأثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من
قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت
في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين
معه واحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا
بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة
يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على
الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب
والترهيب يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله
مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء
عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا
حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد
بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت
عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا
فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال
منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا
حال من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام
لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو
ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه
كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا
حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر

عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على
جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها
فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع
او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره
ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ
اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي
في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة
وقيل ثوب جامع قميص ورداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وكأسوتهم بمعنى او كمثل ما
تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع
وتقديره او طعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي رحمه الله الايمان قياسا على كفارة
القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام
ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست
بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا
ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها
اذا حنثتم كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب
شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام
التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اوائل السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر
للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب
من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم
انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا
وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله
سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة
وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام
للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة كقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر
بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه
وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل
انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول
فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم
لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم

وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا و
ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت
الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون
هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين
نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام
في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا
لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار
محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض ليتميز الخائف
من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوعه فان
من لا يملك جأشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين
آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون
الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في
الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما
فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة
ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما
بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد
في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة
الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين
ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما
بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة
المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلك لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ
فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل
وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد
حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين
نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام
والصوم واللفظ للاول او في يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره او خبره او
منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر ولما كان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد دون المماثلة
في الخلقة والهيئة الا ما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء

فيها او من جزاء ان نون لتخصيصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ
الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال
ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته
فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اى هى طعام وقرا نافع وابن عامر
كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعى او ان يكفر باطعام مساكين ما
يساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه
من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو فى الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرى بكسر العين وهو
ما عدل بالشى فى المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال
امره متعلق بمحذوف اى فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه
لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف
من قتل الصيد محرما فى الجاهلية او قبل التحريم او فى هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو
ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام
ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا فى الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلم
فى البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره
فى البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض
وللسيارة اى ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اى ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى
الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلم لحم
الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اى محرمين وقرى بكسر الدال من دام يدام
واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف
بيان على جهة المدح او المفعول الثانى قياما للناس انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم
يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر
دينهم ودنياهم وقرا ابن عامر قيما على انه مصدر كالشبع اعل عينه كما اعل فى فعله ونصبه على المصدر
او الحال والشهر الحرام والهدى والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الذى يودى فيه الحج وهو ذو
الحجة لانه المناسب لقرائنه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام
وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب
المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شى عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد
الاطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ
عليها او لمن اصر عليه ولمن اقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ ايجاب القيام بما امر اى الرسول
اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا فى التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق و
تكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى الخبيث والطيب حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردى من
الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث

فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك
قال فاتقوا الله يا اولى الالباب اى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون
راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان
كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين
ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسئلوا رسول الله عن اشياء
ان تظهر لكم تغمكم وان تسئلوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو
انه مما يغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء
حذفت لامه جمع لشى على ان اصله شيئ كهين او شيئ كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير
تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف
بها اذ روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اعاد ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت
او استينافا اى عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجل بعقوبة
ما فرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه السلم كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما
يسالون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شى الا اجبت فقال رجل اين انا فقال فى النار وقال
اخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سالها قوم الضمير للمسئلة التى دل عليها تسئلوا
ولذلك لم يعد بعن او لاشيا بحذف الجار من قبلكم متعلق بسالها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان
لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث لم ياتمروا
بما سالوا وجحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه
اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها
وخلوا سبيلها فلا تحلب ولا تركب وكان الرجل منهم ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة
فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت
الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولا يمنعوه من
ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو
البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم
لا يعقلون اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر وكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف
بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لا سند
لهم سواه اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار
الفعل على هذه الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء
انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم
انفسكم اى احفظوها والزموا صلاحها والجار والمجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم

وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء
ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وقيل الآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان
الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا
يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة
وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا
شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ
شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف
للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه
او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم
او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة
جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها
فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط
بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد
اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة
النهار وقيل اي الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه
وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا
اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي
لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم
ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن
انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر
اي فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كالتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص على البناء للفاعل وهو الاوليان
الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ
خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على
التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق
من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين
الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا
اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا

فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ
في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة او مظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان
شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد
اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى
اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل
مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه
ولم يخبرهما به واوصى اليهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة
مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما
ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان
نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة
السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد
ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم
ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم
يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي ان
لم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله
يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف
اي واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا
في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد
ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابونا واظهروا لنا وما
لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا
بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك
المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم
وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار
اذكر اذ ايدتك ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي
يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد
والمعنى تكلمهم في الطفولية والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه
استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق
من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى
باذني سبق تفسيرها في آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل

يعني اليهود حين همّوا بقتله إذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين
أي ما هذا الذي جئت به إلا سحر وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر فالإشارة إلى عيسى عليه السلام وإذ أوحيت إلى
الحواريين أي أمرتهم على ألسنة رسلي أن آمنوا بي وبرسولي يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة
قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون مخلصون إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر أو ظرف
لقالوا فيكون تنبيها على أن ادعاءهم الإخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء
لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه
القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك أي هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب وقرأ الكسائي
هل تستطيع ربك أي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام
من ماد الماء يميد إذا تحرك أو من ماده إذا أعطاه كأنها تميد من تقدم إليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة
قال اتقوا الله من أمثال هذا السؤال إن كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي أو صدقتم في ادعاء الإيمان
قالوا نريد أن نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال وهو أن يتمتعوا بالأكل منها وتطمئن قلوبنا
بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم أن قد صدقتنا في ادعاء النبوة أو أن الله يجيب
دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين إذا استشهدتنا أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر
قال عيسى ابن مريم لما رأى أن لهم غرضا صحيحا في ذلك أو أنهم لا يقلعون عنه فأراد إلزامهم الحجة بكمالها
اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا أي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد
السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الأمر لأولنا وآخرنا بدل من لنا بإعادة
العامل أي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي أنها نزلت يوم الأحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل
يأكل منه أولنا وآخرنا وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الأمة والطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها
أي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة أو الشكر عليها وأنت خير الرازقين
أي خير من يرزق لأنه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله إني منزلها عليكم إجابة إلى سؤالكم فمن يكفر
بعد منكم فإني أعذبه عذابا أي تعذيبا ويجوز أن يجعل مفعولا به على السعة لا أعذبه الضمير للمصدر أو
للعذاب إن أريد ما يعذب به على حذف حرف الجر أحدا من العالمين أي من عالمي زمانهم أو العالمين مطلقا
فإنهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم
ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة
ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة
مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا
الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى
الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه
الله تعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه
الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية
ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والأغنياء

والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير إلا غني مدة عمره
ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدا ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء
والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما وعدهم الله إنزالها بهذه الشريطة
استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد أن هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية
المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل
الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى إن حصل لكم الإيمان فاستعملوا التقوى
حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لأجل اقتراحهم فبين الله تعالى
أن إنزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فإن السالك إذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه لعله
لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لإلهين أو صلة اتخذوني
ومعنى دون إما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع
عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده أو القصور فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وإنما زعموا
أن عبادتهما توصل إلى عبادة الله تعالى فكأنه قيل اتخذوني وأمي إلهين متوصلين بنا إلى الله قال سبحانك
أي أنزهك تنزيها من أن يكون لك شريك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن
أقوله إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما
أعلنه ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات إنك
أنت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم إلا ما أمرتني به تصريح بنفي
المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه أن اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به أو بدل منه
وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع أو خبر مضمر أو مفعوله
مثل هو أو أعني ولا يجوز إبداله من ما أمرتني فإن المصدر لا يكون مفعول القول ولا أن تكون أن مفسرة لأن الأمر
مسندا إلى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده إلا أن يؤول القول بالأمر
فكأنه قيل ما أمرتهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم أي رقيبا عليهم
أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهدا لأحوالهم من كفر وإيمان فلما توفيتني بالرفع إلى السماء لقوله إني
متوفيك ورافعك والتوفي أخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها كنت أنت الرقيب عليهم المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالإرشاد إلى الدلائل
والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات وأنت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له إن تعذبهم
فإنهم عبادك أي إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على
أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح
فإنك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن المغفرة مستحسنة
لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته
ليمتنع الترديد والتعليق بإن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على أنه ظرف

لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر
ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا
فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا
عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه
على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن
اتباعا لهم غير اولي العقل اعلاما بانهم في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم
وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة
العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات
ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا ◦ سورة الانعام مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض

اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على
الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة
الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق
بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن
احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات
لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال
متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية
ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون
فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشيا لكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها
ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء
منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة
اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم
الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى وان ادم
الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده
اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لاخر
المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة خصصت
بالصفة ولذلك استغنى عن تقدم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي
مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود
بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم
فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك

المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله
المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق
باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله
يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك
رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال
علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم
ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من
احوال النفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من ايات القران الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القران وهو كاللازم
لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى
انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه
بالفاء فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب
بهم في الدنيا والاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل
زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهو سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي
او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها
او اعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة
وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا
السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدا المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري
من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا و
انشانا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان اهلك من قبلكم كعاد وثمود
وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده قادر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق
فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا
ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله
وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك
هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي
الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه
كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل
للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل
ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة

107 A

وحيه فان القوة البشرية لا تقوى على روية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبيا بقوتهم
القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم
فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام وللبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون
فاحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في
الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق
بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك هاهنا ولذلك قيل معناه
اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو
سوال التبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب
على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته
والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم
للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم
القيمة والى بمعنى في وقيل بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع
على الخبر اي انتم الذين او على الابتدا والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم
فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر و
الامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن
الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم و
افعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي
المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر
حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي
ولذلك قرئ فطر وبالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة
اليه وقرئ ولا يطعم بفتح اليا وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض
ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة
ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم سابق امته
في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط
معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه اي من يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة و
الكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف
او يومئذ بحذف
المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر بلية

بدل من الرحمة

كرض وفقر فلا كاشف له الا هو فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير
فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه لقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده
تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل
اي شيء اكبر شهادة نزل حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة
البقرة قل الله شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا
كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القران لانذركم به اي بالقران واكتفى بذكر الانذار
عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود
والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان
احكام القران تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم
لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما
هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون
ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم
ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله او كذب بآياته كأن كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين
الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشأن لا
يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين
اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين
كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم
وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما
لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم
التي توهموا ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه
كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على
انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من
كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه
لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما
كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على
كذبهم في الدنيا فيه تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء
ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة

قال الله تعالى في كلامه المجيد في سورة البقرة ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية قال العلامة البيضاوي
عند قوله تعالى ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم
في سلك الكفرة انتهى وقال رحمه الله عند قوله تعالى والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح
انتهى وقال رحمه الله عند قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا
بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا
صادقا انتهى اقول يريد بقوله قبل ان ينسخ دينه كلا كون اليهود والنصارى والصابئة على قول او بعضهم كون
المؤمنين فان المؤمن المخلص اذا مات في زمن الرسول ثم نسخ بعده بعض الاحكام لم يضره بل هو داخل في هذا الحكم
وكذلك المنافقين تدخل فيه بحسب تعميم الذي لا يلزم الا رجوعا بارجاع ضمير منهم واما على ما اختاره المصنف في تفسير
الصابئة حيث قال قوم بين النصارى والمجوس فضمير منهم باعتبار مجموع الطوائف لا لكل واحدة منها على ما تقرر
في كتب النحو والمكافئ في حاصل المعنى على ما فسره المصنف ان كل من تدين بدين من الطوائف المذكورة اذا مات قبل ان ينسخ
دينه فهو مجزي بعدم الخوف والحزن ولعل العدول عن مسلك صاحب الكشاف لكون مسلكه غير مطابق لسبب النزول
حيث قال الراغب الاصفهاني ان سلمان الفارسي لما ذكر حسن احوال رهبان اصحابه قال النبي هم في النار
فانزل الله تعالى هذه الآية ثم قال ومن مات على دين عيسى قبل ان يسمع بي فهو على خير ومن سمع بي ولم يؤمن
فقد هلك انتهى ومعنى ان الترغيب على الاسلام موجود فيه بل هو ابلغ لما وجد من الترغيب فيما اختاره صاحب
الكشاف وبما قررنا في الكلام سند فيما قال العلامة ابو السعود حيث قال واما ما قيل في تفسيره
من كان منهم في دينه

وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما تقول الا انه يحرك
لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً اغطية جمع كنان وهو ما يستر
الشيء أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهة ان يفقهوه وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا يمنع من استماعه وقد تحقيق ذلك في اول
البقرة وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ
اي بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا
وجوابه وهو يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين
غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك
جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطار جمع سطر واصل السطر بمعنى
الخط وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ بانفسهم او
ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وَإِنْ يُهْلِكُونَ وما يهلكون
بذلك إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ جوابه محذوف
اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
لرأيت امرا شنيعا وقرئ وَقَفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ تمنيا للرجوع
الى الدنيا وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني
ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم
المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب
باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بَلْ
بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون
من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا من الكفر والمعاصي وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فيما وعدوا من انفسهم
وَقَالُوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا الضمير للحياة وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ
وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ كانه جواب
قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب
والعقاب قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
بسبب كفركم او ببدله قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله
البعث وما يتبعه حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بَغْتَةً فجأة ونصبها
على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا اي تعالي فهذا اوانك عَلَى مَا فَرَّطْنَا قصرنا فِيهَا في الحيوة الدنيا
اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شأنها والايمان بها وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ
تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ بئس شيئا يزرونه وزرهم وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ يلهي الكيس ويشغلهم عما يعقب [illegible]
ما ليس [illegible] تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب

لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين
يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة أَفَلَا تَعْقِلُونَ اي الامرين خير
وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ
لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه
للشأن وقرئ ليحزنك من احزن فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه
اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ولكنهم يجحدون آيات
الله ويكذبونه فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على
الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق
وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل
على ان قوله لا يكذبونك ليس لنفي تكذيبه مطلقا فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس
بهم واصبر حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ لمواعيده من قوله
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ اي من قصصهم وما كابدوا
من قومهم وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ عظم وشق إِعْرَاضُهُمْ عنك وعن الايمان بما جئت به فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا
تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا
متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول
والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم باية من تحت الارض او من فوق
السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى بان يأتيهم
باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ بالحرص على ما لا يكون والجزع
في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ انما يجيب الذين يسمعون بفهم
وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فيعلمهم حين
لا ينفعهم الايمان ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ للجزاء وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ اي آية مما اقترحوه او
آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ
آيَةً مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ
ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ تدب على وجهها وَلَا طَائِرٍ وقرئ ولا طائر
بالرفع على المحل يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ محفوظة
احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره
ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ يعني اللوح
المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه
قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به

فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني
الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها
والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته
سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او
في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله
يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط
مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب أكد به
الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله
الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية ان يقال أرأيتموكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها
ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه أغير الله تدعون وهو تبكيت
لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء
كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى
كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت
لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او وتنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فأخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة
والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا
قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء
ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مزاوجة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا
لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ
ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا
اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم
احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة
من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل أرأيتم ان
اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم
من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات
نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال
المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل
أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمة امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا

وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء
المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين
بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف
عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب
ماسا كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم
عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب
ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او
اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة
التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى
والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي
المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع
الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون
المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم
دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا
فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام هؤلاء وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش
روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان
جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروي
ان عمر رضي الله عنه قال لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب والمراد بذكر
الغداة والعشي الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه حال
من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب
النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من
حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من
تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة
المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل
الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين
طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على
فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف
احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء
على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي أهؤلاء من انعم الله عليهم

بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤسا وهم المساكين والضعفا وهو انكار لان
يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا
اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا أليس الله بأعلم بالشاكرين بمن يقع منه
الايمان فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم
على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعد ما
وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله
وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد
ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف
بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منه بجهالة في موضع الحال
اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضي الله عنه فيما اشار اليه او متلبسا
بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد
العمل السوء وأصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع
على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات
القران في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأه نافع بالتا
ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن
كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء
والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات ليظهر الحق
وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر
التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها
الهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم
واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع
الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من
الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما
بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي
او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة
وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة ما عندي ما تستعجلون به يعني
العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم
الا لله في تعجيل العذاب وتأخيره يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى
الدرع اذا صنعها وانما يقضي من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع
فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين

قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر
الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح
بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر
وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو
فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته
وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه
بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة
في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله
الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل
الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل ورقة او رفعا على الابتداء والخبر الا في كتاب
مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم ويراقبكم استعار التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة
في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص
الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه
في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون
للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من
النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم
ثم الى الله مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض
على رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره
لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا
ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى
لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم
الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو
اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف
والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن
انجانا لموافقة قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون

ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع
لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف
بقارون وقيل من فوقكم اكابركم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا
فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت
لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد
لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست
عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ
لكل نبإ خبر يريد انباء العذاب والايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه
في الدنيا او في الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها
فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن
واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسّينك بالتشديد
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم
ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين
الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم ولكن ذكرى ولكن
عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر
والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا ينثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزأوا
بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم
على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا
دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو
ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا
ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا
البعث وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل
الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من
قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل
عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدي وههنا الفداء وكل نصب على المصدر
لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدي به اولئك الذين
ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم

بسبب كفرهم قل اندعو انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد
على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين
كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهويه
بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي
ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة
يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا
قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من
جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل
بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلاة او على
موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان
فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد
الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيامة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق
والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال
يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق ~~نافذ في الكائنات~~
الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق
وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين
يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ
في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة
للآية واذ قال ابراهيم لابيه آزر عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان
له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل
على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده
فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره
ما بعده اي اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ أأزرا تتخذ
اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني
اراك وقومك في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره
وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالياء والتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات
والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون
من الموقنين اي ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا
ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا
يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال
وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع

فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال
وانما قال ذلك زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم
فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما راى القمر
بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز
نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم
على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال
هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا
او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى
محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي
دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذي يعبدونه
في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله
في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به
اى لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه
من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من الهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة
الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا
بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون
انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين
المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا اى ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب
عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا
من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك
لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون
انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق بوجود
الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم
عليه على قومه وهم معتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا اتيناها ابرهيم ارشدناه اليها
وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك او بمحذوف ان جعل بدله اى اتيناها ابرهيم
حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك
حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا
هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه
وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب

وكان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية
والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمن وايوب ايوب بن اموص
من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اى نجزي
المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى
وعيسى وهو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو
ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي
موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل بن ابرهيم
واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما في قوله
رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى
ولوطا هو ابن هاران اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من
عداهم من الخلق ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم
او هدينا هؤلاء وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم
عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى
الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اى ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا
كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم
الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة الرسالة فان يكفر بها اى بهذه الثلثة هؤلاء
يعني قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون و
متابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي عليه السلام او كل من امن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك
الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم
بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى
مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء
في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى مجرى الوقف
واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسئلكم عليه اى على التبليغ او القران اجرا جعلا
من جهتكم كما لم يسال من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ
او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه
حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي
وبعثة الرسل وذلك من عظائم معرفته وجلائل نعمه او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين
جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران بدليل
نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو

مر رجلا على ما قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتورية وذمهم على تجزئتها بابداء
بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف
قاله لما اغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان
الله يبغض الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه من المشهورات
الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد
ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا
اعلم منكم ونظيره ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن
آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين
لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم
فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او
حال من مفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك
كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف
على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما
سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت
من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها
اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
فان من صدق بالاخرة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير
يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما
كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه
خلقا اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام
اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن
كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات
الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي
المسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا
وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او
الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن
لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق
كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون

فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر
ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف
للتانيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة
بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال
من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا
اي مجيئا كما خلقناكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء
ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم
والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى
وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة
ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل
ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر
وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات
ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان
والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله
اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح
شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي
يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع
وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته
فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه
ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل
حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر
في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما
بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا او قرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا
اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما
ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما
حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص
العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق
وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد فصلنا
الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة

هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام
او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل
والمستودع مفعول اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات
لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان
انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال
فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين
الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع
المفننة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات
او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه
من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها
قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو
الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان
من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها
لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء
اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون
والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه
حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم
انظروا الى ثمره الى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او
ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى
نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر
وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر
الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال
لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن
فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله
شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او
الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير
وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل
من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن
وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس
من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي
وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء

للتكثير وقرئ وحرّفوا اي وزوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت
العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من
الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات
والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر يعني انه عديم النظير فيهما
وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون
له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم
ضمير الله او ضمير الشأن وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق
التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارض
وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى
عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة
والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوق فلا يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات
ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو
خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب
عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات
متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها
لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به
المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات
فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع
وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان
يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا
من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس
كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه
ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو
الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك نصرف
الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال
الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ
ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت
هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم
بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس
كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى

او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من
ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية
واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا باية السيف
حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه
تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم
بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها
بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب
ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عليه السلام كان
يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون
يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما
يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم
والمشبه به تزيين سب الله ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه
واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول
صلى الله عليه وسلم في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات
عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام
انكار انها اي ان الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة
في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة
وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال
وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم
فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون
انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن و
غيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا
نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل
من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ
ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او
تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي
هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبل وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه
حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله
استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة

115

على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهدا بانهم على ما لا يشعرون
ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون
نزول الآية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا
وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين
وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم
الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض
زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو
شاء ربك ايمانهم ما فعلوه ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير
للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك
جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد
الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم
وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد
افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل
عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا
مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره
مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة
الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس
كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى
تأمل وقيل المراد مؤمنو اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين
في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين
او خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم خطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته
فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار
والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا
احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على
ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل
احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون
فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض
مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال ان
يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على
ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان

وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شي وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين
ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة
بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتدا والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرى من يضل اى يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر
او مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا
والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه اى غرض لكم فى ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما
حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء
للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البنا للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه
ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قراه الكوفيون بضم
اليا والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل مفيد للعلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما
بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون
بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا
او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم
حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير
اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل
الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم
بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم
في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك
وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتامل
بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله
صفته وهو مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء
في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين
للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمار وابي جهل وكذلك جعلنا
في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اى كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا بمعنى
صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز
ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة
ولذلك قرى اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون
الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى

مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال تزاحمنا بنو عبد مناف حتى اذا صرنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم
حيث يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية
يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه
يضعها وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة
بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب
مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره
للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة
عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح
فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول
الحق فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اى
شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره
بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان
يمتنع منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب
منه واصل يصعد يتصعد وقد قرى به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى
يتصاعد كذلك اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل
العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء
به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او
عادته وطريقته الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر
هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل
بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم
فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر
او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني
الشياطين قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معهم
كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض
اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم
وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم
بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اى البعث وهو اعتراف بما فعلوا

من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم
خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله
الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم
ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا
بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس
خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح
دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل
الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة
قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم
الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم فانهم اغتروا
بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا
الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة
الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل الحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك مهلك اهل القرى بسبب
ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات
مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق
به من ثواب او عقاب وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال
ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله ان يشا يذهبكم اي ما به اليكم حاجة
ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم آخرين
اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين
طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على
ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع
في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات
على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر
على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتقصى عنه
فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى
التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف
تعرفون الذي تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع فعل العلم معلق عنه وان جعلت
خبرية والنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب

وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه
لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما
ذرا خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا
يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج
لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منها لالهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها
ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفي
قوله مما ذرا تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه
عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا الكسائي
بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك
ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم
شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل
ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية
معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم
ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم
وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل
ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون
ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك
وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد
والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها
افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة
له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او
بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور
والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر
في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او هو
مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي
في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ
خالص بالرفع والنصب وخالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد
به ما كان حيا والتذكير فيه لان الميتة اسم للذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم

اجتراء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل منه له ونصف السنتهم انه حكيم عليم قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن
عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه
على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة
في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات
مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس
فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل
في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه
او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادها في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره
من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل
اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة
فانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكاة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به
حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة
والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط
انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام
ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة
للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما حل لكم منه ولا تتبعوا
خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج
بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال بمعنى مختلفة او متعددة
والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين
اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه
ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى قل آلذكرين
ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على
ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى
انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون
ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء
بل كنتم حاضرين شاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي

فلا طريق لكم الى معرفته الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم
ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم
بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن
كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما
مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه
قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل
اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون
فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون
فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان
ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه
وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على
حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل و
السباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت
ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء و
قواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم
هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
في الاخبار والوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه
لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام
مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده
عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا
ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا
ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله
اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب
لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير
تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج
به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية
فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها
صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق

لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهلم اسم فعل لا يتصرف
عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت
الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام
وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون
ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك
لهم لمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد
معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء
الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان
متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون
يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع
فيه بالتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل ويحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية
منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم او اتل الا تشركوا
به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعلق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر
يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فعلها النصب بعليكم على انه للاغراء او البدل مما او من عائده
المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا
شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع النهي
عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا
اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته لقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية
ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها
وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون
ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن
ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر و
اصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما وسعكم وما وراءه
معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي
قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد عليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها
في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب
بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي
بفتح الياء وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى

فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم
عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق
عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة
كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة
والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي
احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على
علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن
ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف
على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم
يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب
السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن
دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل
فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد
عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون
باعراضهم او صدهم هل ينظرون ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان
يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرا حمزة والكسائي
بالياء او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او ياتي بعض
آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر
آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال
وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض آيات
ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة
الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى
انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان
المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين
على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته
حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة

فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل إن الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض
او افترقوا فيه قال عليه الصلوة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا
واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي
فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا يشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم
وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف
إنما أمرهم إلى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله
عشر أمثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع
على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك
قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها قضية للعدل وهم
لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم بالوحي والارشاد
الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما
او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم
باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه
قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة إبراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما
كان من المشركين عطف عليه قل إن صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي
وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى
الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء
للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او
الاخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل أغير الله أبغي ربا
فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موضع العلة
للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس إلا عليها
فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر أخرى جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم إلى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد
من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الأرض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء
الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع
بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم في ما آتاكم من الجاه والمال إن ربك سريع العقاب
لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وإنه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه
ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى
غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه
انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام
صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

ونفرق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة

سورة الاعراف مكية الا ثمان ايات من قوله فاسئلهم عن القرية الى قوله واذ نتقنا وقيل كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب
خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن أنزل إليك صفته فلا يكن في صدرك
حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في
القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكانه
قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بأنزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه
من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين
يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر
والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه أولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير
في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون
اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة
وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف
التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي وكم من قرية وكثيرا من القرى أهلكناها اردنا اهلاك
اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال
أو هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع
حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير بالقيلولة مبالغة في غفلتهم
وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان
دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين
الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين أرسل إليهم عن قبول الرسالة واجابتهم
الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل
عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم
على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال
وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق
اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما
روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها
كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن
الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ
خبر المبتدأ الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته
او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فأولئك

هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع
الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون
بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم
فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياؤه زائدة
كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم
طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم
تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الاخبار
فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا
صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود
وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل
على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا
لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن ان يؤمر به فهو الذي
سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله
عليه وقد غلط في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار
اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده
لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين
اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب
قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع
المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه
فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه
الله قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين
يقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى
او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال
فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم
تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن
فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم
طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب
زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات
الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك
لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه

للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف عكس

يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن
شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز
عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا و
يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه
منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره
قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
لما راى فيهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما من ذامه
اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك
منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ
لمن بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف
ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا
تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين
فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما
الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه
وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على
انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف
العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي
عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في
المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها
على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة
على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما
ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا
وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل
اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله ان [illegible] الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما
فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية
والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله
كاذبا او ملتبسين بغروره فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في
الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف
في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا
يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين

اى وقلنا يا ادم

وقرئ يخصفان من أخصف أي يخصفان أنفسهما ويخصّفان من خصّف ويخصّفان وأصله يختصفان
وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة
النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا أنفسنا
أضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج عن الجنة وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
دليل على أن الصغائر يعاقب عليها إن لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب
الكبائر ولذلك قالوا إنما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات
قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما أو لهما ولإبليس كرر الأمر له تبعا ليعلم أنهم قرناء أبدا وأخبر
عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال أي متعادين ولكم في الأرض مستقر استقرار أو موضع
استقرار ومتاع وتمتع إلى حين أي تنقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني
آدم قد أنزلنا عليكم لباسا أي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة ونظيره قوله وأنزل لكم
من الأنعام وقوله وأنزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان إبداءها ويغنيكم عن خصف الورق
روي أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله
ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم أن انكشاف العورة أول سوء أصاب الإنسان من الشيطان
وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش
الرجل إذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الإيمان
وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير أو خير وذلك صفته كأنه قيل ولباس
التقوى المشار إليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك أي إنزال اللباس
من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة بإغوائكم كما أخرج أبويكم من الجنة
كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما حال من أبويكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزع إليه للتسبب إنه يراكم هو وقبيله
من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم
في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون بما أوجدنا بينهم
من التناسب أو بإرسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة
الحكاية وإذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا
عليها آباءنا والله أمرنا بها اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله فأعرض عن
الأول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لأن عادته تعالى جرت على الأمر بمحاسن
الأفعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فإن
المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين
كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن أين أخذ آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد إذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا أتقولون على الله ما لا تعلمون إنكار يتضمن النهي

عن الافتراء على الله قل أمر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط
وأقيموا وجوهكم وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها أو أقيموها نحو القبلة عند كل مسجد
في كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلاة أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة فإن إليه مصيركم كما بدأكم كما أنشأكم ابتداء تعودون
بإعادته فيجازيكم على أعمالكم وإنما شبه الإعادة بالإبداء تقريرا لإمكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم
من التراب تعودون إليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم
فريقا هدى بأن وفقهم للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل
يفسره ما بعده أي وخذل فريقا إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله تعليل لخذلانهم أو تحقيق
لضلالتهم ويحسبون أنهم مهتدون يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق
أن يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف أو صلاة
ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة
وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي أن بني عامر في أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون
بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بإفراط الطعام والشره
عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد
وقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي فعلهم قل من حرم
زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي أخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان
كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل
على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة لأن الاستفهام في من للإنكار قل هي للذين
آمنوا في الحياة الدنيا بالأصالة والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها
غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على أنها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون أي كتفصيلنا
هذا الحكم نفصل سائر الأحكام لهم قل إنما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما
ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والإثم وما يوجب الإثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم
أو الكبر أفرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون بالإلحاد
في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله أمرنا بها ولكل أمة أجل مدة أو وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد
لأهل مكة فإذا جاء أجلهم انقرضت مدتهم أو حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون أي لا
يتأخرون ولا يتقدمون أقصر وقت أو لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم إما يأتينكم رسل
منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على أن إتيان الرسل أمر جائز غير واجب كما
ظنه أهل التعليم وضمت إليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى وأصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وإدخال الفاء في الخبر

الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق
والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم تدعون
من دون الله اي الالهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها
موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا
ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم
اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين
في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا
فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي
لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم
فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم
وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على
الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم
ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا و
استكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح
لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو
عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل
ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى
يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك
وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمّل كالقمّل والجمل كالنغر والجمل كالقفل
والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر
وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال
عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان
من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف
نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع الوعد بالوعيد
لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم
ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها

منخرجا يكون بينهم الا التوادد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري
من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل
عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا
بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الاخرة ونودوا
ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي
اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواضع
الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة ٢٢
باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره
مخصوصا وعدا بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن
مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة
والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال
الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا
زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط
والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة
والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من غيره
رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت
درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من
اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلاء من سام ابله اذا ارسلها
في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب
الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول
ومن اصحاب على الوجه الآخر واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا
ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من
الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين
كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او وقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا
الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب
النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ

أو دخلوا او دخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى أصحاب النار أصحاب
الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أي صبوه وهو دليل على أن الجنة فوق النار أو مما رزقكم الله من
سائر الأشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا إن الله حرمهما
على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية
حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم
الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم
يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد
جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ
فضلناه اي على سائر الكتب عالمين انه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل
ينظرون هل ينتظرون إلا تأويله إلا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد
والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق
اي قد تبين انهم جاءوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم أو نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب
عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء
اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن
نعمل قد خسروا أنفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون وبطل عنهم فلم ينفعهم إن ربكم الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار
ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا
مع القدرة على ايجاده دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى
على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى
ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط
بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك
يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل
النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد
للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث
وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن
عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ألا له الخلق والأمر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب
العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة
كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر
فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه

بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور
المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله
خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ~~اي ما في جهة السفل في يومين~~ ثم انشأ انواع
المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في
سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى
تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير
الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال ألا له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي
تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره
نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح
في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم
اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد
اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم
استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع
وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر
قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من
النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا
جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع
على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم
بشرا وهو تخفيف بشر وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى
بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره
والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا
بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت
لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فأنزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك
فأخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق وفي الاول للظرفية
وفي الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه
الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها
بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى موادها بعد جمعها وتطريتها
بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة
التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره وعبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه

لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكْدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرا الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملأون العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقريرا لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او من الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين مخففة وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استانف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في

سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في مجيئه من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا قد وجب وحق عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا اليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضا وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها

الهينمة اخفاء الكلام في الدعاء وغيره

اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا ﴿والى ثمود﴾ قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى ﴿اخاهم صالحا﴾ صالح بن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية ﴿فذروها تاكل في ارض الله﴾ العشب ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر ﴿فياخذكم عذاب اليم﴾ جواب للنهي ﴿واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض﴾ ارض الحجر ﴿تتخذون من سهولها قصورا﴾ اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر ﴿وتنحتون الجبال بيوتا﴾ وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون ﴿فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملا الذين استكبروا من قومه﴾ عن الايمان ﴿للذين استضعفوا﴾ اي للذين استضعفوهم واستذلوهم ﴿لمن آمن منهم﴾ بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين ﴿اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه﴾ قالوه على الاستهزاء ﴿قالوا انا بما ارسل به مؤمنون﴾ عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال ﴿الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون﴾ على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما ﴿فعقروا الناقة﴾ فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم ﴿وعتوا عن امر ربهم﴾ واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة ﴿فاصبحوا في دارهم جاثمين﴾ جامدين ميتين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به

جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كانت ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ﴿ولوطا﴾ اي وارسلنا لوطا ﴿اذ قال لقومه﴾ وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه ﴿اتاتون الفاحشة﴾ توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ﴿ما سبقكم بها من احد من العالمين﴾ ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر ﴿بل انتم قوم مسرفون﴾ اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف ﴿وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم﴾ اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا ﴿انهم اناس يتطهرون﴾ اي من الفواحش ﴿فانجيناه واهله﴾ اي من آمن به ﴿الا امراته﴾ استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر ﴿كانت من الغابرين﴾ من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور ﴿وامطرنا عليهم مطرا﴾ اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم ﴿والى مدين اخاهم شعيبا﴾ اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متاخر عن هذه المقاولة ويحتمل

اي ولدها

انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء

الجزء التاسع

ان يكون كنا بيه لموسى او آلة فاوفوا الكيل اى آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش
على المعاش لقوله والميزان كما قال فى سورة هود اوفوا الكيل والميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون
الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا فى الارض بالكفر
والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة
اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود
واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد
شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن
سبيل الله يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه
وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اى بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على
اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى
تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة
واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عُددكم فكثركم بالبركة فى النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين
من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا
فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملا الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
من القرية او عودكم فى الكفر وشعيب لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة
على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله قال اولو كنا كارهين اى كيف
نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا فى حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا ان اختلقنا عليه
ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه
لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقربه من الحال اى قد افترينا الان ان هممنا بالعود
بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل
انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله
ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود بالتعليق
على ما لا يكون وسع ربنا كل شئ علما اى احاط علمه بكل شئ مما كان وما يكون منا ومنكم على الله
توكلنا فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم
بيننا والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز
المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينته وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملا الذين

كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات
ما يحصل لكم من البخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم
الرجفة الزلزلة وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا فى دارهم
جاثمين اى فى مدينتهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه
واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف
بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم
قاله تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن
لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ
والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى
بامالتين وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون
كى يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعُددا يقال عفا النبات اذا كثر
ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه
من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم
بغتة فجاة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعنى القرى المدلول عليها بقوله
وما ارسلنا فى قرية من نبى وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرا
ابن عامر لفتّحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصى
افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد
ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو
فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال
من ضميرهم البارز او المستتر فى بياتا او امن اهل القرى وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون
على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم
يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل
القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل
يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اى يغفلون
عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا
لانه فى سياقه جواب لو لافضائه الى نفى الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى

معنى قرى الأمم المار ذكرهم نقص عليك من أنبائها حال إن جعل القرى خبرا وتكون إفادته بالتقييد بها
وخبر إن جعلت صفة ويجوز أن يكونا خبرين ومن للتبعيض أي نقص بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لا
نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل
بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا
حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي
والدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع
الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لأكثرهم لأكثر الناس
والآية اعتراض أو لأكثر الأمم المذكورين من عهد من وفاء عهد فإن أكثرهم نقضوا ما عهد الله إليهم
في الإيمان والتقوى بإنزال الآيات ونصب الحجج أو ما عهدوا إليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل
لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وإن وجدنا أكثرهم أي علمناهم لفاسقين من وجدت
زيدا ذا الحفاظ لدخول إن المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز إلا في المبتدأ والخبر والأفعال
الداخلة عليهما وعند الكوفيين إن للنفي واللام بمعنى إلا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل
في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم بآياتنا يعني المعجزات إلى فرعون وملئه فظلموا بها بأن كفروا بها
مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن
ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين إليك وقوله حقيق على أن
لا أقول على الله إلا الحق لعله جواب لتكذيبه إياه في دعوى الرسالة وإنما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا
بها عليه وكان أصله حقيق على أن لا أقول كما قرأه نافع فقلب لأمن الإلباس كقوله وتشقى الرماح
بالضياطرة الحمر أو لأن ما لزمك فقد لزمته أو للإغراق في الوصف بالصدق والمعنى أنه حق واجب على
القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي ناطقا به أو ضمن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباء
لإفادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي بالباء وقرئ حقيق
أن لا أقول قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي
هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم فاستخدمهم في الأعمال قال إن كنت جئت بآية من عند
من أرسلك فأت بها وأحضرها عندي ليثبت بها صدقك إن كنت من الصادقين في الدعوى
فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وهو الحية العظيمة روي
أنه لما ألقاها صار ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض
والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون ألفا وصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك
بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء للناظرين أي بيضاء
بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار لا أنها كانت بيضاء في جبلتها روي أنه كان آدم شديد
الأدمة فأدخل يده في جيبه أو تحت إبطه ثم نزعها فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس

النظار أو بيضاء م

قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم قيل قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور
في أمره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون تشيرون في أن
نفعل قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كأنه اتفقت
عليه آراؤهم فأشاروا به إلى فرعون والإرجاء التأخير أي أخر أمره وأصله أرجئه كما قرأ
أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئهو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على
الأصل في الضمير أو أرجه من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسماعيل والكسائي وأما قراءته
في رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وأما قراءة حمزة وحفص أرجه بسكون
الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كإبل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر أرجئه
بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ووجهه
أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده
اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما أرسل الشرط في طلبهم قالوا إن لنا لأجرا إن كنا
نحن الغالبين استأنف به كأنه جواب سائل قال ما قالوا إذ جاؤوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص
عن عاصم إن لنا على الإخبار وإيجاب الأجر كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم قال نعم
إن لكم أجرا وإنكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى
إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للأدب أو إظهارا للجلادة ولكن كانت
رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أو
تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال ألقوا كرما وتسامحا أو ازدراء بهم ووثوقا على شأنه فلما
ألقوا سحروا أعين الناس بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وأرهبوهم إرهابا
شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا
كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فألقاها فصارت
حية فإذا هي تلقف ما يأفكون ما يزورونه من الإفك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز أن يكون
ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها
أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت
فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور أمره وبطل ما كانوا
يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا أذلاء مبهوتين أو رجعوا
إلى المدينة أذلاء مقهورين والضمير لفرعون وألقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها
على أن الحق بهرهم واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك أو أن الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر
فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى وينقلب الأمر عليه أو مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا
آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أبدلوا الثاني من الأول لئلا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون
قال فرعون آمنتم به بالله أو بموسى والاستفهام فيه للإنكار وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم
وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الأصل وقرأ حفص آمنتم به على الإخبار قبل أن آذن لكم إن هذا

برواية ابن ذكوان م

وقرأ حفص عن عاصم تلقف ساكنا وفي طه والشعراء بإسكان اللام مخففا م

ودومه

لمكر مكرتموه اى ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد
لتخرجوا منها اهلها يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم
قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب
لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالى بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا
وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما
تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما
يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام
قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم
فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف
على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بينى وبينكم المودة والاخاء على معنى
ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون
كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل
صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اى عبادتك
قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة
ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف
وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم
وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك
القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد
والجنس قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا
باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا
بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روى ان مصر انما فتح
لهم في زمن داود وعليه فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان لنجازيكم على
حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت
على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكى ينتبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم
بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه
لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا
ما اصابتنا الا بشؤمهم وهو اغراق وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل

العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهى لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها
عتوا وانهماكا في الغى وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها
بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم
عند الله اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة
عنده فانها التى ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد
ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها
الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تأتنا به اى اى شئ تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وانما
سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اى لتسحر بها اعيننا
وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى
فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدرى وقيل
الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها
والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل
الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة
وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف
عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله
عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه
ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها
فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم
فيمصها ففزعوا اليه فرفع فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم عنهم
دما حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى
فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا تشكل على عاقل
انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان
امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات
على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعنى العذاب المفصل او
الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او
بالذى عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى
ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى
ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بنى اسرائيل اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز
الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل

الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير توقف وتامل فيه
فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اى في البحر الذى لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم
كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا
كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض الشام ملكها بنو اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التى باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك
الحسنى على بنى اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله
ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على
الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا
اخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل
من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عليه السلام
عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون
على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة
الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائى يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا
نعبده كما لهم الهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر
عنهم بعد ما راوا من الايات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعنى ان الله
يهدم دينهم الذى هم فيه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها
وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه
بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق
لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلى لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها
اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم
حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شىء من
مخلوقاته واذ انجيناكم من ال فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم
سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من ال فرعون او منهما يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذى الحجة فتم ميقات
ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روى انه عليه السلام وعد بنى اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه
بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى

ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني
في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين
ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذى وقتناه واللام
للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى ان موسى عليه السلام
كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال
رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان
رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده
بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في
الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الرؤية
ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه
ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته
اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة
او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني
استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق
على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى
له حياة ورؤية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي
دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي لا سنام لها وقرئ دكا اى قطعا جمع دكاء وخر موسى صعقا
مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت اليك من الجراءة والاقدام
على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من امن بانك لا ترى في الدنيا
قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اى الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه
ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التوراة وقرا ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك
فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة و
اعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا
لكل شيء بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت
عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوتة حمراء او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده او شققها
باصابعه وكان فيها التوراة او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدلا من قوله فخذ ما اتيتك
والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها
اى باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل
كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن
البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين
دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم

في الاخرة وهي جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا
القوم ساصرف عن آياتي المنصوبة في الافاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا
يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه
باعلائها وباهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال
من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم
في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء
الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرَّشَد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسُّقم والسَّقَم
والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر اي ساصرف
ذلك الصرف بسببها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الاخرة او ما وعد الله في الاخرة
حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده
من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم
لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع
كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من تراب اثر فرس
جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم
وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا
يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه
لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر
اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ
العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير
يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم
ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التورية ويغفر لنا بالتجاوز عن
الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقراهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم
العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة
تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما
ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم
الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح
طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة الواح فلما القاها
انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه

بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا و
لذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة
تخفيفا كالمنادى المضاف الى ياء المتكلم والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها
بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى
بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي
ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير
قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية لاخيه
ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على
انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة
في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم
هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي
ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة
ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل
ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة
وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت
وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي
نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة
هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام المفعول
لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار
موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة
روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف
منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا
من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف
الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل
فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما راى او
بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما
فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء
عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى
كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك

ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء
ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه أنت ولينا القائم
بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وأنت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب
لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا اليك
من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول
بمعنى املنا او أُملنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض
قال عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف
وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة او فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون
الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون
فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين
او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة
الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع
حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم
الخنزير من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة
واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه
بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه لي واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته
يعني القرآن وانما سماه نورا لانه بإعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون
معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة
أولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام قل يا أيها الناس إني
رسول الله إليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم
جميعا حال من اليكم الذي له ملك السماوات والأرض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق بالمضاف
اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا إله إلا هو وهو على الوجوه الاول
بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية
فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه
ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن
به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع
له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه
بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل أمة يهدون بالحق
يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون
على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرها ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها

ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء
الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض
اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الأمة او القطعة أسباطا
بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط وكأنه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ
بكسر الشين واسكانها أمما على الاول بدل بعد بدل او نعت أسباطا وعلى الثاني بدل من أسباطا وأوحينا إلى
موسى إذ استسقاه قومه في التيه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه
للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا
عشرة عينا قد علم كل أناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وأنزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون سبق تفسيره في
سورة البقرة وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم
وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم
للاكل منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى
لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة
عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا
به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد
وقرأ ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
مضى تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بتقدم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا
بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه
وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية إذ يعدون في السبت يتجاوزون
حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال
إذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويُعِدّون من الاعداد
اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم
تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة
لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ
يُسبتون من اسبت ولا يُسبَتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان
ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك
البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت وإذ
قالت عطف على اذ يعدون أمة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى
أيسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم أو معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في
العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لم ينجع منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا
عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة إلى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط

لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو

في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة
ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم
أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل
من بؤس يبؤس بؤسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون
الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة
ياء كما قلب في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيئس كريئس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها
وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا
عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم
ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ
المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج
اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن
القرود تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن
مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد و
الايعاد او عزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد
الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن
على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمن عليه السلام بخت نصر
فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية بعث الله عليهم على من بقي منهم
وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال
مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم
في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط
وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم
ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم
بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم
من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع
في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية
من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشئ الادنى يعني الدنيا
وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا ياخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال
من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل
مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا
اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب

اى في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا والمراد
توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب
ودرسوا ما فيه عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة
خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء أفلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى المؤدى الى
العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب
وأقاموا الصلوة عطف على للذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر
المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ
ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم
اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه
واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع
متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها
والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم
على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون
قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم
وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى
الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد بلى
والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا انا
كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كلاهما بالياء لان اول
الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام
الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا أفتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتاسيس الشرك
وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث
رواه عمر رضه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد الكلام ههنا الزام اليهود
بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم
عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اى عن التقليد و
اتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي
الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد
صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من
الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار
من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا
عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات

بملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء
قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها
على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء
سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول
المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد
الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته
التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده
واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع
موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه
فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص
المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤديهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي
مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها
وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الايات
وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول
من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان
هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار
اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن
هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل
له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الاجلة والعنوان لها ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من
الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله
ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الايات و
المواعظ سماع تامل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في
ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها
ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند
فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي
احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين
يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى
فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف
الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات
من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا

اللسان

1337

يعملون وقراءة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد إذا مال عن القصد ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه
يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضا
للجنة أمة هادين بالحق عادلين في الأمر واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن
طائفة بهذه الصفة لقوله لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله إذ لو اختص بعهد الرسول
أو غيره لم يكن لذكره فائدة فإنه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم إلى الهلاك
قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون
ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي
حتى يحق عليهم كلمة العذاب وأملي لهم وأمهلهم عطف على سنستدرجهم إن كيدي متين إن أخذي شديد
وإنما سماه كيدا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان أولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه
من جنة جنون روي أنه صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم لمجنون
بات يهوت إلى الصباح فنزلت إن هو إلا نذير مبين موضح الإنذار بحيث لا يخفى على ناظر أولم ينظروا
نظر استدلال في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الأجناس التي لا يمكن
حصرها ليدلهم على كمال القدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة
ما يدعوهم إليه وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة
واسمه ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب
الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده أي بعد القرآن
يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد إلزام الحجة
والإرشاد إلى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا
يبادرون الإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه
يريدون أن يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم
بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به
وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده أحد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك
عن الساعة أي عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها
أو لأنها على طولها عند الله كساعة أيان مرساها متى إرساؤها أي إثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره
ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة واشتقاق أيان من أي لأن معناه أي وقت وهو من أويت لأن
البعض آو إلى الكل قل إنما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا
لا يجليها لوقتها لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها واللام للتأقيت
كاللام في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السماوات والأرض عظمت على أهلها من الملائكة
والثقلين لهولها وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها لا تأتيكم إلا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه
إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه و
الرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء إذا سأل عنه فإن

المعنى م

من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو
من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى
يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي من حفي بالشيء
اذا فرح بالسؤال عنها تحبه اي انك تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله
كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله
لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري
عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى
لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم
المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة
هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا
زوجها حواء ليسكن اليها ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر
الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه
ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت
وقرئ فمرت بالتخفيف فاستمرت وفارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل
وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها
دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة
المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما
فسموه عبد العزى وعبد مناة على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى
فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها
ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت
من ذلك وذكرته لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا
مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت
سمته عبد الحرث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم
خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين
فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما
المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم
ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف
وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة

الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم
احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم
آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة
ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون
عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون
بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عباد على
انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا
شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم فلا
تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن
وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين
تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان
تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم
صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق
عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك
قبل وجوب الزكاة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال وأعرض عن الجاهلين فلا تمارهم
ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول صلى الله عليه وسلم باستجماعها واما
ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء
غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا
بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك
عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها
طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو
والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك
جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكائد الشيطان
فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان
الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد
ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون
كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما
هو له واذا لم تأتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك
كسائر ما تقرؤه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للآيات او لست بمقترح

ونصب امثالكم اجاز الكسائي والمبرد اعمالها عمل ليس وتبعهم ... العالية
انها احد خيرا من احد الا بالعافية وان ذلك نعمك
ولا افضل زكة ... الا الاخرين
منه الكتيب

هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون سبق تفسيره وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة
كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث
يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم
وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة
سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رض تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون
الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فإنه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو
والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق
للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله إن الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الأعلى لا يستكبرون
عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون
به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ
ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت
بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا و
كان آدم شفيعا له يوم القيمة ○ **سورة الانفال** مدنية وآيها ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت
الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه
قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف
المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان
له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال
الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رض وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان
يوم بدر قتل اخي عمير فقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فأتيت به رسول الله واستوهبته منه فقال
ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا
حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب وخذه
وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك
الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة
والمساعدة فيما رزقكم وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان
الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي
واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع

عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم
ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو
قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب
من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة
وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة
وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة
لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتداء محذوف تقديره هذه
الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله
لله والرسول اي الانفال ثبت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك
يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون
في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة
ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر
جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ
الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان
اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل
من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس
وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل
مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوادي دفران فنزل عليه جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش
فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد
عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رض فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة
فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال
مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد
شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا
نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكأنك تريدنا يا رسول الله فقال اجل قال
آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع

والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك
ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله
يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان
الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عم لما فرغ من بدر
قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم
تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم
ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم
ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم
بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك
تتمنونها وتكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد
الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته
ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء
الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول
لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره
عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر
واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين
وعن عمر رض انه عم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو
اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال
ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار
وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف
من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين
او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم
كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في
الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة آل عمران
ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم
او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى اي الا بشارة
لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز
حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا
منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله

العير عير ابي سفيان والنفير الذين نفروا الى قتاله عليه السلام

اي من اذا يغشيكم

من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرا نافع بالتخفيف من اغشيته اياه والفاعل على القرائتين هو الله تعالى
وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى تنعسون
ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان تجعل على القراءة
الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما
غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو
نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة
ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش
روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون
على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين
مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى
الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم
وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به
الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث
او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او
اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع
ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين
للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي
المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى
الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب
مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة
والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات
ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او النصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم
لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما
عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب
الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا
بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي
به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل
منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا
من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده و

فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى

الاعفر الرمل الاحمر

الذين

يكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكائد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى
من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر انه كان في سرية بعثهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا
فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا
او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم
وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم
وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت
بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب
فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك
الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول
الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي
فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى
ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم
وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم
رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم
نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم
ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن
كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم
انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه
سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم
شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر و
حفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا
اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين
في ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول

م سورة الانفال

قال تبارك وتعالى ان شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبهين بهم
مبالغة في التحذير وتقريرا للنهي اي ان شر من يدب على الارض او شر البهائم
عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به
وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث
لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كانهم فاقدون للجارحتين راسا وتقديم الصم
على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم
سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل
الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل
ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه
واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك
يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على
كثير ممن خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا
شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم
سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية الرسول عليه الصلاة والسلام واطاعوه
وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة
وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة
العارية بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعدما
صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا
اي لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اي وهم قوم
عادتهم الاعراض

فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة
الله في طاعة الرسول لقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة
وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ القران والمواعظ سماع فهم وتصديق وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا كالكفرة او المنافقين
الذين ادعوا السماع وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ شر
ما يدب على الارض او شر البهائم الصُّمُّ عن الحق الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها
لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات لَّأَسْمَعَهُمْ
سماع تفهم وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ وقد علم ان لا خير فيهم لَتَوَلَّوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول وَّهُم
مُّعْرِضُونَ لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد
لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ بالطاعة إِذَا
دَعَاكُمْ وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم وروي انه عليه السلام مر على
ابي سعيد وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما — الخدري
اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا
اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول
لِمَا يُحْيِيكُمْ من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت
وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ
لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَقَلْبِهِ تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات
القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول
الله بين المرء وقلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده
ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
فيجازيكم باعمالكم وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين
اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن
اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون
المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا
للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام
واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذيب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا
في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود
عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم
اقبح من غيركم وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ارض مكة
يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تَخَافُونَ

رأسا

[illegible] على الانسان [illegible] فاذا [illegible]
[illegible] لو علم الله فيهم خيرا لتولوا [illegible]
[illegible] الشيء لاجل [illegible]
علم الله خيرا فيهم [illegible] لاجل [illegible] التولي [illegible]
[illegible] ثاول الكلام [illegible]
[illegible]
[illegible] المراد [illegible] الاول [illegible]
والمراد بالاسماع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

أن يتخطفكم الناس كفار قريش أو من عاداهم فإنهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم إلى المدينة أو
جعل لكم مأوى تتحصنون به عن أعدائكم وأيدكم بنصره على الكفار أو بمظاهرة الأنصار أو بإمداد الملائكة يوم
بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالغلول في المغانم وروي أنه عليه السلام حاصر
بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات
وأريحاء من الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا
لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال
أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد
وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم
تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب
وأن أنخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث أن تتصدق به وأصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام
واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه وتخونوا أماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الأول أو منصوب
على الجواب بالواو وأنتم تعلمون أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا أنما أموالكم
وأولادكم فتنة لأنهم سبب الوقوع في الإثم والعقاب أو محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم
على الخيانة كأبي لبابة وأن الله عنده أجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا هممكم
بما يؤديكم إليه يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق
والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات
أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي
الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر
وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على أن ما
وعد لهم على التقوى تفضل منه وإحسان وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده إنعاما
على عمل وإذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم
واستيلائه عليهم والمعنى واذكر إذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق أو الحبس أو الإثخان بالجرح من قولهم ضربه
حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك أو يقتلوك
بسيوفهم أو يخرجوك من مكة وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومتابعتهم فرقوا فاجتمعوا في دار الندوة
متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم فأردت أن أحضركم
ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون
إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم
فقال هشام رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما
غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة

فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق
هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيت عليا على مضجعه
وخرج مع أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو
بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين
إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره وإسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام
الذم وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث وإسناده إلى الجميع
إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم
وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم
بالسيف فلم يعارضوا سورة مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان إن هذا
إلا أساطير الأولين ما سطره الأولون من القصص وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هذا أيضا من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود روي أنه لما
قال النضر إن هذا إلا أساطير الأولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك إنه كلام الله فقال ذلك والمعنى إن
كان القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره أو ائتنا بعذاب أليم سواه والمراد منه التهكم
وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف
فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم
أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الأولين وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة
على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه
والمراد باستغفارهم إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون وما لهم ألا يعذبهم الله وما لهم ما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك
وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه إلجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين إلى الهجرة وإحصارهم عام الحديبية وما كانوا أولياءه مستحقين ولاية أمره مع شركهم
وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء إن أولياؤه إلا المتقون
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن لا ولاية لهم عليه
كأنه نبه بالأكثر أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت
أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها إلا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو إذا صفر وقرئ
بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدى أو من الصد على إبدال أحد حرفي التضعيف بالياء
وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا
تليق بمن هذه صلاته روي أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم
يصلون أيضا فذوقوا العذاب يعني القتل والأسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن يكون للعهد والمعهود

ايمانا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او
في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه
لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد
بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل
وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض انفاقهم ومساق
الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود وجعل
ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا
قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون
ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المومن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون
او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام
متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم
او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر
بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين
كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر
لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلم بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا
مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة
فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون
بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير
يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب
وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه
اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر
والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة
المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف
الى هولاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلوات الله عليه يصرف الى ما كان يصرفه
اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة
سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض
الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية وقال يقسم ستة ويصرف سهم الله

عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار صح

الجزو العاشر

الى الكعبة لما روي انه عليه السلم كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت
المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه السلم قسم سهم ذوي القربى
عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هولاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم
ارايت اخواننا من بني عبد المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلم انهم لم يفارقونا في جاهلية
ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل
هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان
منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف
من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم امنتم بالله
فاعلموا انه جعل الخمس لهولاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد
منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الايات والملائكة
والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمومنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم
التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم
بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر
وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه
قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجا على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب
اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع
الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها
وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب
ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال
ثم علمتم حالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس
الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمعكم على هذه الحال من غير ميعاد
ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من
يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر
وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد من هلك ومن حي
المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر
ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه
ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر
او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك
فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت

حالكم وهم

آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع إنه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا الضميران مفعولا
يرى وقليلا حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن إلى جنبه أتراهم
سبعين فقال أراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في أعينهم حتى قال
أبو جهل إن محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا
يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر وهذا من عظائم آيات
تلك الوقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا
الحد وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار عن إبصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط
ليقضي الله أمرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثم الالتقاء على
الوجه المحكي وهنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وحزبه وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين
آمنوا إذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء
مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن
لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا
بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء
كما فعلتم ببدر أو أحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح
مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل
المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور
واصبروا إن الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني أهل
مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا فخرا وأشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم
لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم
بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا
كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بأن يكونوا أهل
تقوى وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء أمر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا إن
جعل مصدرا في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم
عليه وإذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر أعمالهم في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بأن
وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى في
روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم
إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم
خبر لا غالب أو صفته وإلا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان أي تلاقى
الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم

إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله أي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى
إمداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الإحنة
وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم
من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له إلى أين أتخذلنا في
هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس
سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى
هذا يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله إني أخافه أن يصيبني بمكروه من الملائكة أو يهلكني ويكون
الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم ير قبله والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد
العقاب يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
والذين لم يطمئنوا إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير
الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حين تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة
عشر إلى زهاء ألف ومن يتوكل على الله جواب لهم فإن الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل
حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت فإن لو يجعل المضارع
ماضيا عكس إن إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر وإذ ظرف ترى والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة
أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عز وجل
وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو
على الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين وأدبارهم ظهورهم وأستاههم ولعل المراد
تعميم الضرب أي يضربون ما أقبل منهم وما أدبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون بإضمار القول
أي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار
منها وجواب لو محذوف لتفظيع الأمر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت أيديكم بسبب ما كسبتم
من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وأن الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة
بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم فإن ترك التعذيب من
مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لأجل العبيد كدأب
آل فرعون أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقتهم التي دأبوا فيه أي داموا عليه و
الذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم كما أخذ هؤلاء
إن الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك إشارة إلى ما حل بهم بأن الله بسبب أن الله
لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم مبدلا إياها بالنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم يبدلوا ما بهم من الحال
إلى حال أسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول
ومن تبعه منهم والسعي في إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها إلى غير ذلك مما أحدثوه
بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري
عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون

لتشبيه بالحروف اللينة وأن الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من
قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به من
الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما أخذ به آل فرعون وقيل الأول لتشبيه الكفر و
الأخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم وكل من الفرق المكذبة أو من غرقى
القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي إن شر الدواب عند الله الذين كفروا
أصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم إيمان ولعله إخبار عن قوم مطبوعين على الكفر
بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين
عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم
يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا
نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم ومن
لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة المعاهدة أو المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته
أو لا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فإما تثقفنهم فإما تصادفنهم وتظفرن بهم
في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم
من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم
والمعنى واحد فإنه إذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين
يتعظون وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بأمارات تلوح لك فانبذ إليهم فاطرح
إليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فإنه يكون خيانة
منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الأول
أي ثابتا على طريق سوي أو منه أو من المنبوذ إليهم أو منهما على غيره وقوله إن الله لا يحب الخائنين
تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا
تحسبن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء
على أن الفاعل ضمير أحد أو من خلفهم أو الذين كفروا والمفعول الأول أنفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير
أن سبقوا وهو ضعيف لأن أن المصدرية كالموصول فلا تحذف أو على إيقاع الفعل على أنهم لا يعجزون
بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين والأظهر أنه تعليل للنهي
أي لا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا لأنهم لا يفوتون الله أو لا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم
وكذا إن كسرت إن إلا أنه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية إزاحة لما يحذر به من نبذ
العهد وإيقاظ العدو وقيل نزلت فيمن أفلت من فل المشركين وأعدوا أيها المؤمنون لهم
لناقضي العهد أو للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر
سمعته عليه السلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لأنه أقواه
ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به
يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا أو جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل

بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به
تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للإعداد عدو الله وعدوكم
يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس
لا تعلمونهم لا تعرفونهم بأعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم جزاؤه وأنتم لا تظلمون
بتضييع العمل أو نقص الثواب وإن جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام وإلى للسلم للصلح
والاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه
قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل
على الله ولا تخف من إبطانهم خداعا فيه فإن الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم إنه هو السميع لأقوالهم
العليم بنياتهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف
وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله فإن محسبك الله وكافيك قال جرير إني وجدت من
المكارم حسبكم أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين جميعا وألف
بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في أدنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف
منهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه لو أنفقت ما في الأرض
جميعا ما ألفت بين قلوبهم أي تناهى عداوتهم إلى حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما في
الأرض من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح ولكن الله ألف بينهم بقدرته البالغة فإنه المالك
للقلوب يقلبها كيف يشاء إنه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم أنه كيف
ينبغي أن يفعل ما يريده وقيل الآية في الأوس والخزرج كان بينهم إحن لا أمد لها ووقائع هلكت فيها
ساداتهم فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وصاروا أنصارا يا أيها النبي
حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين إما في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك
والضحاك سيف مهند أو الجر عطفا على المكني عند الكوفيين أو الرفع عطفا على اسم الله أي كفاك
الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون
رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في إسلامه يا أيها النبي حرض
المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه وأصله الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ
حرص من الحرص إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا
من الذين كفروا شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم إن صبروا غلبوا بعون
الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الاثنين ووافقهم البصريان في فإن يكن
منكم مائة بأنهم قوم لا يفقهون بسبب أنهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين
رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون من الله إلا الهوان والخذلان
الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن
منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله لما أوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك
عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى

الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل
ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين
والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون
له اسرى وقرا البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه
ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد
للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة
او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرء
تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال
ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن
لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس و
عقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفدا مكني
من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد
من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت
فدخل عمر رضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد
بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه
الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم السلام يجتهدون وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقرون عليه
لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او
ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم
فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن
معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا
عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا و
فائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله
طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في
ايديكم من الاسرى وقرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني
اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين
الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان

حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني ربي تعالى قال فاشهد
انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها
في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في
عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني
الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك
فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل
يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم
هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح
وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار
آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان
المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى
يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة و
الامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم
على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليه والله بما تعملون بصير
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة
بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض
حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة
وهو ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة اقسام بين
ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال
ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم
في الامرين من يلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم
اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب
في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء
عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا له شفيع يوم القيمة وشاهد انه بريء من
النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له
ايام حيوته سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها
اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي

وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله

براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتداء لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رض اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور فلما كان يوم التروية خطب ابو بكر رض وحدثهم عن مناسكهم وقام علي عليه السلام يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عشيرته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة

واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي اعماله او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان

نبذت الشيء انبذه اذا القيته

صلى الله عليه وسلم

قال مامور

او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك كانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تنبيه وتعليل على ان اتمام عهدهم من باب التقوى

فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم فان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه

او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد ظرف له او ليكون وكيف على الاخير حال من العهد وللمشركين

سقب الذكر من ولد الناقة ورال النعام ولده

قدم

مخالف

ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الّ
الشي اذا حدده او من الّ البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرال وجبرئيل ولا ذمة
عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد
المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون
ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان
الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما يتفوه به افواههم
واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من
التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا
قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل
بيته بحصر الحجاج والعمار والفا للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون
عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في الناقضين
وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون
في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما
عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفا بالعهود وطعنوا في دينكم
بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة
على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين
فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي و
روح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم
على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده
واستشهد به الحنفية على ان يمين ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست
الكافر
بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم
يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او لهم ايمان ليس
فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال
الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار
فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ان لا يعاونوا
عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما ذكر
في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم
بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به
فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون
قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين

فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه
والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن
من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا
مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج
قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله
على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب
بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب
لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب
للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى
العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا
عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون
اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم
منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله
شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره
كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر
باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ
له علي في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم
خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة اي
انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها
بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في
بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان
بالله قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة واتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله
اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك
ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع
باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين
عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية

والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا تشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية
الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه
المشركون واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله
والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكون
في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين
الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل
السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم
بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود
بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه
لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم
لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا
ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم
اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان
ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها
قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل
من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ عشائركم
واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه
لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة
عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم
وقل من يتخلص منه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين
وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين عليه
ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما
فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين
مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا
العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة
آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا
بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى
بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه

ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس
فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك
ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب
فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الغناء او من امر العدو
وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم
من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين
والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا
على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم
الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا
خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر
والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على
من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا
منهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا
واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال
صلى الله عليه وسلم اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه
ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا
وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا
انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون
ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد
واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن
دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس
مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم
هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من
الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها
مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل في
ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي و
يمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في

اول البترة فإيمانهم كلا إيمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل
رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين
الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها من الذين أوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون
حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد
مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل
فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام
عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون
اذلاء وعن ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية
باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف
انه عم اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لأن لهم شبهة كتاب
فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم
الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عم صالح عبدة الأوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ
من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية
واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت
اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كان بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق
فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا
فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت
عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزيرٌ بالتنوين على انه عربي
مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الأخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء
الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لأن الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا
وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا
قول بعضهم وانما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا اب او لأن يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بأفواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي التجوز عنها
او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولا يوجد مفهومه
في الأعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة
بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرئ به عاصم
ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك
فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله
او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون

اربابا الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة
الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر
للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله
حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بأفواههم بشركهم
او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم
في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله
ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون
محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون
موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول
واللام في الدين للجنس اي على سائر الأديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من
الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال
اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص
على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون
اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عم ما ادي زكوته فليس
بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله عم من
ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عم فيما اورده الشيخان مرويا
عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح
من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم
اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند
الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها
والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة
وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر
لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم لأن جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية
والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء
الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات
الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لتنتفعوا به و
كان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون

بضم النون إن عدة الشهور أي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لأنها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب
الله في اللوح المحفوظ أو في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات والأرض متعلق بما فيه
من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله الأجرام
والأزمنة منها أربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ذلك الدين القيم أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبرهيم وإسمعيل عم والعرب
ورثوه فلا تظلموا فيهن أنفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة منها ح
المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم
وحال الإحرام وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن تغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن تقاتلوا
ويؤيد الأول ما روي أنه عم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة
وقع موقع الحال واعلموا أن الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم إنما النسيء
أي تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا
مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش
إنما النسي بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلثتها مصادر
نسأه إذا أخره زيادة في الكفر لأنه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه إلى
كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن
يعقوب يضل على أن الفعل لله يحلونه عاما يحلون النسيء من الأشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا
آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان
يقوم على جمل في الموسم فينادي إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل إن
آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال أو حال ليواطئوا عدة ما حرم الله
أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه أو بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم
الله بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء أعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو
الله تعالى والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين
هداية موصلة إلى الاهتداء يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الأصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ إلى الأرض متعلق به كأنه ضمن
معنى الإخلاد والميل فعدي بإلى وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف
في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم أرضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها
من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة
إلا قليل مستحقر إلا تنفروا إن لا تنفروا إلى ما استنفرتم يعذبكم عذابا أليما بالإهلاك بسبب فظيع
كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء
فارس ولا تضروه شيئا إذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فإنه الغني عن كل شيء وفي كل أمر

وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم أي ولا تضروه فإن الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق والله
على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة بلا مدد كما قال إلا تنصروه فقد نصره الله
أي إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه
إلا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له
النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره وإسناد الإخراج إلى الكفرة لأن همهم
بإخراجه أو قتله تسبب لإذن الله بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري
المنقوص مجرى المقصور في الإعراب ونصبه على الحال صح إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه بدل البعض
إذ المراد به زمان متسع والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة
مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان أو ظرف لثاني لصاحبه وهو أبو بكر رضه لا تحزن إن الله معنا
بالعصمة والمعونة روي أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل
لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه فأنزل الله
سكينته أمنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم أو على صاحبه وهو
الأظهر لأنه كان منزعجا وأيده بجنود لم تروها يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار أو ليعينوه
على العدو يوم بدر والأحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى يعني الشرك أو دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد أو دعوة
الإسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن أيدي الكفار إلى المدينة فإنه المبدأ
له أو بتأييده إياه بالملائكة في هذه المواطن أو بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب
وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع أبلغ لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية
في نفسها وإن فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم
في أمره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو لقلة عيالكم ولكثرتها أو
ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل ليس على الأعمى حرج وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في
سبيل الله بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما ذلكم خير لكم من تركه إن كنتم تعلمون الخير علمتم أنه خير أو
إن كنتم تعلمون أنه خير إذ إخبار الله به صدق فبادروا إليه لو كان عرضا قريبا أي لو كان ما دعوا
إليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت
عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله أي المتخلفون
إذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقرئ
لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي
القسم والشرط وهذا من المعجزات لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون أنفسهم بإيقاعها في الهلاك
وهو بدل من سيحلفون لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس في الهلاك أو حال من فاعله والله يعلم إنهم لكاذبون

فذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من
روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في
القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في
الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يومر بهما اخذ
الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص
منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا في التخلف عنه او
ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة
لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان
بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم
الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له عدة للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل [illegible] الخروج
لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون
لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء
ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم
ولاسرعوا ركائبهم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع
يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة
حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون
يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة
تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك
بعد ما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد و
قلبوا لك الامور دبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر
والتاييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم
وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن
ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي
العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن
او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما
روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر
ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة
التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة

المؤمنين

بينكم

او الآن لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان
تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم
واستحمدوا رايهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فرحون
مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة
او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل
لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما
قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم
ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين
كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوءيين ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو
عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي
لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم
امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا اهل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي و
نفي التقبل يحتمل امرين ان لا يوخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على
سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير
حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك
استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها و
حفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين
مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة و
يحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا
بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجا حصنا يلجؤون اليه او مغارات غيرانا
او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا
يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا اليه وهم يجمحون يسرعون
اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرا يعقوب
يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا
هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة
الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم
حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن
يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من

الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان بامره وقالوا حسبنا
الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله
راغبون في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف
الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوة
لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوة دون الغنائم والفقير من
لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب
لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام سأل
المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها
وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم و
مراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس
بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص
ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد
الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب
بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى
والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها
والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات بين وان كانوا
اغنياء لقوله لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله ولغارم او رجل اشتراها بماله او
رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف
في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل
المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال
من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر
الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم
ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رح وعن عمر وحذيفة وابن عباس
وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض
اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب
قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة
للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق
له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما
شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي
ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده
من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق

فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا
يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم لجهله بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر
عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن
بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم اي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله
ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان
الكلام في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك
ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشأن وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة
من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل
ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك
وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين
سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم
كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم
لم يكونوا على بت في امر الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم
استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال
السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي
ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان
يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا فقالوا لا
والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض
السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما
للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب
قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان
نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم
كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ
بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان
ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان
كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده
كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن
الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين
هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار

نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم
من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين
من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منهم قوة واكثر اموالا و
اولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه
من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر
في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيد الذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء
اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او
كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين و
اولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا
بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض و
اهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات
قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت انقلابا فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل
وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات يعني
الكل فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله
لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع
الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب
بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك ومرجع العطف
فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه
وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع
اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء
منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في
جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر
لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلام ان الله تعالى
يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما

تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر

فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم
في ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه السلام اقام
في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول
محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله
فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا
الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ان خمسة عشر منهم
توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ
عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة
بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراج المؤمنين
من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا
ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا
محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او
العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا
بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض
من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال
عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني
مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمي الدود حتى ضاقت بها المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه
واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس
بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان
اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه
فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الاعراض فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في
قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون
الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم
ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد
متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون

فلما جاء قال النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلمه يا ويح ثعلبة مرتين

او من عاهد الله وقرى بالتا على الالتفات أنّ الله يعلم سرّهم ما اسرّوه في انفسهم من النفاق او العزم
على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام
الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرى
يلمزون بالضم المطوعين اى المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روى انه عم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت
لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له
حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي
بمائة وسق وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع
ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم
الا طاقتهم وقرى بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله
منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر
لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم روى ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه
في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل
فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال
السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه
العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين
المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى
الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول صلى الله عليه وسلم في استغفاره
وهو عدم ياسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم
لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام
خلاف الحي اى بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض
بالمؤمنين الذين اثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اى
قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة
لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا

بن عبدالله

قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على
صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكا كنايتين عن السرور والغم والمراد
من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين
يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك
للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة
انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم
واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اى المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء
والصبيان وقرى مع الخلفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روى ان ابن ابي دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي
عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما
لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه
كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد بالصلوة الدعا للميت والاستغفار
له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي بقوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احيا الكافر
للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة انهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق
به فان الابصار طامحة على الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه
في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان
آمنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم ذووا
الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف
مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة
الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا
باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات
منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذر
اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع
لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرى المعذّرون بتشديد

العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم
كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم
منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره
عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله
بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا
يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا
الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين
غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك
لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار
وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل
وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة
والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل
وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف
في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع حزنا اي دمعها فان
من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان
العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله
الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة
على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف
ببيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف
ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون
اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نؤمن
لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه عليه السلام بعض اخباركم وهو ما
في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه
وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي الله فوضع الوصف موضع
الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم
بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم
فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه
التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة وماواهم جهنم
من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او تعليل

الجزو الحادي عشر

ارجاس

ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا
وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم
لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا
على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضا عنهم والاغترار
بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض عنهم وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة
واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها
والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا
وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة و
خسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم
الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء
اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل
او اسم فاعل من دار يدور سمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك
رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم
الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها
او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك
سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام
اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من
الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة
والضمير لنفقتهم وقرا ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم
والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية
في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى
القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى
وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة
مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون
بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم
جنات تجري تحتها الانهار وقرا ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا
ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة
ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر

لحذف صفته مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع
الثنايا وعلى الاول صفة لمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا لبيان تمرنهم
وتمهرهم في النفاق لَا تَعْلَمُهُمْ لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم
الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ونطلع على اسرارهم ان
قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ بالفضيحة والقتل او باحدهما
وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ الى عذاب النار وَآخَرُونَ
اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته
فصلى ركعتين فرآهم فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال
وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت فاطلقهم خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا خلطوا العمل
الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب باخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو
اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يتجاوز
عن التائب ويتفضل عليه خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا
التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا تُطَهِّرُهُمْ عن الذنوب او
حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وَتُزَكِّيهِمْ
بِهَا وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وَصَلِّ عَلَيْهِمْ واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار
لهم إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا
حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد وَاللَّهُ سَمِيعٌ باعترافهم عَلِيمٌ بندامتهم أَلَمْ يَعْلَمُوا الضمير اما للمتوب
عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به
التحضيض عليها أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز
وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ يقبلها قبول من ياخذ شيئا ليؤدي بدله وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وان من شانه
قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وَقُلِ اعْمَلُوا ما شئتم فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ فانه لا يخفى عليه خيرا كان
او شرا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رايتم وتبين لكم وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ بالموت فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالمجازاة عليه وَآخَرُونَ من المتخلفين مُرْجَوْنَ موخرون
اي موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما
لغتان لِأَمْرِ اللَّهِ في شانهم إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ان اصروا على النفاق وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ان تابوا والترديد
للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله وَاللَّهُ عَلِيمٌ باحوالهم حَكِيمٌ فيما يفعل بهم وقرئ
والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم
الى الله فرحمهم الله وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا عطف على وآخرون او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن

وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضِرَارًا مضارة للمؤمنين
روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه
فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم
من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة
المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وَكُفْرًا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يريد
الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قبا وَإِرْصَادًا ترقبا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ يعني الراهب
فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين
فانهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات
بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق
بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل
غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله
صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ما اردنا ببنائه الا الخصلة
الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
في حلفهم لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا للصلوة لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقول ابي سعيد رضي الله عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ من
ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر أَحَقُّ
أَنْ تَقُومَ فِيهِ اولى بان تصلي فيه فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا
لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب
مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم لمؤمنون
وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون
في الرخاء قالوا نعم فقال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل
قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط
الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ بنيان دينه
عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة أَمْ مَنْ
أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فَانْهَارَ بِهِ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه
الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه

بانيا به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار
ويوصله الى رضوان الله تعالى ومقتضياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على
صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر أُسِّسَ على
البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه وأُسُّ بنيانه على الاضافة وأُسُس وإِساس بالكسر وثلاثتها
جمع أُسّ وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
جُرْف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم
الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف
بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب
شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم و
ازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك
والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل
او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع
بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يُقطع بالياء ويُقطَع بالتخفيف وتُقطِّع قلوبهم
على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم
حكيم فيما امر بهدم بنائهم إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة تمثيل
لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم
المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا
عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن
مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب
كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا
لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله
مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون
لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية
يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون
الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي
والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين
وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله

وآساس

مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة
هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين
يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان
ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل
وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال
لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام
مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي
وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه
دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم وهدايتهم وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم لابيه الكافر فقال
وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله لاستغفرن
لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها
ابرهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرأ
منه قطع استغفاره إن ابرهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور
على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اي
ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين
لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر للرسول صلى الله عليه وسلم في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه
قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل
غير مكلف إن الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين إن الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن
ذلك وجوب التبري عنهم رأسا ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون
ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف
او برأهم عن علقة الذنوب لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة
والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله وتوبوا الى
الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة
واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها
وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين
كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
او اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة
وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم
يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او

بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاء ولا نصرة الا منه ليتوجهوا

المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة وتاب على الثلثة كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة
الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا
وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا
او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليه بالنعم
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله
نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى في توبتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهى عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا
يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده
من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت
له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه
قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ من العطش ولا
نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن لا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار
يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا
به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل
لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن
كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رض في جيش العسرة ولا
يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال فشاع بمعنى
الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او
جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم
لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة
كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية
وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد

لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم
كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذر فرقته كي يتذكروا ويحذروا
فلو لم يعتبر اخبارهم لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد
وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد
الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي
الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اى ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا
اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال
الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب
من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا
ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء
ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين آمنوا فزادتهم
ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها
لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها
مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ
بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من
الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم
هل يراكم من احد اى يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يرهم احد قاموا وان
يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم
وقرئ من انفسكم اى من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اى
على ايمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة
الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم
لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم
او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل
هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة
وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك

آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شيء منها أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه أَنْ أَوْحَيْنَا وقرى بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم فيوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موضع مفعول اوحينا وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به أَنَّ لَهُمْ بان لهم قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لَسِحْرٌ مُبِينٌ وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول صلى الله عليه وسلم امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرى ما هذا الا سحر مبين إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ التي هي اصول الممكنات فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذَلِكُمُ اللَّهُ اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية رَبُّكُمْ لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فَاعْبُدُوهُ وحدوه بالعبادة أَفَلَا تَذَكَّرُونَ تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وَعْدَ اللَّهِ مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حَقًّا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ بعد بدئه واهلاكه لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود

ولعل ما بالذات نوره وبالعرض نور وفيه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرة بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها

من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرا أَنَّهُ يَبْدَأُ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القران على القلب بتقديم اللام على العين وَالْقَمَرَ نُورًا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص يفصل الايات بالياء إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من انواع الكائنات لَآيَاتٍ على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا من الاخرة لغفلتهم عنها وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ خبر او حال اخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دَعْوَاهُمْ فِيهَا اي دعاؤهم سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ اللهم انا نسبحك تسبيحا وَتَحِيَّتُهُمْ ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ واخر دعائهم أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الافات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرى بها وبنصب الحمد وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ ولو يسرعه اليهم اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ وضع موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم والمراد شر استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ لاميتوا واهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرى لقضينا

في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي
فنذرهم إمهالا لهم واستدراجا وإذا مس الإنسان الضر دعانا لإزالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه أي
مضطجعا أو قاعدا أو قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار فلما
كشفنا عنه ضره مر أي مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع إليه كأن
لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان
إلى ضر مسه إلى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك
في الشهوات والإعراض عن العبادات ولقد أهلكنا القرون من قبلكم يا أهل مكة لما ظلموا حين
ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة
على صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم أن يؤمنوا
لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على الكفر واللام لتأكيد النفي كذلك
مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في إمهالهم
نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وأنهم
أعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها
استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف
معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجبه أن يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على أن المعتبر في الجزاء
جهات الأفعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى وإذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر
نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معايب آلهتنا
أو بدله بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم الله
فيلزمهم قل ما يكون لي ما يصح لي أن أبدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وإنما
اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر إن أتبع إلا ما يوحى إلي تعليل
لما يكون لأن المتبع لغيره في أمر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات
ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في
الجواب وسماه عصيانا فقال إني أخاف إن عصيت ربي أي بالتبديل عذاب يوم عظيم
وفيه إيماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا أدراكم
به ولا أعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولا أعلمكم به على لسان غيري والمعنى أنه الحق الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري
وقرئ ولا أدرأتكم ولا أدرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة أو على أنه
من الدرء بمعنى الدفع أي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى أن الأمر بمشيئة
الله لا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر
أربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه فإنه إشارة إلى أن القرآن معجز خارق للعادة فإن

من عاش

من عاش بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم
قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد
علمي الأصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين على ما هي عليه علم أنه معلم به
الله أفلا تعقلون أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس إلا من الله فمن أظلم
ممن افترى على الله كذبا تفاد مما أضافوه إليه كناية أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم
إنه لذو شريك وذو ولد أو كذب بآياته فكفر بها إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم لأنه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته
بجلب نفع أو دفع ضر ويقولون هؤلاء الأوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا
أو في الآخرة إن يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد
الضار النافع إلى عبادة ما يعلم قطعا أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده قل
أتنبئون الله أتخبرونه بما لا يعلم وهو أن له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم أو هؤلاء ليسوا شفعاءه
عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق في السموات ولا في الأرض حال من العائد
المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على أن ما يعبدون من دون الله إما سماوي أو أرضي ولا شيء من الموجودات
فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق أن يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن إشراكهم أو عن
الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في أول النحل والروم بالتاء وما
كان الناس إلا أمة واحدة موحدين على الفطرة أو متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام
إلى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان أو على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى
والأباطيل أو ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة وأصرت أخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم
أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
بإهلاك المبطل وإبقاء المحق ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه أي من الآيات التي اقترحوها
فقل إنما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في إنزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن إنزالها
فانتظروا لنزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم لما نزل علي من الآيات
العظام واقتراحكم غيره وإذا أذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض
إذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله أسرع مكرا منكم قد
دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم وإنما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا
لإذا الشرطية والمكر إخفاء الكيد وهو من الله إما الاستدراج أو الجزاء على المكر إن رسلنا يكتبون
ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على أن ما دبروا في إخفائه لم يخف على الحفظة فضلا أن يخفى
على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في
البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب إلى الغيبة
للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك

تفادا أي تحامي واحتراز

دون

الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجيهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وتزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل للوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك هو الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلال لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم

وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تمتعون متاع الحيوة الدنيا

الذين امنوا منصوب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن عطا لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملئكة بالرحمة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وغير ذلك من البشارات وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

من سورة يونس

156

لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم
ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها
ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ
والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى
سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما
اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة
~~مبتدأ خبره محذوف فجزاء سيئة~~ بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها
وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله
ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها
وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور
والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب
قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لان السيئات تشتمل على الشرك والكفر ولان
الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا
ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله
وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم
وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه عن عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة
اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه
العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام
تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي
تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عملها فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال
ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها
ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع
الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه
مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع
لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب
سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل
السماء والارض امن يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى
شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت ومنشئ الحيوان من النطفة والنطفة

نبشافهم

بحال

الشرك

وتسويتهما او من يحفظهما

156 A

وما تكون في شان وما تتلو منه من قران ولا تعملون
من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه
وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
الا في كتاب مبين الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين امنوا وكانوا يتقون سورة يونس
لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل
لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم

وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ اذ لا يقدرون على المكابرة و
العناد في ذلك لفرط وضوحه فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك
فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم
واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى
الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فَأَنَّى تُصْرَفُونَ عن الحق الى الضلال كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ اي
كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه عَلَى الَّذِينَ
فَسَقُوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها
والمراد بها العدة بالعذاب قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ جعل الاعادة كالابداء في الالزام
بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بان ينوب عنهم في الجواب
فقال قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ تصرفون عن قصد
السبيل قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر
وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم يتوجه
نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ
أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه
اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير
وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد
والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يِهِدي باتباع الياء
الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله
وقرئ الا ان يُهَدَّى على المبالغة فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ بما يقتضي صريح العقل بطلانه وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ فيما يعتقدون
إِلَّا ظَنًّا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق
بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف
إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ من العلم والاعتقاد الحق شَيْئًا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق
حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ
افتراء من الخلق وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها
ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه لانه خبر لكان مقدر
او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق
وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لَا رَيْبَ فِيهِ منتفيا عنه الريب
وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان
يكون استئنافا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل
ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع

الظن

الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه أَمْ يَقُولُونَ بل ايقولون افْتَرَاهُ محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه
الانكار قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية و
الفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا
به مِنْ دُونِ اللَّهِ سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انه اختلقه بَلْ كَذَّبُوا بل
سارعوا الى التكذيب بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم
بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ولم يقفوا
بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم
انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤوا تكذيبه قبل ان يتدبروا
نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته
فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا
كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ انبياءهم فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به
من قبلهم وَمِنْهُمْ ومن المكذبين مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او سيؤمن به و
يتوب عن كفره وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر
وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ بالمعاندين او بالمصرين وَإِنْ كَذَّبُوكَ وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فَقُلْ لِي
عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا أَنْتُمْ بَرِيئُونَ
مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم
قيل انه منسوخ باية السيف وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ اذا قرات القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون
كالاصم الذي لا يسمع اصلا أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ تقدر على اسماعهم وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ولو انضم الى صممهم عدم
تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا
يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف تعذر
افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق وَمِنْهُمْ
مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ تقدر على هدايتهم وَلَوْ كَانُوا
لَا يُبْصِرُونَ وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل
للامر بالتبري والاعراض عنهم إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا بسلب حواسهم وعقولهم وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار
بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل
من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم
مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف
اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول

ما لبثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مبينة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق
الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم
والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق
استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب
الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان
نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله
شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع
بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم
الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول
واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم
الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلى الله عليه
والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله
ان املكه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل
ارايتم ان اتيكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم
مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه
لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم
لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال
او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة
بارايتم او قوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم
الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير آلآن على ارادة القول
اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب آلآن امنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد
المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق
هو احق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة
والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق
هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة
في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب كائن او ما ادعيته لثابت وقيل
كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي
والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي

على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه
واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم
يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء
لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين
على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في
السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب
كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعقلون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت
في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة
والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء
لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن
الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من
الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزل عليهم فنجوا بها من ظلمات
الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من دركات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير
فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا
فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد
والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى
مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة
على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك
فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما
يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح
المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر
في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد
منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فتقولون ذلك بحكمه
ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان
يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب
يوم القيمة اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ
الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم
بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون
في شان ولا تكون في امر واصله الهمزة من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له

لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قرآن
على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل
تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل
والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب
عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او
هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا
بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب
بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله
مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية كمجمل فسره قوله الذين
آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى في الحياة الدنيا وهو
ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات
وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان
لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى
لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين
هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان
يقع بعده كلام متصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه
وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن
بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع
لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين
واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون
له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان
كانوا يسمونها شركاء ~~ويجوز ان يكون شركاء~~ ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة
معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم
لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم ان يتبعون الا الظن
ظنهم انهم شركاء وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده
باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له

عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ
الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي
لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان
او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ و
تقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد
لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ
الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر
مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع
او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان
كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او
قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على
امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ
به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم
ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم عليكم غمة وقصدي عليكم مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه
اذا ستره ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر
الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء
ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم
واتهامكم اياي لاجله او يفوت مني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني
به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه
فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب
فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم
وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤوهم بالبينات
بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم
في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه
قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع
المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق
ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون الى فرعون وملئه بآياتنا
بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا

بالموت ص

يا قوم ص

اوص

وبذكري ص

قالوا لم

برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك وتظاهرها قالوا إن هذا لسحر مبين ظاهر أنه سحر أو فائق في فنه واضح فيما بين إخوانه قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز أن يكون المحكي أسحر هذا لأنهم بتوا القول بل هو استئناف بإنكار ما قالوه اللهم إلا أن يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز أن يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولأن العالم بأنه لا يفلح الساحر لا يسحر أو من تمام قولهم إن جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل أخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام وتكون لكما الكبرياء الملك في الأرض أرض مصر سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر أو لتكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين مصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ أبو عمرو آلسحر على أن ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدأ خبره محذوف أي السحر هو ويجوز أن ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره أي شيء أتيتم إن الله سيبطله سيمحقه أو سيظهر بطلانه إن الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ أمره إلا ذرية من قومه إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون إلا طائفة من شبانهم وقيل الذرية طائفة من شبان آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملئهم أي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء أو على أن المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم أن يفتنهم أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول خوف وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه وإن فرعون لعال في الأرض لغالب فيها وإنه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل فإنه المقتضي له والمشروط بالإسلام حصوله فإنه لا يوجد مع التخليط ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت فقالوا على الله توكلنا لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي أن يتوكل أولا

إلا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون
والذرية طائفة من شبانهم أو أسباط أو
مؤمن آل فرعون

[illegible]

لتجاب

160

لتجاب دعوته وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ أي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها أو يرجعون إليها للعبادة واجعلوا أنتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي إليها وأقيموا الصلاة فيها أمروا بذلك أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وإنما ثنى الضمير أولا لأن التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي أن يفعله كل أحد ثم وحد لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما وأموالا في الحياة الدنيا وأنواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل أن تكون للعلة لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للأول تأكيدا وتنبيها على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على أموالهم أهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم واشدد على قلوبهم أي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد أجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون لأنه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان أيضا وجاوزنا ببني إسرائيل البحر أي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فأتبعهم فأدركهم يقال تبعته حتى أتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين أو للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى إذا أدركه الغرق لحقه قال آمنت أنه أي بأنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي إنه بالكسر على إضمار القول أو الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الإيمان أوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الإيمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من أنجى وقرئ ننحيك بالحاء أي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال أي ببدنك عاريا عن الروح أو كاملا سويا أو عريانا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بأبدانك أي بأجزاء البدن كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدروع كأنه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل أو لمن يأتي بعدك من القرون إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على أن الإنسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية

نحوه في سورة البقرة في قوله [illegible]
[illegible] أن السجود [illegible]

بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين
ولا تتبعان من تبع الاستعمال

وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد
منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه
ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا
انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما
اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التورية وعلموا احكامها او في امر محمد
صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل
الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك و
المراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب
بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الله او تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك
له ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل من يسمع اي
ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين
ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات
القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات
الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن
ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمت ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب
لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم
وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا
كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر
اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم
يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد
من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده
قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل
فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنى الموعد اغامت السماء غيما اسود
ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها
فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم
وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم
احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم جميعا
وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ

الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار
وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا
عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزل ولذلك
قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها
فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل
بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه
لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم
على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر
عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل
ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب
لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك
الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك
الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله
المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا
وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد
ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد
وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون
من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين
عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها
بما تتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى
وامرت بالاستقامة في الدين والاشتداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة
باستقبال القبلة حنيفا حال من الوجه او الدين ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما
لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين
جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له
يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة
مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم
لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق
لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم

والقرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن
ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم
وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى
يحكم الله بالنصرة او الامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر
اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون ۞ سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب
خبر محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت
من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة
منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت
بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل
فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم
فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى
للكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي
باعتبار ما ظهر امره وما خفي ألا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل
الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة
الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير و
بشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم
توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل
استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا
حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال
والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير
ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الآخرة والدنيا وهو وعد
للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة
وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم
رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ من القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب
فكانه تقرير لكبر اليوم ألا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها
على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء
المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة
صدورهم للثني ويثنئن من اثنان كابياض بالهمزة ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا
يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا

الجزو الثاني عشر

واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية
مكية والنفاق حدث بالمدينة ألا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم
ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف
يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى
بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة والممات
او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار
حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مكتوب في اللوح المحفوظ
وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات
باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض
لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل
بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد
العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا
متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة
ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها و
تستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر
والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح
للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم
عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عليه السلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة
الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان
وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى
ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا انكاركم
لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة
الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع ألا يوم يأتيهم
كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل
على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة
في التهديد ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون موضع يستعجلون
لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها
ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاؤه من فضل الله لقلة صبره وعدم

شغله به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم
وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني
انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس
تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في
الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء
ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة
لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى بالالف
واللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راي المشركين مخافة ردهم
واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو
عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ها هنا وضائق به صدرك وعارض لك
احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع
كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس
عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل
شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام
منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما
عجزوا عنها سهل عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات
من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر
عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من
دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما
دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان
امر الرسول صلى الله عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه
على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه فاعلموا
انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا
اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام
الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون
ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا
للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد
عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من
عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة
القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب

وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل
اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي
يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه خليل
يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية
في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا
في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة
وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة
في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعلق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا
يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول
يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن
كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار
ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة
وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل
مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك
البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله
ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة القرآن
ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو
والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب
موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد
ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن
التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين
اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب
معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن
وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال
فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على
ربهم في الموقف بان يحبسوا او يعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم
وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين
تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها
عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة
هم كافرون والحال انهم كافرون وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في
الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب

ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن ايات الله وكانه العلة لتضاعف العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة
بقوله وما كان لهم من دونه من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب
اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة
لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه
الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه
وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين
او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على
الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي
الفريقان مثلا تمثيلا او صفة وحالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين
ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين
ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مولم وهو
في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهارك صائم للمبالغة
فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب
الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل كانه بالغلبة صار مثل
الاسم كالاكبر او اراذل جمع رذل بادي الراي ظاهر الراي من غير تعمق من البدو او اول الراي من البدء
والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف
اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا
الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك و
لمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى
النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت
على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت
عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها توجب
خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرا
حمزة والكسائي وحفص فعميت اي فاخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها
انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران

لا جرم مالك الواو كلمة كانت في الاصل بمنزلة لا بد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا فلذلك يجاب عنه باللام كما يجاب بها عن القسم الا تراهم يقولون لا جرم لاتينك قرهاء

اي ان كنت على حجة من ربي فعميت عليكم وانا احمل عليكم وتكرهون عليها لان لا اضطرار

الانكار على معنى لم يكن الالزام

وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسالكم عليه على التبليغ
وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول منه وما انا بطارد الذين
امنوا جواب لهم حين سالوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون
بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او
تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم
بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب
ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه او امواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف
على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء
اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا
ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم
اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا
لتجانس الراء في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الروية من غير روية
وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا
فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في
الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا توثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او اجلا وما انتم
بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل
جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح
لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت
لم تطلق وهو جواب لما اوهموا ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء
وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم
والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي
اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى
نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه
ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس
الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ من المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا
اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فلا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون
محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا
منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء او ان عزته وكانوا يضحكون
منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه

البشم التخمة

اقنطه

عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب
مقيم دايم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى
هي التي يبتدا بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدا
منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض
الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع
من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على
معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين
والمراد امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة
فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين
زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا من غيرهم
روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي وسطها الانس
وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض
بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قايلين بسم الله
وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف
محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما
المصدر او جملة من مبتدا وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبره او صلته والخبر محذوف وهو
اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء روي انه كان اذا اراد ان تجري
قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم
السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي وعاصم مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها من رسى وكلاهما
يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم
ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم
فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها
وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس
بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى
نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل
كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة
في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه
نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعد يا بني اركب معنا والسفينة
والجمهور بكسر الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القران غير ابن كثير فانه وقف عليها
في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواة قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على

الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواة عنه في ساير المواضع وقد ادغم الباء في الميم
ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين او الاعتزال قال ساوي الى جبل
يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان
من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من الجبال ونحوه يعصم اللايذ به الا معتصم
المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء
منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان
من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم
وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه بالامر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه
المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك
وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت
السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل
عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا
اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة
لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء
للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم
بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه اراد نداءه بدليل عطف قوله
فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف
وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم
الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع
قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح
فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح
تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا الكسائي ويعقوب
انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك
وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه في شانه ولده او استفسار المانع
للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء
من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن شغله حب الولد عنه حتى اشتبه
الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان
اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات فيما يستقبل اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم
بعصمته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من
الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او

عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دايم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي وسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبره او صلته والخبر محذوف وهو اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء روي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها من رسى وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرأ علي ابنها والضمير لامراته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين في الدين والاعتزال وقرأ عاصم هنا بالفتح اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه في ساير المواضع

والجمهور بكسرها ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ان ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الاخير في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على

الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه في ساير المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين او الاعتزال قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من الجبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغني عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه اراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجاز وفي شان ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن شغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات فيما يستقبل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم اي فيما يستقبل ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او

سلام عليك {وبركات عليك} ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبُط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي {وعلى امم ممن معك} وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشية ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله {وامم سنمتعهم} اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا {ثم يمسهم منا عذاب اليم} في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصلح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم {تلك} اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها {من انباء الغيب} اي بعضها {نوحيها اليك} خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانبا او هو الخبر ومن انبا متعلق به او حال من الهاء {ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا} خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الها في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم {فاصبر} على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح {ان العاقبة} في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز {للمتقين} عن الشرك والمعاصي {والى عاد اخاهم هودا} عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان {قال يا قوم اعبدوا الله} وحده {ما لكم من اله غيره} وقرئ بالجر حملا على المجرور {ان انتم الا مفترون} على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء {يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني} خاطب كل رسول قومه به ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع {افلا تعقلون} افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ {ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا} كثير الدر {ويزدكم قوة الى قوتكم} ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلثين سنة فوعدهم هود عليه السلم على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل {ولا تتولوا} ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه {مجرمين} مصرين على اجرامكم {قالوا يا هود ما جئتنا ببينة} بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات {وما نحن بتاركي آلهتنا} بتاركي عبادتهم {عن قولك} صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي {وما نحن لك بمؤمنين} اقناط له من الاجابة والتصديق {ان نقول الا اعتراك} الا نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه {بعض آلهتنا بسوء} بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ {قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون} اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله {اني توكلت على الله ربي وربكم} تقريرا له والمعنى انكم

انك

وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله وواثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله {ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها} اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك {ان ربي على صراط مستقيم} انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم {فان تولوا} فان تتولوا {فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم} فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم {ويستخلف ربي قوما غيركم} استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كانه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف {ولا تضرونه} بتوليكم {شيئا} من الضرر ومن جزم ويستخلف اسقط النون منه {ان ربي على كل شيء حفيظ} رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء {ولما جاء امرنا} عذابنا او امرنا بالعذاب {نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا} وكانوا اربعة آلاف {ونجيناهم من عذاب غليظ} تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ {وتلك عاد} انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم {جحدوا بآيات ربهم} كفروا بها {وعصوا رسله} لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول {واتبعوا امر كل جبار عنيد} يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم {واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة} اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب {الا ان عادا كفروا ربهم} جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار {الا بعدا لعاد} دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم {قوم هود} عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود {والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض} هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب {واستعمركم فيها} عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم {فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب} قريب الرحمة {مجيب} لداعيه {قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا} لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك {اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا} على حكاية الحال الماضية {واننا لفي شك مما تدعونا اليه} من التوحيد والتبري عن الاوثان {مريب} موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر

قريب الرحمة

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين
وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه إن عصيته في تبليغ رسالته والمنع
عن الاشراك به فما تزيدونني إذن باستتباعكم إياي غير تخسير غير أن تخسروني بإبطال
ما منحني الله به والتعرض لعذابه أو فما تزيدونني بما تقولون لي غير أن أنسبكم إلى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الإشارة ولكم حال منها تقدمت
عليها لتنكيرها فذروها تأكل في أرض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء إلا يسيرا وهو ثلاثة أيام فعقروها فقال تمتعوا
في داركم عيشوا في منازلكم أو في داركم ثلاثة أيام الأربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد
غير مكذوب أي غير مكذوب فيه فاتسع فيه بإجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما
وعامرا أو غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له أفي بك فإن وفى به صدقه وإلا كذبه
أو وعد غير كذب على أنه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم
يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه ههنا وفي المعارج في
قوله من عذاب يومئذ إن ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه وأخذ الذين
ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الأعراف كأن لم يغنوا فيها
ألا إن ثمود كفروا ربهم نونه أبو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن
عامر وأبو عمرو في قوله ألا بعدا لثمود ذهابا إلى الحي أو الأب الأكبر ولقد جاءت رسلنا إبراهيم يعني الملائكة
قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام بالبشرى ببشارة الولد
وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما
قال سلام أي أمركم أو جوابي سلام أو وعليكم سلام رفعه إجابة بأحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي
سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث أن جاء بعجل حنيذ
فما أبطأ مجيئه به أو فما أبطأ في المجيء به أو فما تأخر عنه والجار مقدر أو محذوف والحنيذ المشوي
بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس إذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى
أيديهم لا تصل إليه لا يمدون إليه أيديهم نكرهم وأوجس منهم خيفة أنكر ذلك منهم وخاف
أن يريدوا به مكروها ونكر وأنكر واستنكر بمعنى والإيجاس الإدراك وقيل الإضمار قالوا
له لما أحس منه أثر الخوف لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط إنا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب
وإنما لم نمد إليه أيدينا لأنا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رؤوسهم
للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد أو بإصابة رأيها فإنها كانت
تقول لإبراهيم اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت
قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم يعد حقا ثديها أن تحلما ومنه ضحكت السمرة إذا
سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة و

حفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء إسحق يعقوب وقيل إنه معطوف
على موضع بإسحق أو على لفظ إسحق وفتحته للجر فإنه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف
عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف أي ويعقوب مولود من بعده وقيل
الوراء ولد الولد ولعله سمي به لأنه بعد الولد وعلى هذا تكون إضافته إلى إسحق ليس من حيث إن
يعقوب وراءه بل من حيث إنه وراء إبرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة
كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به وتوجيه البشارة إليها للدلالة على أن
الولد المبشر به يكون منها ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا وأصله في
الشر فأطلق في كل أمر فظيع وقرئ بالياء على الأصل أألد وأنا عجوز ابنة تسعين أو تسع وتسعين
وهذا بعلي زوجي وأصله القائم بالأمر شيخا ابن مائة أو مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل
فيها معنى اسم الإشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف أي هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلي
بدل إن هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة
ولذلك قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت منكرين عليها فإن خوارق
العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع
ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات وأهل البيت نصب على
المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة إنه حميد فاعل ما يستوجب به
الحمد مجيد كثير الخير والإحسان فلما ذهب عن إبرهيم الروع أي ما أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته إياهم قوله إن فيها
لوطا وهو جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال أو لأنه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو
أو دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا أو شرع في جدالنا أو متعلق به أقيم مقامه مثل
أخذ أو أقبل يجادلنا إن إبرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء إليه أواه كثير التأوه من الذنوب
والتأسف على الناس منيب راجع إلى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه
وفرط ترحمه يا إبرهيم على إرادة القول أي قالت الملائكة يا إبرهيم أعرض عن هذا الجدال إنه قد جاء أمر
ربك قدره بمقتضى قضائه الأزلي بعذابهم وهو أعلم بحالهم وإنهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لأنهم جاؤوا في صورة غلمان
فظن أنهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم
صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب
شديد من عصبه إذا شده وجاءه قومه يهرعون إليه يسرعون إليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب
الفاحشة من أضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها
ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن أضيافه كرما وحمية
والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة
المسلمات على الكفار فإنه شرع طارئ أو مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى إن ذاك أهون

منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته
من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف
فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر
بناتي كقولك هذا اخي هو ولا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحون او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي
في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي
عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران
قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم
شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى
ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب على اضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب
لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب
فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب
جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة
فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث في القرآن من السرى بقطع من
الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد
وفي المعنى للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من
الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في
الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على
الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين
عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا
يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف
بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح
كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا
عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه
جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب
تعظيما للامر فانه روي ان جبريل ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل
السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها
حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله
اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي

ما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد معدا
لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به
مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم
من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه
وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر
يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم
الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن
ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه
من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها
ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو
في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله
واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب
لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها
على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط
بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون
محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله
ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس
المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج
ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح
اخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية
الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم
اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم
الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام
اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلاته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع
عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلاة ولذلك جمعوا
وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلاتك تامرك بتكليف ان نترك
فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي
وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي

عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك إنك لأنت
الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه
موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من
ربي اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه الله من المال
الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف
والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما
أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه اي وما اريد ان آتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان
صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول
عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ما اريد الا ان
اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما
انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان
العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها
حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه
وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح
ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي إلا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته
عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ وإليه أنيب
اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق
لاصابة الحق فيما يأتي ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم
اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي لا يكسبنكم معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم
هود من الريح أو قوم صالح من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يتعدى الى واحد
والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان
اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب
منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان
لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم
وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين
المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه
عما انتم عليه إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل
البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا

مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم
وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلتفتوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وإنا لنراك فينا
ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم
مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق
بين ولولا رهطك وقومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى
العشرة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما أنت علينا بعزيز فيمنعنا عزتك عن الرجم
وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف
النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم
أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به
والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد
والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب إن ربي بما تعملون محيط فلا يخفى شيء منها
فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله
في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثم للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها
ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه
لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من
المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه
لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم إني معكم رقيب
منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء أمرنا نجينا
شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى
السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم
الصبح فلذلك جاء بفاء السببية وأخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فأصبحوا
في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها ألا بعدا
لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم
وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد
بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد أرسلنا موسى بآياتنا بالتورية
او المعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما
واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او
موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان
يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون فاتبعوا امره بالكفر
بموسى او فما تبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون
المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم

وعدم استبصارهم وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ مرشد او ذى رشد وانما هو غىّ محض وضلال صريح يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ذكره بلفظ الماضى
مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ اى بئس
المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله
وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن فى امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد
ما يكون مأمون العاقبة حميدها وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ فى هذه الدنيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ اى يلعنون
فى الدنيا والآخرة بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف
الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ذَلِكَ اى ذلك النبأ مِنْ
أَنْبَاءِ الْقُرَى المهلكة نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مقصوص عليك مِنْهَا قَائِمٌ من تلك القرى باق كالزرع
القائم وَحَصِيدٌ ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء فى نقصه
وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ باهلاكنا اياهم وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بان عرضوها
له بارتكاب ما يوجبه فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ حين جاءهم عذابه ونقمته وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ هلاك
او تخسير وَكَذَلِكَ ومثل ذلك الاخذ أَخْذُ رَبِّكَ وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب
على المصدر إِذَا أَخَذَ الْقُرَى اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى وَهِيَ ظَالِمَةٌ حال من القرى وهى
فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا
للظلم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وجيع غير مرجو
الخلاص عنه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير إِنَّ فِي ذَلِكَ اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه
الله من قصصهم لَآيَةً لعبرة لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج
مما اعده الله للمجرمين فى الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء
ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل
تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا الذنوب المهلكين بها ذَلِكَ اشارة الى يوم
القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على
ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم
يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ اى مشهود
فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله فى محفل من
نواصى الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم
اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وَمَا نُؤَخِّرُهُ اى اليوم إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ الا لانتهاء مدة
معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير
معدود يَوْمَ يَأْتِ اى الجزاء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او
الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بحذف

الياء

الياء اجتزاء عنها بالكسرة لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو الناصب
للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف إِلَّا بِإِذْنِهِ الا باذن الله لقوله لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر
او المأذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وجبت له النار بمقتضى
الوعيد وَسَعِيدٌ وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم
مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ
الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه
صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ليس
لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما
بل للتعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان
للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه
الا من قبل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق
وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده
ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك
كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء
الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء
كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى
وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك
الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقى او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون
عن القسمين وان حالهم لا تخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين فى شخص
باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك
اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه
او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا
فى النار حين يأتى اليوم او مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم
وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم
فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان
والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التى لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض إِنَّ رَبَّكَ
فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ من غير اعتراض وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ

بالآخرة إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولأجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سُعِدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي أعطوا عطاء أو الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعدما أنزل عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء في أنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في أنه يضر ولا ينفع ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية أي هم وآباؤهم سواء في الشرك أي ما يعبدون عبادة إلا كعبادة آبائهم أو ما يعبدون شيئا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لأن التماثل في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وإنا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فإنك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة لقضي بينهم بإنزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وإنهم وإن كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وإن كلا وإن كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف إليه وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتبارا للأصل لما ليوفينهم ربك أعمالهم اللام الأولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لمّا بالتشديد على أن أصله لمن ما فقلبت النون ميما للإدغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ لمًّا بالتنوين أي جميعا كقوله أكلا لمًّا وإن كل لمّا على أن إن نافية ولمّا بمعنى إلا وقد قرئ به إنه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وإن خفي فاستقم كما أمرت لما بين أمر المختلفين في التوحيد والنبوة وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في فاستقم وإن لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم إنه بما تعملون بصير فيجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للأمر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ولا تميلوا إليهم أدنى ميل فإن الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته فتمسكم النار بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين أي الموسومين بالظلم ثم بالميل إليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم

والمؤمنين

والمؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فإن الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي إفراط وتفريط فإنه ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تِركنوا فتمسكم النار بكسر التاء على لغة تميم وتُركنوا على البناء للمفعول من أركنه وما لكم من دون الله من أولياء من أنصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون أي ثم لا ينصركم الله إذ سبق في حكمه أن يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره إياهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم ويجوز أن يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فإنه لما بين أن الله معذبهم وأن نصيره لا تقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلا وأقم الصلاة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لأنه مضاف إليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فإنه من أزلفه إذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لأنها أقرب الصلوات من أول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلُفا بضمتين وضمة وسكون كبُسْر وبُسُر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة إن الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني قد أصبت من امرأة غير أني لم آتها فنزلت ذلك إشارة إلى قوله فاستقم وما بعده وقيل إلى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فإن الله لا يضيع أجر المحسنين عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على أن الصلاة والصبر إحسان وإيماء بأنه لا يعتد بهما دون الإخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم أولو بقية من الرأي والعقل أو أولو فضل وإنما سمي بقية لأن الرجل يستبقي أفضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ويجوز أن يكون مصدرا كالتقية أي ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده أنه قرئ بَقْيَة وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه إذا راقبه ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم لكن قليلا منهم أنجيناهم لأنهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله إلا إذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ما أنعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام إذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض وقرئ وأتبعوا أي وأتبعوا جزاء ما أترفوا فيكون الواو للحال ويجوز أن تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الإنجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد وأن ما أراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا إلا من رحم ربك إلا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو أصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم إن كان الضمير للناس فالإشارة إلى الاختلاف واللام للعاقبة أو إليه وإلى الرحمة وإن كان لمن فإلى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده أو قوله للملائكة لأملأن

جهنم من الجنة والناس اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص
عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على
المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة
واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك
ما نثبت به من انباء الرسل وجاءك فى هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة
وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا
عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب
السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك
اليه فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع
العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازى كلا ما يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود
وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى عليهم السلم وكان يوم القيمة من السعداء سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة
الى آيات السورة وهى المراد بالكتاب اى تلك الايات آيات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز او
الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روى ان علماءهم
قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة
يوسف فنزلت انا انزلناه اى الكتاب قرآنا عربيا سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل
والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا او حال
لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف
لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه
وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص
عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله
على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا
اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعنى السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن
نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط
وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن
القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا
لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من
آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه عليه الصلوة والسلم
الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله
يا ابى فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو

ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه
كان يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض
وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار بالتعويض وانما لم تسكن كاصلها
لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب انى رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله
لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياى احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر ان
يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت فنزل
جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس
وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس
والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها رايتهم لى ساجدين
استيناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم
قال يا بنى تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتى عشرة سنة لا تقصص
رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلم من رؤياه ان
الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير
انها مختصة بما يكون فى النوم فرق بينهما بحرفى التانيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة
من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما
من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعانى الحاصلة هناك
ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة
المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا
احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك
اكد بالمصدر وعلله بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء
فلا يالو جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اى وكما اجتباك لمثل
هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء
من جبيت الشىء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك
من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس
او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو
اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة
الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب ولذلك قال كما
اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح
وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك
ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغى لقد كان فى يوسف واخوته
فى قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد بهم

علاته الستة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينه من بنت خالته ليا
تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل
جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين
زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من
الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما
يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء
احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور
تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه
كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة
بحيث لا يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله
اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي الآخرون
او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف
المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت
عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده
من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين
مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه
ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم
والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظرين وقرأ نافع في غيابات على الجمع
كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات يلتقطه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض
ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا
تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله
عن رأيه وحفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام
ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع
نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير
نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء
والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب
بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته
علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان
الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون
وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا والباقون بترك الهمز واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا
هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن

اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفا مغبونون او مستحقون لان
يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على
القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من
مقام يعقوب عليه السلم وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا
به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني
ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه
بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا
والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم آوى الى صخرة
كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبرئيل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة
سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهم السلم وفي القصص ان ابرهيم
عليه السلم حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه
ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه
لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن
اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين
فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل
باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا
وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط
محبتك ليوسف وجاءوا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا
بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر
او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص
وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور
روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال
بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء
فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي
الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة
كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا
قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف

يا ابانا م

فلما رآها قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى
فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراى
بالاضافة وقرئ يا بشرىّ بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف واسرّوه
اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه
لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ
فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه وسكت
يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من
البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع
اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفيه رجع الضمير الى الوجهين او اشتروه من اخوته
بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا
يزنون ما بلغ الاوقية ويعدّون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين
وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر
وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف
من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين
ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة
لا يتقدم على الموصول وقال الذى اشتراه من مصر وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه
قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في
حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء روى انه
اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة واستوزره الريان وهو
ابن ثلثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه
غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا
لامرأته راعيل او زليخا اكرمى مثواه اجعلى مقامه عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسنى تعهده
عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما
لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التى قالت يا ابت
استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز
او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث
عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان
يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معانى كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات
المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه
والله غالب على امره لا يرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف

شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف
صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين
والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما
بين الناس وعلما يعنى علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزى المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه
ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التى هو في بيتها عن نفسه
طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد وغلقت
الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك
اى اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كاين واللام للتبيين
كالتى في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء
كعيط وهى لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهئ اذا تهيأ وعلى هذا فاللام
من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربى احسن مثواى سيدى قطفير
احسن تعهدى اذ قال لك في اكرمى مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اى
انه خالقى واحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون
الحسن بالسئ وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى باهله ولقد همت به وهم بها
قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى
اذا هم بشئ امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك
مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام
هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء
مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم
ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل وقيل تمثل
له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل
عمل السفهاء كذلك مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد
والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن آن يوسف فرّ منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج
وقدّت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق
عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره
على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اى شئ جزاؤه الا السجن
قال هى راودتنى عن نفسى طالبتنى بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب
ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في
المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب

جيبه وعيبه وانما الحق الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها
فتعثر بذيله فانقد جيبه وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل
على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل
الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل
ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه
ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم
لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف
وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا
او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء
إن كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس ولانهن
يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه
للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم
من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هو اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار
غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة
نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأت العزيز
تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي
لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا
ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران
فاحرقه إنا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن
وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس
واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين
بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها
فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر
وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا ولذلك نهي عنه
قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان
القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو
الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما
رأينه أكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج
كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت

المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي
حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت
في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن
حاش لله تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو
في الدرج فحذفت الالف الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التبرية في باب الاستثناء فوضع موضع
التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله
بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير
يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على
لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي
بعبد مشترى لئيم إن هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة
البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن
الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تتصورنه
حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا
رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن
حين عرفت انهن يعذرنها كي تعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به فحذف
الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين
الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ وليكونن
وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة
لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي
من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد
الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل
انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على من كان يسأل الصبر وإلا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه
عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن اميل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي
والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة
وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح
او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه
الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة
السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم
وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة
يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر

نفسها ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه
او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرى بالتاء على ان بعضهم خاطبه العزيز على التعظيم
او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اى أدخل يوسف السجن واتفق ان
أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال
احدهما يعنى الشرابى انى ارانى اى ارى فى المنام وهى حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا وسماه بما يؤل
اليه وقال الاخر اى الخباز انى ارانى احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه تنهس منه نبئنا بتاويله
انا نريك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما
راياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما راينا
ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله اى بتاويل ما قصصتما على او بتاويل
الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد
ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالا منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين
منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى
الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اى ذلك التاويل مما علمنى ربى بالالهام والوحى وليس من
قبيل التكهن والتنجيم انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله
اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك واتبعت ملة آباءى ابرهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدا
لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز
للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم
بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شىء اى شىء كان ذلك اى التوحيد
من فضل الله علينا بالوحى وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر
الناس لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم
بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها
كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبى السجن اى يا ساكنيه او يا صاحبى فيه فاضافهما اليه على
الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام
الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه
خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اى الا
اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء
المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها
باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم فى امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب
لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذى دلت عليه الحجج
ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة
بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة

وتعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها
ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فيخبطون فى جهالاتهم يا صاحبى السجن اما احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربه خمرا
كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه
فقالا كذبنا فقال قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو ما يؤل
اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما
وقال للذى ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكره عن اجتهاد وان ذكره عن وحى فهو الناجى
الا ان يؤول الظن باليقين اذكرنى عند ربك اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى فانساه الشيطان
ذكر ربه فانسى الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر
اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى يوسف
لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد
وان كانت محمودة فى الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث فى السجن بضع سنين البضع ما بين
الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت
المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات
قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص
من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف
لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل
على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة
وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله
ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع
من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام
المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة
ثانية للعذر فى جهلهم بتاويله وقال الذى نجا منهما من صاحبى السجن وهو الشرابى وادكر بعد امة
وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرى بعد امة بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد
ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال امه يامه امها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول
انا انبئكم بتاويله فارسلون الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اى فارسل الى
يوسف فجاءه فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه

وتأويل رؤياه ورؤيا صاحبه أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر
يابسات أي في رؤيا ذلك لعلي أرجع إلى الناس أعود إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إذ قيل
أن السجن لم يكن فيه قال تزرعون سبع سنين دأبا أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال
بمعنى دائبين أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة
وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم
فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الأول نصيحة خارجة عن العبارة إلا قليلا مما تأكلون
في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن
فأسند إليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به إلا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة
ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث وفيه
يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء
على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه
أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو تضمينه
معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة
في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب بالخصب أو بأن السنة الإلهية على أن
يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول
ليخرجه قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنما تأنى في الخروج وقدم سؤال
النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح
أمره وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه
ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وإنما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فسله أن
يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما
ومراعاة للأدب وقرئ النسوة بضم النون إن ربي بكيدهن عليم حين قلن لي أطع مولاتك وفيه تعظيم
كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قرف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن
قال الملك لهن ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن
حاش لله تنزيه له وتعجيب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة
العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ قال
فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما أو ظهر من حص شعره إذا استأصله
بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله
هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت
ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه
أو وهو غائب عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين

لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل
في خيانتها زوجها وتوكيد لأمانته ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ نفسي أي لا أنزهها تنبيها على أنه
لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن
ابن عباس أنه لما قال ليعلم أني لم أخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك إن النفس لأمارة
بالسوء من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في أثرها
كل الأوقات إلا ما رحم ربي إلا وقت رحمة ربي أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك
وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة وقيل الآية حكاية قول
راعيل والمستثنى نفس يوسف وأضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الإدغام
إن ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف
على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي أجعله
خالصا لنفسي فلما كلمه أي فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال إنك اليوم لدينا مكين
ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روي أنه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس
ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيره وأعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف
سبعين لسانا فكلمه بها وأجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع رؤياي منك فحكاها ونعت
له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي قطفير
في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها إفرائيم وميشا قال
اجعلني على خزائن الأرض ولني أمرها والأرض أرض مصر إني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه
التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه
دليل على جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى
إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به وعن مجاهد أن الملك أسلم على يديه وكذلك مكنا
ليوسف في الأرض أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير
نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع أجر المحسنين بل نوفي
أجورهم عاجلا وآجلا ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه و
دوامه وجاء إخوة يوسف روي أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات
وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس
إليه فباعها أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع
والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الأمر على الملك فقال الرأي رأيك فأعتقهم ورد عليهم
أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه
للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياه
في سن الحداثة ونسيانهم إياه وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه

وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما
جاؤا لاجله واصل الجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما يزف
به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال
من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فمن يشهد
لكم قالوا لا يعرفنا هنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم
حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ
لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه
وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا
كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء
قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه
الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما
وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند
ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم
وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من
الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه
فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم
على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه
وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز
وحافظا قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير
الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت اليهم بنقل كسرة الدال المدغمة
الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا
وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا
لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على
صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف
اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا
وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما
اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير
اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوا

بالرجوع الى الملك ونستعد والله ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء
قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير
لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني
ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتاتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله
لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ
من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم كقولك اقسمت بالله الا فعلت
اي ما اطلب منك الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل
رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال
وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على
بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في عوذته اللهم اني اعوذ
بكلمات الله التامات من كل هامة وعين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت
به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضي عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك
عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص
كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب واتباعهم له من الله
من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت
المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه
يعني شفقته عليهم وحزازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه
بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس
لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان
اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا
ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد
اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من
البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل
كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة
وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تمهل امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن
نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء
عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة
وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي

وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اى شئ ضاع منكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يعرف
مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع
بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم
كفيل اوديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم
في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك بما دل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم
وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق
او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه
اى جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه
تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما
هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك
نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء
اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء
اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به
اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون
الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم
الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا
درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم
لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو
الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو
مخصوص قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من
ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت
المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم
وقيل كانت لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة
فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة
او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل
من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اى منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع
مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان
والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا
في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه

الهالك

الهالك مستأنس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك
قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه
انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن ان اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته
ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته
كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الرأي وهو شمعون
وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا
منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شأنه وما
مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر
لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا تقطع عن الاضافة حتى لا تنقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي
ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي
انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل
ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا
غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر
يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا الا بما علمنا بان رأينا ان
الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق او سرق ودس
الصاع في رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك
تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي
فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم
وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم
اخوهم قال بل سولت زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق
يؤخذ بسرقته فصبر جميل اى فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف
وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم
كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اى يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة
والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزءه كان قاعدة
المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم يعط
امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما
اصابه لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت

سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند
التفجع ولعل أمثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم على ولده إبراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا
عليك يا إبراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول
وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ إذا
اجترعه وأصله كظم البعير جرته إذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون أي لا تفتؤ
ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كقوله فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي لأنه
لا يلتبس بالإثبات فإن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات كان على النفي حرضا مريضا مشفيا على الهلاك
وقيل الحرض الذي أذابه هم أو مرض وهو في الأصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف
ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب أو تكون من الهالكين من الميتين قال إنما أشكو بثي وحزني همي الذي
لا أقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر إلى الله لا إلى أحد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي وأعلم من الله من صنعه
ورحمته وإنه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ إليه ما لا تعلمون أو من الله بنوع من الإلهام ما لا تعلمون من حياة
يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخر له
إخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا من حالهما والتحسس
طلب الإحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله أي من رحمته التي
يحيى بها العباد إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون بالله وصفاته فإن العارف لا يقنط من رحمته
في شيء من الأحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز بعدما رجعوا إلى مصر رجعة ثانية مسنا وأهلنا الضر
شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته إذا دفعته ومنه
تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الأقط وسويق
المقل فأوف لنا الكيل فأتم لنا الكيل وتصدق علينا برد أخينا أو بالمسامحة وقبول المزجاة أو
بالزيادة على ما يساويها واختلف في أن حرمة الصدقة تعم الأنبياء أو تختص بنبينا عليه الصلاة والسلام
إن الله يجزي المتصدقين أحسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر
هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف وأخيه أي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم بأخيه إفراده عن يوسف وإذلاله
حتى كان لا يستطيع أن يكلمهم إلا بعجز وذلة إذ أنتم جاهلون قبحه فلذلك أقدمتم عليه أو عاقبته وإنما
قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل
أعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم
ذلك وإنما جهلهم لأن فعلهم كان فعل الجهال أو لأنهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا أإنك لأنت
يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بأن واللام عليه وقرأ ابن كثير على الإيجاب قيل عرفوه بروائه
وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه
الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها قال أنا يوسف وهذا أخي من أبي وأمي ذكره تعريفا لنفسه

180

به وتفخيما لشأنه وإدخالا له في قوله قد من الله علينا أي بالسلامة والكرامة إنه من يتق أي يتق الله
ويصبر على البليات أو على الطاعات وعن المعاصي فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وضع المحسنين
موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين الصبر والتقوى قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وإن كنا لخاطئين والحال إن شأننا أنا كنا مذنبين
بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للإزالة
كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب أو بالمقدر
للجار الواقع خبرا للا والمعنى لا أثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الأيام أو بقوله يغفر الله
لكم لأنه صفح عن جرمهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو أرحم الراحمين فإنه يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه وقالوا إنك تدعونا بالبكرة والعشي
إلى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال إن أهل مصر كانوا ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي
وأني من حفدة إبراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي
كان في التعويذ فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا يرجع بصيرا أي ذا بصر وأتوني أنتم وأبي بأهلكم
أجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال أبوهم لمن حضر
إني لأجد ريح يوسف أوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين أقبل به يهودا من ثمانين فرسخا
لولا أن تفندون تنسبوني إلى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة
لأن نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني أو لقلت إنه قريب قالوا أي الحاضرون
تالله إنك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالإفراط في محبة يوسف والإكثار من ذكره و
التوقع للقائه فلما أن جاء البشير يهودا روي أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ إليه فأفرحه
بحمل هذا إليه ألقاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد
بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وإنزال
الفرج وقيل إني أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله أو إني لأجد ريح يوسف قالوا
يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأل له المغفرة
قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم أخره إلى السحر أو إلى صلاة الليل أو إلى ليلة الجمعة تحريا
لوقت الإجابة أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة و
يؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين
حتى نزل جبريل وقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو إن صح فدليل
على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي أنه وجه إليه
رواحل وأموالا ليتجهز إليه بمن معه واستقبله يوسف والملك بأهل مصر وكان أولاده الذين
دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة
ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى إليه أبويه

ضم اليه اباه وخالته واعتقبهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله وآله آبائك ابراهيم
واسمعيل او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين
من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع
خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان
عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه
واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي
من قبل التي رايتها ايام الصبى قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر
الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل
البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة
اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه
مشيئته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته
وعلى وجه الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما الصلوة والسلم في خزائنه فلما ادخله خزانة
القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال
اوما تساله قال انت ابسط مني اليه فساله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب
قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب
او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه
على انه صفة المنادى او منادى براسه انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والآخرة او الذي
يتولاني بالنعم فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة
والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى
جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك
المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان
يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه
ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا
وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه
للرسول وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا
على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا
يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء
بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت
على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم
عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين

عامة وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته
وكمال قدرته وتوحده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير
في عليها وبالنصب على ويطؤون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون
آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ
الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية
في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة
تغشيهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين
لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعو الى الله
وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة
لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وانزهه تنزيها من الشركاء وما
انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء
النساء يوحى اليهم كما يوحى اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي هنا وفي النحل والاولين
من سورة الانبياء وافقه حمزة والكسائي فيهما لانه على اصلهما من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل
البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا
تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة
او الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى
اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى
ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع
وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان
وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول
للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر
عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما
يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير
الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل
اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء
النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم
وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين
اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته
عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان
القرآن

القرآن حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين
اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين
لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما
مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية وآيها خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى
تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة
او القرآن والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص
او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الجزءان
دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن
اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز
ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم
وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على
وجود الصانع القديم الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها
بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى
هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما
اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة
معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها
مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته
فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها
طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء
اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما
فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين
اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير
يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل
على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها
سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا
تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة
الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة

في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع
وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا
على جنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم
وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا
وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب
لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر
وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على
انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ
فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته
أئذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه انا لفي
خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم
مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم
المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح
الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت
الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات
بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان
التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر
والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه
ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه
لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار
كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم
هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر
على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك ما يدل
على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل
لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم
بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة و
المترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة

الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم
ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني
شيخ باليمن ان امراة ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض
جاء لازما ومتعديا وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية
واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه
كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيا له اسبابا مسوقة اليه
تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان المتعال المستعلي على
كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به
لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبا بالليل وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب
سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه
قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه
وشموله له لكل من اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب
مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها
او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب
جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه
او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من باسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او
يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله
صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء
الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد
الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع
عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما
على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على
اضمار ذو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ
السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع و
يسبح الرعد سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية
الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف
الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله
حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم
والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن
الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة

الذي لا يخرج عن علمه شيء

الجلاوزة جمع جلواز وهو الشرطي
والمراد اعوان السلطان

ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته و
رمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال
المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل فلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله
المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح
الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم
فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له
الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة
الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة
الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله و
اجابة لدعوة رسول الله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله
بحلول محاله وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اي والاصنام
الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه
لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ
فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه
وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه وقرئ تدعون بالتاء
وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا
حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم
لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا و
كرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص
الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو
ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من
رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن
المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل
اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون
انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل
هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود
الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة
في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم
الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلقه فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين

فيبسط كفيه ليشربه

لا يقدرون على ما قدر عليه الخلق فضلا عما قدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة
جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اي المتوحد
بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان
المبادي منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل
للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه
نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا
عاليا ومما يوقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون
بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرث والحرب والمقصود من
ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء
او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب
الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء
فيسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت
بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع
به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله
بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفأ به اي يرمي به السيل او الفلز المذاب
وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث
في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين
الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب
على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة
او الجنة والذين لم يستجيبوا له مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على
الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب
الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن
يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار
ان تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول المبرأة عن متابعة
الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين
قالوا بلى او ما عهد الله اليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين
عباده وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين
والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون
سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما يكرهه النفس ويخالفه
الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما
رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرءون

متابعة

مراعاة م

185

بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها
اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت
بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات
عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير
الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهليهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما
لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض
لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب
لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين
سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر
فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى
الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب
جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا
اهل مكة بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا
متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا
بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء
باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري
مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى
اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من
من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد
القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات
الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من
الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن
مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم
ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك
وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته
فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية
وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري
لا اله الا هو المستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم

او قرآنا كما يا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته
او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن
لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ
فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره
من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو
قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي
بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر على
الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله
افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي
ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل
الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المايوس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق
بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا
يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل
قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما
صنعوا برسول الله فانه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز
ان يكون تحل خطابا للرسول فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة
او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا
تسلية لرسول الله ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن
ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه بما كسبت من خير او
شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا
لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه
ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على ان هؤلاء الشركاء
لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة لا يعلمها او بصفات لهم يستحقونها
لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة
اعتبار بمعنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل
زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن
السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان
وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحياة
الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم

او عطف على الخبر المقدر اي فمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه

من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو
مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة
المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها
كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا
يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة ككعب بن الاشرف
واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بان
اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم
فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف
اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب والى الله مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء
واما ما عدا ذلك من التفاريع مما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك و
مثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع
بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن
اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعدما حولت عنها بعد ما جاءك
من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج
للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا امثالك وجعلنا لهم ازواجا وذرية
نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية تقترح عليه وحكم يلتمس
منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه
استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات
التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او
يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ
اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذي نعدهم وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم
او توفيناك قبله او نتوفينك فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل
باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها
من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر
بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب

فيحاسبه عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بأنبيائهم
والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا إذ لا يؤبه بمكر دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم
ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم
وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في
الإضافة إلى الدار كما عرفته وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو الكافر على إرادة الجنس وقرئ الكافرون والذين
كفروا والكفر أي أهله وسيعلم من أعلمه إذا أخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء
اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها
ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه أو علم
اللوح المحفوظ وهو الله أي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيننا
فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الأول يرتفع بالظرف فإنه معتمد على
الموصول ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثاني وقرئ ومن عنده علم على الجر والبناء
للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن
كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله والله أعلم

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب أي هو كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس
بدعائك إياهم إلى ما تضمنه من الظلمات من أنواع الضلال إلى النور إلى الهدى بإذن ربهم بتوفيقه وتسهيله
مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج أو حال من فاعله أو مفعوله إلى صراط العزيز الحميد
بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل أو استئناف على أنه جواب لمن يسأل عنه وإضافة الصراط إلى الله إما لأنه مقصده
أو المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات
وما في الأرض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبره الذي أو الله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته وعلى قراءة
الباقين عطف بيان للعزيز لأنه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب لأنه
مصدر إلا أنه لم يشتق منه لكنه رفع لإفادة الثبات الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة يختارونها
عليها فإن المختار للشيء يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس
عن الإيمان وقرئ ويصدون من أصده وهو منقول من صد صدودا إذا تنكب وليس فصيحا لأن في صده
مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار
وأوصل الفعل إلى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع على أنه مبتدأ
خبره أولئك في ضلال بعيد أي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف
فعله به للمبالغة أو للأمر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه إلا بلغة
قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما أمروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم
فإنهم أولى الناس إليه بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته

اولا

أولا ولو نزل على من بعث إلى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الإعجاز لكن أدى إلى اختلاف
الكلمة وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في إتعاب القرائح وكد
النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة
وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه السلام وأنه تعالى أنزل الكتب كلها بالعربية ثم
ترجمها جبريل أو كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فإنه ضمير القوم والتوراة والإنجيل
ونحوهما لم ينزل لتبيين العرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الإيمان ويهدي من يشاء بالتوفيق وهو
العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي إلا لحكمة ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يعني اليد
والعصا وسائر معجزاته أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور بمعنى أي أخرج لأن في الإرسال معنى القول أو
بأن أخرج فإن صيغ الأفعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح أن توصل بها أن الناصبة وذكرهم بأيام
الله بوقائعه التي وقعت على الأمم الدارجة وأيام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه إن في ذلك لآيات
لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فإنه إذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وأفيض عليهم
من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وإنما عبر عنهم بذلك تنبيها
على أن الصبر والشكر عنوان المؤمن وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من
آل فرعون أي اذكروا نعمته وقت إنجائه إياكم ويجوز أن ينتصب بعليكم إن جعلت مستقرة غير صلة للنعمة
وذلك إذا أريد بها العطية دون الإنعام ويجوز أن يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم أحوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين والمراد
بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والأعراف لأنه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا
وهو إما جنس العذاب أو استعبادهم واستعمالهم بالأعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث إنه بإقدار الله إياهم
وإمهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز أن تكون الإشارة إلى الإنجاء والمراد بالبلاء النعمة
وإذ تأذن ربكم أيضا من كلام موسى وتأذن بمعنى أذن كتوعد وأوعد غير أنه أبلغ لما في التفعل من معنى التكلف
والمبالغة لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما أنعمت عليكم من الإنجاء وغيره بالإيمان والعمل الصالح لأزيدنكم
نعمة إلى نعمة ولئن كفرتم إن عذابي لشديد فلعلي أعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة أكرم
الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر أو مفعول تأذن على أنه جرى
مجرى قال لأنه ضرب منه وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا من الثقلين فإن الله لغني عن
شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفر
إلا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الإنعام وعرضتموها للعذاب الشديد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود من كلام موسى أو كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة وقعت اعتراضا
أو الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى أنهم لكثرتهم لا يعلم عددهم إلا الله ولذلك
قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا
مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو وضعوها عليها تعجبا منه أو استهزاء عليه كمن غلبه
الضحك أو إسكاتا للأنبياء وأمرا لهم بإطباق الأفواه أو أشاروا بها إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم

اذكروا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون
تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرايع في الايادي م
افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام اليه مريب موقع في الريبة او ذي ريبة
وهو قلق النفس وان لا تطمئن الى شيء قالت رسلهم افي الله شك دخلت همزة الانكار على الظرف لان
الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها
عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى
الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام
المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن
في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث
جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة
والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه وجعله
اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان
يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى
فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا
ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا
بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم
بالنبوة فضل الله ومنته عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض
بمشيئته تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الايمان بالايات الينا ولا تستبد به استطاعتنا
حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل
وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل
وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت
ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم
وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم
الرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب
لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين على اضمار الايحاء م
القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم لقوله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا
لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين

لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله
وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا
سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين بان كلهم
سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد
اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح
من الكفرة او من الفريقين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها
مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء صديد عطف على محذوف
لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى
ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ
جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس وياتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد
فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت
فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبله في كل وقت عذاب اشد مما هو
عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في
اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم
فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد
وهي على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح
حملته واسرعت به الذهاب وقرا نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف
به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة
الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه
بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم
على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اي ضلالهم مع حسبانهم
انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض
بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات ان يشا يذهبكم
ويات بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض
استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير
الطباع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر
فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن كان هذا شانه كان حقيقا بان يعبد
ويؤمن به رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة

وحقيقته م

تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى
وصديد عطف بيان

لأمر الله تعالى ومحاسبته أو لله على ظنهم فإنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون أنها تخفى على الله
فإذا كان يوم القيمة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم وإنما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال
الضعفاء الأتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وإنما كتب بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل
الهمزة فيميلها إلى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم إنا كنا لكم تبعا
في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب أو مصدر نعت به للمبالغة أو على
إضمار مضاف فهل أنتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الأولى للبيان
واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز
أن يكونا للتبعيض أي بعض شيء هو بعض عذاب الله والإعراب ما سبق ويحتمل أن يكون الأولى مفعولا
والثانية مصدرا أي فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء قالوا أي الذين استكبروا جوابا
عن معاتبة الأتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للإيمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فأضللناكم
أي اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم كما عرضناكم
له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا
من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل أن يكون مكانا كالمبيت
ومصدرا كالمغيب ويجوز أن يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي أنهم يقولون تعالوا نجزع
فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال
الشيطان لما قضي الأمر أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خطيبا في الأشقياء من الثقلين
إن الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه أن ينجز أو وعدا أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم
وعد الباطل وهو أن لا بعث ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع لكم فأخلفتكم جعل تبين خلف كالإخلاف منه
وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فألجئكم إلى الكفر والمعاصي إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إليها بتسويلي وهو
ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعا
فاستجبتم لي أسرعتم إجابتي فلا تلوموني بوسوستي فإن من صرح العداوة لا يلام بأمثال ذلك ولوموا
أنفسكم حيث أطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال
العبد بأفعاله وليس فيها ما يدل عليه إذ يكفي لصحتها أن يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو
الكسب الذي يقوله أصحابنا ما أنا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما أنتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء
على الأصل في التقاء الساكنين وهو أصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات
مع أن حركة ياء الإضافة الفتح فإذا لم تكسر وقبلها ألف فبالحري أن لا تكسر وقبلها ياء أو على لغة من يزيد
ياء على ياء الإضافة إجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته وأعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة
إني كفرت بما أشركتمون من قبل ما إما مصدرية ومن متعلقة بأشركتمون أي كفرت اليوم بإشراككم
إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون
بشرككم أو موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت أي كفرت بالذي
أشركتمونيه وهو الله بطاعتكم إياي فيما دعوتكم إليه من عبادة الأصنام وغيرها من قبل إشراككم

حين رددت أمره بالسجود لآدم عليه السلام وأشرك منقول من شركت زيدا للمتعدي إلى مفعول
ثان إن الظالمين لهم عذاب أليم تتمة كلامه أو ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية أمثال ذلك
لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم وأدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم بإذن
الله وأمره والمدخلون هم الملائكة وقرئ أدخل على التكلم فيكون قوله بإذن ربهم متعلقا بقوله
تحيتهم فيها سلام أي تحييهم الملائكة بالسلام بإذن ربهم ألم تر كيف ضرب الله مثلا كيف
اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة أي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله
ضرب الله مثلا ويجوز أن تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها أو خبر مبتدأ محذوف وأن تكون
أول مفعولي ضرب إجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء أصلها ثابت في الأرض
ضارب بعروقه فيها وفرعها وأعلاها في السماء ويجوز أن يريد وفروعها أي أفنانها على الاكتفاء
بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الإضافة وقرئ ثابت أصلها والأول على أصله ولذلك قيل
إنه أقوى ولعل الثاني أبلغ تؤتي أكلها تعطي ثمرها كل حين أقته الله لإثمارها بإذن ربها
بإرادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون لأن في ضربها زيادة إفهام
وتذكير فإنه تصوير للمعاني وإدناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة خبيثة اجتثت
استؤصلت وأخذت جثتها بالكلية من فوق الأرض لأن عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار
واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الإسلام والقرآن والكلمة
الخبيثة بالإشراك بالله والدعاء إلى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة
ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة
بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما أيضا ما يعم
ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحياة الدنيا
فلا يزالون إذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم أصحاب الأخدود
وفي الآخرة فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم أهوال القيمة وروي
أنه صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه
في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد
فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
ويضل الله الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون إلى الحق ولا
يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض وإضلال آخرين من غير اعتراض
عليه ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا أي شكر نعمته كفرا بأن وضعوه مكانه أو بدلوا نفس
النعمة كفرا فإنهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كأهل مكة
خلقهم الله تعالى وأسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم برسوله محمد
صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا أذلاء فبقوا

مساوين في النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية
فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين وأحلوا قومهم الذين شايعوهم
في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها أو من القوم أي
داخلين فيها مقاسين لحرها أو مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار أي بئس المقر جهنم
وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن
يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الإضلال غرضهم في اتخاذ الأنداد لكن لما كان نتيجته جعل
كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم أو بعبادة الأوثان فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد
بصيغة الأمر إيذان بأن المهدد عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهدد به وأن الأمرين كائنان لا محالة ولذلك
علله بقوله فإن مصيركم إلى النار وأن المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي
الذين آمنوا خصهم بالإضافة تنويها لهم وتنبيها على أنهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل
محذوف يدل عليه جوابه أي قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا
مما رزقناهم فيكون إيذانا بأنهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره وأنه كالسبب
الموجب له ويجوز أن يقدر بلام الأمر ليصح تعلق القول بهما وإنما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن في قوله محمد
تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا
مقامين مقامهما وهو ضعيف لأنه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولأن أمر المواجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة إذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر أي إنفاق سر وعلانية
أو على الحال أي ذوي سر وعلانية أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية والأحب إعلان الواجب وإخفاء
المتطوع به من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدي به نفسه
ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل أو من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وإنما ينتفع
فيه بالإنفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق
السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم
والملبوس مفعول لأخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر
فينتصب بالعلة أو المصدر لأن أخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره بمشيئته إلى
حيث توجهتم وسخر لكم الأنهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الأشياء تعليم كيفية
اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وإنارتهما وإصلاح ما يصلحانه من المكونات
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه أي بعض جميع ما سألتموه
يعني من كل شيء سألتموه شيئا فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه
ما كان حقيقا بأن يسأل لاحتياج الناس إليه سئل أو لم يسأل وما يحتمل أن تكون موصولة وموصوفة
ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين أي وآتاكم من كل شيء احتجتم إليه
وسألتموه بلسان الحال ويجوز أن تكون ما نافية في موضع الحال أي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وإن
تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلا عن أفرادها فإنها غير متناهية

وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة إن الإنسان لظلوم يظلم النعمة بإغفال شكرها أو يظلم
نفسه بأن يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله
اجعل هذا بلدا آمنا أن المسؤول في الأول إزالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد
الآمنة واجنبني وبني بعدني وإياهم عن أن نعبد الأصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ
وأجنبني وهما على لغة نجد وأما أهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على أن عصمة
الأنبياء بتوفيق الله وحفظه إياهم وهو بظاهره لا يتناول أحفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة
أن أولاد إسماعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وإنما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار
ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فلذلك
سألت منك العصمة واستعذت بك من إضلالهن وإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية
كقوله وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على ديني فإنه مني أي بعضي لا ينفك عني في أمر الدين ومن عصاني
فإنك غفور رحيم تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب
فلله أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا إني أسكنت من ذريتي أي بعض
ذريتي أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم إسماعيل ومن ولد منه فإن إسكانه متضمن لإسكانهم
بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فإنها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له و
التهاون به أو لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا
أي أعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان أو سيؤول إليه روي أن
هاجر كانت لسارة فوهبتها لإبراهيم عليه الصلاة والسلام فولدت منه إسماعيل فغارت عليها فناشدته
أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله عين زمزم ثم إن جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لا
طير إلا على الماء فقصدوه فرأوها وعندها عين فقالوا أشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت ربنا
ليقيموا الصلاة اللام لام كي وهي متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق و
مرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصودة بالذات
من إسكانهم ثم والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الأمر والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة
كأنه طلب منهم الإقامة وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها فاجعل أفئدة من الناس أي أفئدة
من أفئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت
اليهود والنصارى أو للابتداء كقولك القلب مني سقيم أي أفئدة ناس وقرأ هشام أفئيدة بخلف عنه
بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر في أدور وأن يكون اسم فاعل من أفدت
الرحلة إذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه فيه إخراجها
بين بين ويجوز أن يكون من أفد تهوي إليهم تسرع إليهم شوقا وودادا وقرئ تهوى على البناء للمفعول من
أهوى إليه غيره وتهوى من هوي يهوى إذا أحب وتعديته بإلى لتضمين معنى النزوع وارزقهم
من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فأجاب الله دعوته فجعله حرما

آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا
فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا للعبودية وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل
ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ اليه
وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن
للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة
بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع
وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي
اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع
الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه ووهب له سؤله
حين ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا
عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته
في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او تقبل عبادتي ربنا اغفر
لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساقها او يقوم
اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه
خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته
واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون
ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى
الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤوسهم
رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى
انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال
للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل
خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني يوم القيمة
او يوم الموت فانه اول يوم عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب
ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان
قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل
جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة
دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا

اودلّ

او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى
وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن
ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين
لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم
وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات
ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم
لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده
ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال
مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال
مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرا الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة
واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد
مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي
واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان
الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر
قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف
للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده
والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت
الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها
وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل
ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء
لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى
فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة
ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله تعالى الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار
لفي عليين وكلا ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته
وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان
الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ
مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم
وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد

ولا اعمال كقوله واذا النفوس زوجت اي قرنها مع الشيطان او مع ما كسبوا من العقائد

متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا
يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران وقطران
لغتان فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن
يشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران
ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل
ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم
والالام وعن يعقوب قطرآن والقطر وتغشى وجوههم النار اى تتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق
ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجلها كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن
المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون في
النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اى يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من
مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم دل على ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين
ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة
الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية
لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ
ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد
له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر
اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ
ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها
التوحيد واستصلاح القوة العملية التي هي التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بهما وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام
وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب
وقران مبين الاشارة الى ايات السورة والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اى ايات
الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين
عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر وحلول الموت او يوم القيمة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما
بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة
تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقها ان تدخل على الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى
كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال
ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم
يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة
في حكاية ودادتهم كالغيبة في قوله حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل

وتشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم
اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان
نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل
ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا
للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اى وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير
امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم
الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اى القران لوما تاتينا ركب
لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك
على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم
المكذبة ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة على ان الضمير
لله تعالى وقرا حمزة والكسائي بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى
تتنزل الا بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم
بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت
كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم وجزاء لشرط مقدر
اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه
وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر
بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن
فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع
وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبانا رجالا منهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل
الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب
المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء
وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون
به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا
غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر
تماثلها في المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين
ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم بان خذلهم
وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم

193

المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين
لما يرون او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشككهم في الحق انما سكرت
ابصارنا سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من
السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند
ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو
باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيآت والخواص
على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين
المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع
بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم
من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا
لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد منعوا من كلها بالشهب
ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن
من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة
وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها
رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار
معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن
في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز
على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم والمراد به العيال والخدم
والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال
بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات
والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد
في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال
وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف
ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها
الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة
فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من
مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر
بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح في قوله
بمعنى المطيحات
ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه اوحا

في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات
من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له
من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها
وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون
اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة
وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد
وسبق الى الطاعة او تأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال
قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول
فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم
بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء
وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه
على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح
به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان
من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف
صل من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون
مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب
من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل
ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به
فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى السنين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس
كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان
الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها
في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي
الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة
على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف
عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق
بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت
فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر
ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية
فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة
الروح الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة

كلهم أجمعون أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بالكل للإحاطة وبأجمعين للدلالة
على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر إذ لو كان الأمر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا إلا إبليس
إن جعل منقطعا اتصل به قوله أبى أن يكون مع الساجدين أي ولكن إبليس أبى وإن جعل متصلا
كان استئنافا على أنه جواب سائل قال هلا سجد قال يا إبليس ما لك ألا تكون أي غرض لك
في أن لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم أكن لأسجد اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني وينافي
حالي أن أسجد لبشر جسماني كثيف وأنا ملك روحاني خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو
أخس العناصر وخلقتني من نار وهي أشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والأصل وقد سبق
الجواب عنه في سورة الأعراف قال فاخرج منها أي من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة فإنك رجيم
مطرود من الخير والكرامة فإن من يطرد يرجم بالحجر أو شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن
الجواب عن شبهته وإن عليك اللعنة هذا الطرد والإبعاد إلى يوم الدين فإنه منتهى أمد اللعن
فإنه يناسب أيام التكليف ومنها زمان الجزاء وما في قوله فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين
بمعنى آخر ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فأنظرني فأخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه
فاخرج منها فإنك رجيم إلى يوم يبعثون أراد أن يجد فسحة في الإغواء ونجاة عن الموت إذ لا موت
بعد وقت البعث فأجابه إلى الأول دون الثاني قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه أجلك
عند الله أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الأولى عند الجمهور ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة
يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا
بيوم البعث إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلام
ولا يلزم منه أن لا يموت فلعله يموت أول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وإن
لم تكن بواسطة لم تدل على منصب إبليس لأن خطاب الله تعالى له على سبيل الإهانة والإذلال قال رب
بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لأزينن لهم في الأرض والمعنى أقسم بإغوائك إياي لأزينن
لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله أخلد إلى الأرض وفي انعقاد القسم بأفعال الله تعالى خلاف وقيل
للسببية والمعتزلة أولوا الإغواء بالنسبة إلى الغي أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه الصلاة
والسلام أو بالإضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن إمهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على
إغواء بني آدم بأن الله تعالى علم منه وممن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون إلى النار أمهل أو لم يمهل وأن
في إمهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعفهما لا يخفى على ذوي الألباب ولأغوينهم
أجمعين ولأحملنهم أجمعين على الغواية إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من
الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالكسر في كل القرآن أي الذين أخلصوا نفوسهم
لله قال هذا صراط علي مستقيم حق علي أن أراعيه لا انحراف عنه والإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء
وهو تخلص المخلصين من إغوائه أو الإخلاص على معنى أنه طريق علي يؤدي إلى الوصول إلي من غير اعوجاج وضلال
وقرئ علي من علو الشرف إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين تصديق
لإبليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولأن المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب

الشيطان عنهم أو تكذيب لما أوهم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء
منقطعا وعلى الأول يدفع قول من شرط أن يكون المستثنى أقل من الباقي لإفضائه إلى تناقض الاستثنائين
وإن جهنم لموعدهم لموعد الغاوين أو المتبعين أجمعين تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد إن جعلته
مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الإضافة إن جعلته اسم مكان فإنه لا يعمل لها سبعة أبواب يدخلون فيها لكثرتهم
أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون إلى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية
والغضبية أو لأن أهلها سبع فرق لكل باب منهم من الأتباع جزء مقسوم أفرز له فأعلاها للموحدين العصاة
والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين
وقرأ أبو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم إجراء
الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أو من المستكن في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها
إن المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فإن غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة
وعين أو لكل عدة منها كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل
الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام
وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسرها ادخلوها على إرادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر
الخاء على أنه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين أو مسلما عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا ما
في الدنيا بالتنابذ من قلوبهم أو في الجنة بتطييب نفوسهم في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا
وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب
القرب إخوانا حال من الضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف
إليه والعامل فيها معنى الإضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز أن يكونا صفتين لإخوانا أو حالين
من ضميره لأنه بمعنى متصافين وأن يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف
أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فإن تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي
أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير
له وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف
ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف إبراهيم
على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما أي نسلم عليك سلاما أو
سلمنا عليك سلاما قال إنا منكم وجلون خائفون وذلك لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت أو لأنهم
امتنعوا من الأكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تأجل ولا توجل من
أوجله ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فإن المبشر
لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو إسحاق عليه الصلاة والسلام لقوله وبشرناه با
سحق عليم إذا بلغ قال أبشرتموني على أن مسني الكبر تعجب من أن يولد له مع مس الكبر إياه أو إنكار
لأن يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون أي فبأي أعجوبة تبشروني أو فبأي شيء تبشروني

فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن
على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع
المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي
لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى
قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم عليه
الصلوة والسلم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال
فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال
المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفي بالواحد
في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود
لابتدؤوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم
كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم
والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل
لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو
استيناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان
يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين
اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين
مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب
لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء
على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما
جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر منكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا
بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو
العذاب الذي توعدتهم به فيمترون به وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك
به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان فاسر بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر
من السير بقطع من الليل بطائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا
من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد
لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احد منكم ولا يتخلف لغرض
فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى
حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى الضمير المحذوف على الاتساع
وقضينا اليه اي واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع

ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون
عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع
وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون
باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى
ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من
الخزي وهو الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان
تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر
وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة
ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة
المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة
في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم
او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة
هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة
او عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه
كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين
للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وان
كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب عليه الصلوة والسلم كانوا يسكنون الغيضة فبعثه
الله تعالى اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم
والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب
الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان
يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه وآتيناهم
آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها
ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص
وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال
والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد
ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة
لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة

الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده
امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم
وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير
والخلاق يختص بالكثير ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال
وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس
او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية
او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز
ومثن على الله تعالى بما هو من اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران
او كتب الله تعالى كلها فتكون من للتبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات او السور
فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين
على الاخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا
من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات
وفي حديث ابي بكر من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم
صغيرا وروي انه صلى الله عليه وسلم وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز
والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله
فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير
المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب
الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل
مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين
اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد
اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق ان
للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب
امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله لا تمدن الى اخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها
عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة
للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم
عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها
جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف
اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزءين بقمعهم

واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود
بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل
لرسول الله عليهما الصلاة والسلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم
فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها
عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى
عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في
الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك فسبح
بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون
حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا
حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي
مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزءين
بمحمد

سورة النحل

مكية غير ثلث ايات في اخرها وهي مائة وثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه
كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل
يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى
ان الامر الموعود به بمنزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص
سبحانه وتعالى عما يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء
على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم
لما روي انه لما نزلت اتى امر الله وثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة
بالروح بالوحي او القران فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد
وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة
لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه
تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله
على من يشاء من عباده ان تخذ رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته
انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه
لا اله الا انا فاتقون وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى
الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة
من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة وان حاصله التوحيد الذي هو منتهى
كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والايات
التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق

الحكم والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما
على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر
في وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان
من نطفة لا حس بها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل
مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم
وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده
تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع
ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف
للمحافظة على رؤوس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر
الحيوانات فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها
الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين
ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون
حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى
تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا عن ان تحملوها
على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر
شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤوف
رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام
لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان
الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض
وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين
او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا
ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية
حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا البهام
او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق
في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى
الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة
يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد
بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله
وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله
وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم

اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل
من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن
تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله
فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل
كل ما نبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون
من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير
غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لاية
لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها
فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منها الاوراق
والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة
الطباع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة
الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها
كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في
تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ممكنة الذات والصفات
واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور
تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ابتداء ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل
لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات
وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه
اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيآت والمناظر
ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد
والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد اى الملح
فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من
حلف ان لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند
الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجون
منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين
بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء
وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون
اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث

انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش وألقى في الأرض رواسي جبالا رواسي أن تميد بكم
كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع
وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك وان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلق الجبال على وجهها
تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل
لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد أرسيت
بالجبال وأنهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او
لمعرفة الله وعلامات ومعالم يستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحوها وبالنجم هم
يهتدون بالليل في البراري والبحار والنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون
على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري
الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب
وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار
بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم أفمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على
كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما
لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس
تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق
كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم او الاصنام واجراها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة
ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق
من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده أفلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي
يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا
القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء
ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور إن الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها
رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم
واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله والآلهة الذين يعبدونهم
من دونه وقرا ابو بكر تدعون بالتاء وقرا حفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين
من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات
تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون
واجب الوجود أموات غير أحياء هم اموات لا تعتريها الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء
بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون أيان
يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله
ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع
التكليف إلهكم إله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة

وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن
بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا
يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع
الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين
لا جرم حقا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر
او فعل إنه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله وإذا
قيل لهم ماذا أنزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا أساطير
الأولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي
على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا أوزارهم كاملة
يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم
في الضلال ومن أوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب
بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم
اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل ألا ساء ما يزرون بئس شيئا ما يزرونه فعلهم
قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فأتى الله بنيانهم من القواعد
فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب
هلاكهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل
وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله
الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل
فقد اخزيته ويقول أين شركائي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم
الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة
المؤمنين كمشاقة الله قال الذين أوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم
ويتكبرون عليهم او الملائكة إن الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدته اظهار
الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء
وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي أنفسهم بان عرضوها
للعذاب المخلد فألقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا
نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى فتجيبهم الملائكة بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية
استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اوّل من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء
بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تعالى او اولوا العلم
فادخلوا أبواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها
فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا

وفي نصبه دليل على أنهم لم يتلعثموا في الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين بالإنزال على خلاف الكفرة
وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد
المقتسمين قالوا له ما قالوا وإذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة
مكافأة في الدنيا ولدار الآخرة خير أي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم
ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على أنه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين
دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص
بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون وفي تقديم الظرف تنبيه على أن
الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو
يؤيد الوجه الأول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنه في
مقابلة ظالمي أنفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم
لتوجه نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون حين تبعثون فإنها معدة لكم على أعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لأن الأمر
بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وقرأ
حمزة والكسائي بالياء أو يأتي أمر ربك القيامة أو العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك
والتكذيب فعل الذين من قبلهم فأصابهم ما أصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية إليه فأصابهم سيئات ما عملوا أي جزاء سيئات أعمالهم على حذف
المضاف أو تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وأحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل
إلا في الشر وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا
من دونه من شيء إنما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بأن ما شاء الله يجب وما لم يشأ
يمتنع فما الفائدة فيهما أو إنكارا لقبح ما أنكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بأنها لو كانت
مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا إليه لا اعتذارا إذ لم يعتقدوا قبح أعمالهم
وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا
رسله فهل على الرسل إلا البلاغ المبين إلا الإبلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله
هداه لكنه يؤدي إليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه إنما يجب وقوعه لا مطلقا بل بأسباب قدرها
ثم بين أن البعثة أمر جرت به السنة الإلهية في الأمم كلها سببا لهدى من أراد اهتداءه وزيادة
الضلال لمن أراد ضلاله كالغذاء الصالح فإنه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم
من هدى الله وفقهم للإيمان بإرشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة إذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه
على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله وإرادته من حيث إنه
قسيم من هداه الله وقد صرح به في الآية الأخرى فسيروا في الأرض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون إن تحرص يا محمد على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل

إشارة إلى التمحيص

حله صح

فإن الله لا يهدي من يضل

من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرأ الكوفيون لا يهدي على البناء للفاعل وهو أبلغ
وما لهم من ناصرين ينصرونهم بدفع العذاب عنهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت
عطف على وقال الذين أشركوا إيذانا بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة
في البت على فساده وقد رد الله تعالى عليهم أبلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما
دل عليه بلى فإن يبعث موعد من الله عليه إنجازه لامتناع الخلف في وعده أو لأن البعث مقتضى
حكمته حقا صفة أخرى للوعد ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون إما لعدم علمهم بأنه من مواجب
الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها وإما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم إنه تعالى
بين الأمر فقال ليبين لهم أي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا أنهم
كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو إشارة إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو
المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول
له كن فيكون وهو بيان إمكانه وتقريره أن تكوين الأشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال أمكن له تكوينها
إعادة بعده ونصبه ابن عامر والكسائي هنا وفي يس عطفا على نقول أو جوابا للأمر والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله وأصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم إلى الحبشة
ثم إلى المدينة وبعضهم إلى المدينة أو المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وأبو جندل وسهيل وقوله في الله في حقه ولوجهه لنبوئنهم
في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة أو تبوئة حسنة ولأجر الآخرة أكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن
عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر
لك في الآخرة أفضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم
أو للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كأذى الكفرة ومفارقة
الوطن ومحل النصب أو الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين إلى الله مفوضين إليه الأمر كله وما أرسلنا من
قبلك إلا رجالا نوحي إليهم رد لقول قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا أي جرت السنة الإلهية
بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحي إليه على ألسنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الأنعام
فإن شككتم فيه فاسألوا أهل الذكر أهل الكتاب أو علماء الأخبار ليعلموكم إن كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل
على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة وأما قوله جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا إلى الملائكة
أو إلى الأنبياء وقيل لم يبعثوا إلى الأنبياء إلا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي أنه صلى الله عليه وسلم رأى
جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر أي أرسلناهم بالبينات والزبر أي المعجزات والكتب كأنه جواب بم أرسلوا ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط أو صفة
لهم أي رجالا متلبسين بالبينات أو بيوحي على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله على أن قوله فاسألوا
اعتراض أو بلا تعلمون على أن الشرط للتبكيت والإلزام وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن وإنما سمي ذكرا لأنه موعظة
وتنبيه لتبين للناس ما نزل إليهم في الذكر بتوسط إنزاله إليك مما أمروا به ونهوا عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين

الله الأشياء بمحض قدرته ومشيئته لا
توقف له على سبق المواد والمدد ولزم
التسلسل فكما أمكن له تكوين صح

قائل قال بم أرسلوا

اعم من ان يُنفِضي بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون واراده ان يتأملوا
فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين مكروا السيئات اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان
ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب
السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اى متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين
او يأخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان
ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر رض قال على المنبر
ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك
في اشعارهم قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة
السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار
اى قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة
مبهمة بيانها يتفيؤ ظلاله اى اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة عن اليمين والشمائل عن ايمانها
وشمائلها اى عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل
باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان
من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او بالاختيار يقال سجدت النخلة
اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال
من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير
الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد
والاجرام في انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من
جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانب
الشرقي لان الكواكب تظهر منه اخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الاظلال
في اول النهار تبتدي من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدي من المغرب واقعة على
الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته
وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة
بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به
عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات به احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة
او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من
الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى
من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل
عليهم عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون

اوبيان

او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل
على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود
يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو
اله واحد لله دلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم
الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا
ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اى الطاعة
واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين
ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون
ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله واى شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما
شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون
سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه
والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
ومن كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من
للبيان كانه قال اذا فريق منهم وهم انتم ويجوز ان يكون للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة وانكار كونها
من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على
ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون
اى لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها
تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا
مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو
وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له
من قولهم او تعجيب منه ولهم ما يشتهون يعنى البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على
البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه
لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله
مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو
غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه
في نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ
ما وقرئ بالتأنيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين
لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور
استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي
والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الأرض وإنما أضمرها من غير ذكر لدلالة الناس
والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم أو من دابة
ظالمة وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى سماه لأعمارهم أو لعذابهم
كي يتوالدوا فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا أو عذبوا حينئذ لا محالة
ولا يلزم من عموم الناس وإضافة الظلم إليهم أن يكون كلهم ظالمين حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز
أن يضاف إليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون أي ما يكرهونه لأنفسهم من البنات
والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وأراذل الأموال وتصف ألسنتهم الكذب مع ذلك وهو
أن لهم الحسنى أي عند الله لقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة
للألسنة لا جرم أن لهم النار رد لكلامهم وإثبات لضده وأنهم مفرطون مقدمون إلى النار من أفرطته
في طلب الماء إذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على أنه من الإفراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته
في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم
فأصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم أي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها أو فهو وليهم حين
كان يزين لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آتية ويجوز أن يكون الضمير لقريش أي زين الشيطان
للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وأن يقدر مضاف أي فهو ولي أمثالهم والولي
القرين أو الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه ولهم عذاب أليم في القيامة وما أنزلنا عليك الكتاب إلا
لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الأفعال وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فإنهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله أنزل من السماء
ماء فأحيا به الأرض بعد موتها أنبت فيها أنواع النبات بعد يبسها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون
سماع تدبر وإنصاف وإن لكم في الأنعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم نسقيكم مما في بطونه
استئناف لبيان العبرة وإنما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وأنثه في سورة المؤمنين للمعنى فإن الأنعام
اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياس ومن قال إنه جمع نعم جعل الضمير
للبعض فإن اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحده أو له على المعنى فإن المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر
وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا من بين فرث ودم لبنا فإنه من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء
اللطيفة التي في الفرث وهو فضل الأشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنه
أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما ولعله إن صح
فالمراد أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لأنهما لا يتكونان في الكرش
بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها
هضما ثانيا فيحدث أخلاطا أربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر غذائها
لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولا إلى الرحم لأجل الجنين فإذا انفصل انصب
ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع
الله في إحداث الأخلاط والألبان وإعداد مقارها ومجاريها والأسباب المولدة لها والقوى المتصرفة

ههنا وفي المؤمنين

زاد على قدر الحاجة من المرتبتين ... إلى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الأعضاء بحسبها فيجري إلى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ...

فيها كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الإقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الأولى للتبعيض لأن
اللبن بعض ما في بطونها والثانية لابتداء الغاية كقولك سقيت من الحوض لأن بين الفرث والدم المحل الذي
يبتدأ منه الإسقاء وهي متعلقة بنسقيكم أو حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على أنه موضع العبرة
خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث أو مصفى عما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه
سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والأعناب
متعلق بمحذوف أي ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها وقوله تتخذون منه سكرا
استئناف لبيان الإسقاء أو بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا أو خبر لمحذوف صفته تتخذون أي
ومن ثمرات النخيل ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الأولين لأنه للمضاف المحذوف الذي هو العصير
أو لأن الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل
والآية إن كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها وإلا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر
النبيذ وقيل الطعم والمعنى جعلت أعراض الكرام سكرا أي تنقلت بأعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر
إن في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات وأوحى ربك إلى النحل
ألهمها وقذف في قلوبها وقرئ إلى النحل بفتحتين أن اتخذي بأن اتخذي ويجوز أن يكون مفسرة لأن
في الإيحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فإن النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
ذكر بحرف التبعيض لأنها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم أو سقف ولا في كل مكان
منها وإنما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الإنسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة
التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين إلا بآلات وأنظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا
بكسر الباء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها مرها وحلوها فاسلكي ما أكلت سبل ربك في مسالكه التي
يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل أو فاسلكي راجعة
إلى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل أي مذللة ذللها الله
وسهلها لك أو من الضمير في اسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب
النحل إلى خطاب الناس لأنه محل الإنعام عليهم والمقصود من خلق النحل وإلهامه لأجلهم شراب يعني العسل
لأنه مما يشرب واحتج به من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فيستحيل في باطنها
عسلا ثم يقيء ادخارا للشتاء ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على
الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها ادخارا فإذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر
البطون بالأفواه مختلف ألوانه أبيض وأصفر وأحمر وأسود بسبب اختلاف سن النحل أو الفصل
فيه شفاء للناس إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الأمراض إذ قلما
يكون معجون إلا والعسل جزء منه مع أن التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز أن يكون للتعظيم وعن
قتادة رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه
العسل فذهب ثم رجع فقال سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكأنما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن ولما بين الله من أحوال النحل

والطل هو الرطوبة التي تنزل في الليالي على سطوح الأوراق من الأزهار ...

ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة
حق التدبر علم قطعا انه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال مختلفة
ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل
وقيل هو تسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيا ليصير الى حالة شبيهة بحال
الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير يميت الشاب النشيط و
يبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم
وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل
بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك
حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم
فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم
فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين
فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم
يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم
فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض
ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم
بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم و
الله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوا
من ادم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع
في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز
ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات
ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم
او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام
او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة
على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيا من مطر ونبات
ورزقا ان جعلته مصدرا فشيا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يتملكوه او لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفرة
اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال
فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد
ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما
تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جراتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء
وانتم لا تعلمون فدعوا رايكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال [illegible] فقال ضرب الله

اخسه لي

الربائب جمع الربيب وهو ابن الامراة من غير زوجه

فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فقال ضرب الله مثلا [illegible] صح

قوله الرابع هذا الوجه ايضا تعبير التفسير بجعل الختم مجازا على ترك التفسير وجعل الكلام كناية عن تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم
في الضلال والبغي بحيث يحتاجون الى التفسير الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولونه لكن لا باعتبارهم [illegible]
حقيقة لان الكفرة [illegible] واورد عليه ان المقصود من الاية تاكيد [illegible]
[illegible] على كمال اصرارهم على الكفر فيؤكد عدم ايمانهم او عدم نفع الانذار فيهم وذلك بين وان خفي على العلامة التفتازاني [illegible]
[illegible] لو قوله [illegible] في الاخرة [illegible] في الاخرة لانه ليس دار التكليف [illegible]
عليهم مع التكليف وايضا قد يختصوا [illegible] في الدنيا [illegible] ويحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا [illegible] قوله ولهم
عذاب عظيم فانه في الاخرة [illegible] وتعبير التفسير الذي ذكره قوله ختم على سمعه وقلبه الاية
وجعل على بصره غشاوة وفيه ايضا دلالة على المقصود ولانه يدل على ان [illegible] على القلوب والسمع كان قوله على
وسمعه يدل على ان المناسب جمعهما فالاولى ذكره كما في الكشاف ولا يخفى ان الختم على السمع مقدمة لمنع القلب [illegible]
مقدمة [illegible] على ختم القلب [illegible] يكون ختم القلب مقصودا دونه [illegible] ختم القلب [illegible]
البلاغة العليا قوله ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب [illegible]
فيه بحث لان الغشاوة لا تختص بالمنع [illegible] المغشي فان كان ادراك [illegible]
فغشاوة السمع [illegible] وغشاوة [illegible] واحدة [illegible] ان الاحسن كون [illegible] العطف على المفرد
[illegible] موجب لا يعدل عنه ولا يوجب [illegible] وعلى سمعهم [illegible] على سمعهم [illegible]
على التقدير الاخر فان [illegible] على الابتداء [illegible] قوله وكون [illegible]
ادل على [illegible] ملاحظة [illegible] سواء [illegible]
فالوجه انه لم يجعل [illegible] بالفعل [illegible] ملاحظة [illegible]
قوله ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله [illegible] افراد اللفظ [illegible]
[illegible] اعتبار الاصل [illegible] هذا السمع [illegible] الى واحدة [illegible]
واعترض عليه بان دلالة [illegible] مدركات [illegible] انواع الدلالة [illegible]
باعتبارات [illegible] ودلالة [illegible] العادة [illegible]
قوله [illegible] من التكرار [illegible]
للكسرة [illegible] قوله [illegible] عند سيبويه الرفع بالابتداء [illegible]
[illegible] عند غير الاخفش [illegible] عند سيبويه [illegible]
الموصول ويشترط [illegible] والجار والمجرور عند الاخفش [illegible] الرفع بالابتداء [illegible]
[illegible] قوله وتوجيه العطف على الجملة الفعلية [illegible] قوله ولهم عذاب عظيم
على الجملة الفعلية [illegible] قوله غشاوة [illegible]
على سمعهم [illegible] غشاوة [illegible]
[illegible] القاموس [illegible] القراءة بالرفع
المعجم والقاموس [illegible] مقصورة [illegible] البصر [illegible]
[illegible] مصدر [illegible] الاشياء [illegible]
لا ابصار [illegible] لا يرون ايات [illegible] ظلمات كفرهم [illegible] غشاوة [illegible]
[illegible] قوله ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه [illegible]
[illegible] المفيد للنفع [illegible] العذاب العظيم
قوله [illegible] العذاب [illegible] العصيان [illegible]
[illegible] قوله [illegible] العطش اي [illegible] في القاموس [illegible]
العطش اي [illegible] على وزن الفعال [illegible] وقد صرح الكشاف [illegible]
[illegible] والعقاب [illegible] والعذاب [illegible]
قوله [illegible] في القاموس [illegible]
على المريض [illegible] القاموس [illegible] والكبير والعظيم
قال [illegible] صغير والثاني [illegible] وانما كان [illegible]
[illegible] العظيم [illegible] الشريف [illegible]

مقام

مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
مثّل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثّل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا
فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء، واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية
والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الإطلاق
وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فإنه أيضا عبد الله
وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على أن المملوك
لا يملك والأظهر أن من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لأنه للجنسين فإن المعنى
هل يستوي الأحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لأنه مولى النعم
كلها بل أكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه إلى غيره ويعبدونه لأجلها وضرب الله مثلا رجلين أحدهما
أبكم ولد أخرس لا يَفهم ولا يُفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على
مولاه عيال وثقل على من يلي أمره أينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجَّه على البناء للمفعول
وتوجَّه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجَّه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم
هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على
العدل الشامل لجميع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه
إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي وإنما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال ما يقابلهما و
هذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها أو للمؤمن والكافر
ولله غيب السموات والأرض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن
لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فإن علمه غائب عن أهل السموات والأرض
وما أمر الساعة وما أمر قيام القيامة في سرعته وسهولته إلا كلمح البصر إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى
أسفلها أو هو أقرب أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن التي
يبتدأ فيه فإنه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل
معناه أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب
مبالغة في استقرابه إن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر أن أحياهم متدرجا
ثم دل على قدرته تعالى فقال والله أخرجكم من بطون أمهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة أو إتباع
لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في أهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين
جهل الجمادية وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات
الأشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى
تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون
كي تعرفوا ما أنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه ألم تروا إلى الطير وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء
على أنه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية له
في جو السماء في الهواء المتباعد من الأرض ما يمسكهن فيه إلا الله فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها

سعدا اسم رجل شريف يضرب به المثل
لمن يلقى الشرف أينما توجه سلك

لمح واللمح إذا أبصره بنظر خفيف الاسم اللمحة

الفؤاد وسط القلب وهو من القلب كالقلب
من الصدر أي حق وسط

المواتية الموافقة

قوله والبلوغ آخره والمقصود منه ... ويصح ... بيان معان نقلها ... الكشف ... لا بيان محتملات اللفظ لأن الختم
بمعنى بلوغ الشيء آخره لا يتعدى ... في القاموس ختمه ... جعل ... لا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء وختم الشيء بلغ آخره وختمه
أن تسميته صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لأن ... والأحسن عندي أنه ... صلى الله عليه وسلم ستر الأنبياء صلى الله
عليه بنوره كالشمس من الكواكب ... مرضاه بالتشديد ... واختم ولا تبعث على الحقيقة رد لمن لا يؤول القرآن على ظاهره
ويدعي أن الحقيقة مراده ولا يعلم كيفيته ... كذا في شروح الكشاف ويحتمل أن يكون المراد نفي الحقيقة ... لتصحيح
إلى المجاز فإنه ... الصادقة ... الحقيقة قوله وإنما المراد أن يحدث ... قلوبهم وقوله وأسماعهم عطف
على قلوبهم ... مفعول ... وقوله وأبصارهم كقوله وأسماعهم وقوله لا تحل ... قوله تعالى قوله اختل العروض ...
... فالمعنى لا تحل ... الآيات المنصوبة ... ولا تعرضها عليها مكشوفة بل تعرضها مستورة بغطاء
الشبهة والإعراض ... أيضا ... والمعنى ... لا ينظر إلى الآيات المنصوبة في الآفاق
والأنفس نظرا ... والأول ... قوله وسماه على الاستعارة ... الاستعارة والتمثيل بناء
على اختصاص الاستعارة بالمجاز في المفرد المبني على التشبيه كما هو مذهب الشيخ عبد القاهر وجار الله وأما على مذهب السكاكي
فالاستعارة تشمل التمثيل ... استعارة ... قوله ... إحداث هيئة ... الطبع في قوله أولئك الذين
طبع الله على قلوبهم ... الاستعارة والتمثيل ... قوله ... والإقفال في القاموس عقده ...
عقده ... قوله ... قوله ... في معنى ...
... مستندة ... ختم الله على قلوبهم وأسماعهم وعلى أبصارهم غشاوة ...
... قوله ... عليهم ...
... القاموس ... قوله ... الموافقة ...
... قوله ... اضطربت المعتزلة ... اضطرب أمره
... المعتزلة ... قوله ... قوله ...
... الأول أن القوم ... في شرح الكشاف ... العلاقة
الكناية ... المعنى الحقيقي والاستحالة ... مجاز ...
كناية لهذه العلاقة ... الكناية ... ربما يطلق عليه
... المبني للمفعول المبني للفاعل ... لو كان المشبه ... المبني
صريحا ... العلاقة ...
اللازم ... التشبيه ... العبد ... في نفسه ...
أمرهم في هذا التوجيه أما الأول ... الإسناد ... العبد بمنزلة الأمر ... اضطرابهم
في الإسناد ... منزلة ... الملابس ...
... إسناد مجازي ... الإسناد ... هذا الوجه ... الوجه الثالث الذي ذكره القاضي
... الإسناد ... التفصيل ...
في العبد ... كذلك ... فلو كان ... ما حدث ...
... قوله ... الأول ... وإن كان مجازا
أن ... الاستعارة ... المذكور ... في هذا الوجه ... المدعي وهو
... في الآية والمشبه به في هذا ... كما في ...
قوله الثالث أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر ... شرح الكشاف
... فإن قلت ... إلى الله تعالى ... هذه الأفعال ... إسناده إلى الله تعالى

ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها
الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم
المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر
فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول
المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها
تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم وضعها
او ضربها وقت الحضر او النزول وقرا الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها
واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها
من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها
تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل
والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف
والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر
خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع
والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون
به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من
الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين
فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمت الله اي يعرف
المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا
او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها
عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان
بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه
يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم
وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا
وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من
شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصاب
يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب
عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا
شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في
ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم
شركاء الله وانهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق

الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا الى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم
حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر
زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا
بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار
قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او
القياس وهدى ورحمة للجميع وحرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر
بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب
المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا
كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع
بالنوافل او الكيفية كما قال صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن
الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوانية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها
والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس
والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج
في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية
في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية
لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك
الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله
يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء
به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذور وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة
او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في
نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة
متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكثت فتلها جمع نكث و
انتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض
بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين
بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون

الدخل الغش والخيانة

أن تكون أمة هي أربى من أمة بأن تكون جماعة أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم
وقلتهم أو لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم
وحالفوا أعداءهم إنما يبلوكم الله به الضمير لأن تكون أمة لأنه بمعنى المصدر أي يختبركم بكونهم أربى
لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين
وضعفهم وقيل الضمير للأربى وقيل للأمر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون إذا
جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة متفقة على الإسلام ولكن يضل
من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا
تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم عن
محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها والمراد أقدامهم وإنما وحد ونكر للدلالة على أن زلل قدم واحدة
عظيم فكيف بأقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم
عن الوفاء أو صدكم غيركم عنه فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم
في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما
كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد إنما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا
والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم إن كنتم تعلمون إن كنتم من أهل العلم والتمييز ما عندكم من أعراض
الدنيا ينفد ينقضي وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق ودليل على أن
نعيم أهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم على الفاقة وأذى الكفار أو على مشاق التكاليف
وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون بأحسن ما كانوا يعملون بما يرجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات
أو بجزاء أحسن من أعمالهم من عمل صالحا من ذكر أو أنثى عمم بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن إذ لا
اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حياة طيبة
في الدنيا يعيش عيشا طيبا فإنه إن كان موسرا فظاهر إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا لم يدعه الحرص
وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من الطاعة
فإذا قرأت القرآن إذا أردت قراءته كقوله إذا قمتم إلى الصلاة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل
الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن
المصلي يستعيذ في كل ركعة لأن الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه بذكر العمل الصالح والوعد عليه
إيذان بأن الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه
جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ إنه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
على أولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه إلا فيما يحتقرون على ندور
وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا إنما سلطانه
على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله أو بسبب الشيطان مشركون وإذا بدلنا آية
مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أو حكما والله أعلم بما ينزل من المصالح فلعل

وإن كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فإنه صح

السلطان

ملكه

ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخ وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة
الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا أي الكفرة إنما أنت مفتر متقول
على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب إذا والله أعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار
على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز أن يكون حالا بل أكثرهم لا يعلمون حكمة الأحكام
ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل عليه الصلاة والسلام وإضافة الروح
إلى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه
على أن إنزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين
آمنوا على الإيمان بأنه كلامه فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة
رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمؤمنين المنقادين لحكمه وهما معطوفان
على محل ليثبت أي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرهم وقرئ
ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن
الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان
الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى
قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون إليه أعجمي لغة
الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون
بفتح الياء والحاء لسان أعجمي غير بين وهذا أي وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان
وفصاحة والجملتان مستأنفتان والقرآن عربي تفهمونه بأدنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه
وثانيهما هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لأن ذلك أعجمي وهذا
عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن
لا يمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي
سمع منه بعض أوقات مروره كلمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بأمثال
هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون أنها من
عند الله لا يهديهم الله إلى الحق أو إلى سبيل النجاة وقيل إلى الجنة ولهم عذاب أليم في الآخرة
هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما أماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الأمر عليهم فقال إنما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه وأولئك إشارة إلى الذين
كفروا أو إلى قريش هم الكاذبون أي الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات
الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين
ولا مروءة أو الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر إنما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد إيمانه بدل من الذين
لا يؤمنون وما بينهما اعتراض أو من أولئك أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله
فعليهم غضب أو ذم مرفوع أو منصوب أو شرط محذوف الجواب إلا من أكره على الافتراء أو كلمة
الكفر استثناء متصل لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان وقلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير

قوله أو سلمان غير صحيح لأن سلمان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهذه الآية مكية

لإبطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين أحدهما أن ما يسمعه منه كلام أعجمي لا يفهمه هو ولا أنتم صح

من غلامين سوقيين صح

الخرافات الحديث المستملح من الكذب

عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال له ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل التجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله تعالى بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب

ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومساق الكلام يدل على ان المراد حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابرهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة في اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابرهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتبيه للنبوة وهديه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سال

وشكرا انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم

بقوله وإنه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك يا محمد وثم إما لتعظيمه والتنبيه على أن أجل ما أوتي
إبراهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته أو للتراخي أيامه أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة
إليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه وما كان
من المشركين بل كان قدوة الموحدين إنما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين
اختلفوا فيه على نبيهم وهم اليهود أمرهم موسى عليه الصلاة والسلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا
فقالوا نريد يوم السبت لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السماوات والأرض فألزمهم الله السبت وشدد الأمر
عليهم وقيل معناه إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فأحلوا الصيد فيه
تارة وحرموه أخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بأنعم
الله وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف أو مجازاة كل فريق
بما يستحقه ادع من بعثت إليهم إلى سبيل ربك إلى الإسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل
الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالأولى لدعوة
خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي أحسن
بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات التي هي أشهر فإن ذلك
أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي إنما
عليك البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا إليك بل الله أعلم بالضالين
والمهتدين وهو المجازي لهم وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما أمره بالدعوة وبين طرقها أشار
إليه وإلى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فإن الدعوة لا تنفك عنه من حيث إنها تتضمن
رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل إنه صلى الله
عليه وسلم لما رأى حمزة رضي الله عنه وقد مثل به قال والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك
فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس له أن يجاوزه وحث على العفو تعريضا
بقوله وإن عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو أي الصبر خير للصابرين من الانتقام
للمنتقمين ثم صرح الأمر به لرسوله لأنه أولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر
وما صبرك إلا بالله إلا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في
ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق هنا وفي النمل بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز
أن يكون الضيق تخفيف ضيق إن الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في أعمالهم بالولاية
والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلته كان
له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية سورة بني إسرائيل مكية وقيل إلا قوله وإن كادوا ليستفزونك
إلى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الإضافة ويمنع الصرف قال

الجزء الخامس عشر

قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك إظهاره وتصدير الكلام به
للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد وأسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره
على تقليل مدة الإسراء ولذلك قرئ من الليل أي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه
لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
إذ أتاني جبريل بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لأن كله مسجد أو لأنه محيط به ليطابق
المبدأ المنتهى لما روي أنه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من
ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج إلى المسجد وأخبر به
قريشا فتعجبوا منه واستحالوه وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال إن
كان قال لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق
واستنعته طائفة سافروا إلى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت
فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون إلى الثنية فصادفوا العير كما أخبر ثم لم يؤمنوا
وقالوا ما هذا إلا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في أنه كان في المنام أو في
اليقظة بروحه أو بجسده والأكثر أنه أسري بجسده إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماوات
حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة
أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل
يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية وقد برهن في الكلام أن الأجسام متساوية في قبول
الأعراض وأن الله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى
الله عليه وسلم أو فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات إلى المسجد الأقصى بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ
وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من
لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالأنهار والأشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة
شهر ومشاهدته لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء إنه هو السميع لأقوال محمد صلى الله عليه وسلم
البصير بأفعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا
تتخذوا على أن لا تتخذوا كقولك كتبت إليه أن افعل كذا وقرأ أبو عمرو بالياء على أن لا يتخذوا من
دوني وكيلا ربا تكلون إليه أموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص أو النداء
إن قرئ لا تتخذوا بالتاء أو على أنه أحد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله
ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف أو بدل من واو يتخذوا
وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بإنعام الله تعالى عليهم في إنجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه الصلاة والسلام
في السفينة إنه إن نوحا كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع حالاته وفيه إيماء بأن إنجاءه ومن
معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا إلى بني
إسرائيل وأوحينا إليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة لتفسدن في الأرض جواب

قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولهما مخالفة
احكام التورية وقتل شعيا وقيل ارميا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلوة والسلم ولتعلن
علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولهما وعد عقاب اولهما
بعثنا عليكم عبادا لنا بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري
وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي باس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا
ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم
وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على
ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب
بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم
الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر او بان سلط داود
عليه الصلوة والسلم على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم
والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم
احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا
فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوؤا وجوهكم اي بعثناهم ليسوؤا وجوهكم
اي ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر
ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او للبعث او لله تعالى ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ
لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه
جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة
وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط
الله تعالى عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس
قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل
منا فقال ما صدقتموني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم
احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب
قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدا عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة
وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله
فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط
الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او للطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه بشر المؤمنين

ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان
عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه الصلوة والسلم فانه لما انتهى الروح الى
سرته ذهب لينهض فسقط روي انه صلى الله عليه وسلم دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه
فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل
دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء
كقول النضر بن الحرث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له
فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق
واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او
مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام و
جعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحونا آية الليل التي هي القمر
جعلناها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعلنا آية النهار التي هي
الشمس مبصرة جعلناها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض
النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين
والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا
غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر
لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله
تعالى وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه
المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها
ملكات ونصبه بانه مفعول به او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب
ويخرج من خرج ونصبه ويخرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما
صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه مشددا على البناء
للمفعول من لقيته كذا اقرا كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك
والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلة لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب
القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه
وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال وعلى تاويل النفس بالشخص من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه
ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا
ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاد قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا

اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشي وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امُر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا همه عليها عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرى يشا والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهور وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلث كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولك قعد عن الشي اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا الا اياه بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه

اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة بالفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي بالالف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرى به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله
وغداة ريح قد كشفت وقرة ... اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرى الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضا ما هذا السرف فقال اوفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فما ينبغي ان يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه

ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط مثلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرا ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطا وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطا في قوله تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف في القتل اي القاتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرا حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله تعالى من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسال الناكث ويعاتب عليه

او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا يعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورة مامورات ومناه وقرا الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى المنهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم

إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافة الأولاد إليه وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل
أنفسكم عليه حين تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم ولقد صرفنا
كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافة
البنات إليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا
ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق وقلة
طمأنينة إليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على
أن الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب في الثانية على أن
الأولى مما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم إذا لابتغوا إلى ذي
العرش سبيلا جواب عن مقالتهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا إلى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك
بعضهم مع بعض أو بالتقرب إليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة
سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فإنه في أعلى مراتب الوجود
وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات
السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان
الحال حيث تدل بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها المشركون
لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لإسناده إلى
ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز إطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن
عامر ونافع وأبو بكر يسبح بالياء إنه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب
منكم وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما
تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أو مستورا عن الحس أو حجابا لا يحجب
نفى عنهم أن يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الأنفس والآفاق تقريرا له
وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة تكنها وتحول دونها عن إدراك الحق
وقبوله أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ و
المعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم
مصدر وقع موقع الحال وأصله يحد وحده ولوا على أدبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة أو تولية ويجوز
أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن أعلم بما يستمعون به بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن إذ يستمعون
إليك ظرف لأعلم وكذا وإذ هم نجوى أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك مضمرون له وحين هم
ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل أن يكون جمع نجي إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا
مقدر باذكر أو بدل من إذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو
الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة أي إلا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك
الأمثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا إلى
طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في أمره لا يدري ما يصنع أو إلى الرشاد وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا
ترابا

وحطاما أإنا لمبعوثون خلقا جديدا على الإنكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من
المباعدة والمنافاة والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها وخلقا
مصدر أو حال قل جوابا لهم كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم أي مما يكبر عندكم عن
قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض
فكيف إذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة وكنتم ترابا وهو أبعد منه من الحياة فسينغضون إليك
رءوسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا فإن كل ما هو آت قريب
وانتصابه على الخبر أو الظرف أي يكون في زمان قريب وأن يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم
فتستجيبون أي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما
فإن المقصود منهما الإحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم أي حامدين الله على كمال قدرته وتظنون إن لبثتم
إلا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية أو مدة حياتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي
يعني المؤمنين يقولوا التي هي أحسن الكلمة التي هي أحسن ولا تخاشنوا المشركين إن الشيطان ينزغ
بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد إن الشيطان كان
للإنسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم تفسير للتي هي أحسن
وما بينهما اعتراض أي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإن ذلك يهيجهم على الشر مع أن ختام أمرهم
غيب لا يعلمه إلا الله وما أرسلناك عليهم وكيلا موكولا إليك أمرهم تقسرهم على الإيمان فإنما أرسلناك بشيرا
ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالاحتمال منهم روي أن المشركين أفرطوا في إيذائهم فشكوا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجلا منهم فهم به فأمره الله تعالى بالعفو وربك أعلم بمن في السموات والأرض
وبأحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن يكون العراة
الجوع أصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الأموال والأتباع حتى داود عليه الصلاة والسلام فإن شرفه بما أوحي إليه من الكتاب لا بما أوتي من الملك وقيل
هو إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو أنه خاتم
الأنبياء وأمته خير الأمم المدلول عليه بما كتب في الزبور من أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هاهنا
وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لأنه في الأصل فعول للمفعول كالحلوب أو المصدر كالقبول ويؤيده قراءة
حمزة بالضم فهو كالعباس أو الفضل أو لأن المراد وآتينا داود بعض الزبر أو بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول
صلى الله عليه وسلم قل ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويله إلى غيركم أولئك الذين يدعون يبتغون
إلى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب بدل من واو يبتغون أي يبتغي من
هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون
أنهم آلهة إن عذاب ربك كان محذورا حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الملائكة والرسل وإن من قرية إلا
نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستئصال أو معذبوها عذابا شديدا بالقتل وأنواع البلية كان ذلك

في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً وما منعنا أن نرسل بالآيات وما صرفنا عن إرسال الآيات
التي اقترحها قريش إلا أن كذب بها الأولون إلا تكذيب الأولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود وأنها
لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا أن
لا نستأصلهم لأن فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا
ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات إبصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها
فكفروا بها فظلموا أنفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات أي بالآيات المقترحة إلا تخويفاً من نزول العذاب
المستأصل فإن لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن إلا تخويفاً بعذاب الآخرة فإن
أمر من بعثت إليهم مؤخر إلى يوم القيمة والباء مزيدة أو في موقع الحال والمفعول محذوف وإذ قلنا لك واذكر
إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته أو أحاط بقريش بمعنى أهلكهم من أحاط
بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي أريناك
ليلة المعراج وتعلق به من قال إنه كان في المنام ومن قال إنه في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية
رأى أنه دخل مكة وفيه أن الآية مكية إلا أن يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة
بدر لقوله تعالى إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولما روي أنه لما ورد ماءه قال لكأني أنظر إلى مصارع القوم
هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوماً من بني أمية
يرقون منبره وينزون عليه نزوة القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم وعلى هذا كان المراد
بقوله إلا فتنة للناس ما حدث في أيامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما
سمع المشركون ذكرها قالوا إن محمداً يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا
أن من قدر أن يحمي وبر السمندل من أن تأكله النار وأحشاء النعامة من أذى الجمر وقطع الحديد
المحماة الحمر التي تبتلعها قدر أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على
المجاز للمبالغة أو وصفها بأنها في أصل الجحيم فإنه أبعد مكان من الرحمة أو بأنها مكروهة مؤذية من قولهم
طعام ملعون لما كان ضاراً وقد أولت بالشيطان وأبي جهل والحكم بن العاص وقرئت بالرفع على الابتداء
والخبر محذوف أي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بأنواع التخويف فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً
إلا عتواً متجاوز الحد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً
لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالاً من الراجع إلى الموصول أي خلقته وهو طين
ومنه أي أأسجد له وأصله طين وفيه على الوجوه إيماء بعلة الإنكار قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي
الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب وهذا مفعول أول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف
لدلالة صلته عليه والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي لئن أخرتن
إلى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن ذريته إلا قليلاً لأستأصلنهم
بالإغواء إلا قليلاً لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلاً مأخوذ من
الحنك وإنما علم أن ذلك يتسهل له إما استنباطاً من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير أو
تفرساً من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين

وقد قال إن التعبير بالماضي لا يتعلق أحاط بهم على أنه يقع عليهم من العدو

النزوة هي الوثبة من الأرض

السمندل والسمندر واحد حيوان يدخل في النار

ما سوّلته له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلّب المخاطب على الغائب ويجوز ان
يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فِر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء
على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز
استخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم
وصِح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرَّجْل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا
لتسلطه على من يغويه بمغوار صوّت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم
وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كحَذِر وحَذُر ونَدِس ونَدُس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجّالك
وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد
بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على
الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على
كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور
تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا
عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون عليه
في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع
الامتعة التي لا يكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر
من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في
حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبده
عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة
عطاء فتى تمكّن في المعالي فأعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم
الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر على
ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله
وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة
التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته
سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء
ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا رادّ لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى
بخلق دواع يلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته
فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا
لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل
واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد
والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما

[حاشية:] قرئ ... فِر امر من وفر ... اوفر وصيانة عرضه

[حاشية:] وفر استفزه الغضب اي استخفه

[حاشية:] رجل مغوار اي كثير الغارة

[حاشية:] في العاملات العوارد

[حاشية:] او يرسل وان يعيدكم فيرسل فيغرقكم

[حاشية:] صغار الحجارة

يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وهو ان
كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب
والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم نخسف بهم ولم نغرقهم الماء و
ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
بالغلبة والاستيلاء او الشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل
الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو
نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة
من يقول افعو وعلى ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون
محذوف لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا
به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب
كذا اي ينقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم
وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه الصلوة والسلم واظهار شرف الحسن
والحسين عليهما السلم وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك
يقرؤون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الا
والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه اذا اطلع على
ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر
رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة
والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي
بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة
كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء
في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وورش على اصله بين بين وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف
قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلوتنا وكل ربوا لنا
فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب
لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك
وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي
اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة
احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم
باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك

ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا
الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى
مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من
اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا
نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة
ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد
كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة
فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف
على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط
الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة
وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل
عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك
فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك
لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى
ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت
ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة
فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران
الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء و
النوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة
للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة
صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت
يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران نافلة
لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة
لما روى ابو هريرة رضه انه صلى الله عليه وسلم قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه
فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه
او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني
مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة

ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وهي ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما
حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه
وقرئ مَدخل ومَخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون
ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق وزهق الباطل ذهب وهلك الشرك من زهق
روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم دخل
مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد منها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد
علي فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من
المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم و
كفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد
بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين
وقرأ ابن عامر وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد
الياس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى
والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا
وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن
الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل
كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله
بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها
او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح
وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبريل عليه الصلوة والسلم وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر
ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل
للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما
ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن
معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين
بذكر بعض صفاته روي انه عليه الصلوة والسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن
وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو انما
في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية
بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين
وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن

جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك
به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده
عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا
بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله وفيهم العرب العرباء
وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا
كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا
على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه
ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في
التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس
فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من
المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها
يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تكون لك
بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع
لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في
هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح ككسرة وسدر او
فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا
كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار
بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة
او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي
تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر
قال سبحان هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم
ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد
ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى
اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم
شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم
لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط
بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول
اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهاره المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت

به الكم وانكم عاندتم وشهيداً نصب على الحال والتمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة
منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد
ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم
على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون
بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا
بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى والحواس مأويهم جهنم
كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم
ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون
على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر
على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب
فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون
خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات
سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص [illegible]
[illegible] اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار
النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى
وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة
بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد
والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل
وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال
النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة
ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا
المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها
في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زائد على
الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسال بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك
او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش
واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فاسال يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون
اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا
لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة

القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي
بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك
صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر
من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن
فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا
على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض
ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه
وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد
ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيمة
جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات
من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما
نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة
وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر
وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير و
الانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله
ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس
على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا
على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا
يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو
خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من
الميز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل
على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم
اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله تعالى او شكرا
لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون
سبحان ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون
للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر
فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض
من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما
ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك

لتعلق ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما مطلقان على ذات واحد
وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيّان في حسن الاطلاق
والافضاء الى المقصود وهو جواب لقوله اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى
الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما في
اي من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع
موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال
والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا
تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا
فان الاقتصاد في جميع الامور محمود روي ان ابا بكر رضه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضه
كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابا بكر
ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك
سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية
ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه
ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد
لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه
قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد
ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه وذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه
الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة
والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية **سورة الكهف** مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد
والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ و
تناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق تعالى وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما
معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب
السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو
في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه
تقديم وتأخير لينذر بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة
القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان
الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه في الجنة ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا

ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره
ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه اي بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد
لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر
او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم
هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ و
كلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم صفة لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص
بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع
نفسك على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته
فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح
على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات
والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع
منه بما يزجي به اياه وصرفه على ما ينبغي وهو تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد
ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان
اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على
الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة
واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله تعالى كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها
الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم
وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذهم
السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله
يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل
عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به
فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره
حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا
الضوء وقال آخر كان في فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله
ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت
وسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفته في
الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى
تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همّان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي

فحبسني ذات يوم غيث فلم أرح حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك النعمان بن بشير إذ أوى الفتية إلى الكهف يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو وهيئ لنا من أمرنا من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت منك رشدا وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى أنمناهم إنامة لا تنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا أي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم أيقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا أي الحزبين المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم أحصى لما لبثوا أمدا ضبط أمدا لزمان لبثهم وما في أي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ وأحصى خبره وهو فعل ماض وأمدا مفعول له ولما لبثوا حال منه أو مفعول له واللام مزيدة وما موصولة وأمدا تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق وأمدا نصب بفعل دل عليه كقوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق إنهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والأهل والمال والجراءة على إظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار إذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو إخبار في معنى إنكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ إلا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود وأن التقليد فيه غير جائز فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه وإذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون إلا الله عطف على الضمير المنصوب أي وإذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كسائر المشركين ويجوز أن تكون ما مصدرية على تقدير وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله وأن تكون نافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ما ترتفقون به أي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فإن قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد إذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبيا أو لأن الله تعالى زورها عنهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين وإذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة

٢٢٤

منه أي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف كذلك أو إخبارك قصتهم أو ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله فهو المهتد بالتوفيق الذي أصاب الفلاح والمراد به إما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم أيقاظا لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فأنطقه الله فقال أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم أي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت إليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لأنه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك بما ألبسهم الله تعالى من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا ما أنعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم بناء على غالب ظنهم لأن النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك أحالوا العلم إلى الله قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا إنكار الآخرين عليهم وقيل إنهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا أنهم في يومهم أو اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت أو غيرها وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وإدغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد الكسرة إلى الساكن قبلها مدغما وحملهم له دليل على أن التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر أيها أي أهلها أزكى طعاما أحل وأطيب أو أكثر وأرخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن أو في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور إنهم إن يظهروا عليكم إن يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها يرجموكم يقتلوكم بالرجم أو يعيدوكم في ملتهم أو يصيروكم إليها كرها من العود بمعنى

الصيرورة ووصل كانوا او لا على دينهم فاصنعوا ولن تفلحوا اذاً ابداً ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما
انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث
او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها
وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة حافظاً ابدانها عن التحلل والتفتت
ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكاً اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون
ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقولون تبعث الارواح مجردة
وبعضهم يقولون يبعثان معاً ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معاً او امر الفتية حين اماتهم الله ثانياً
بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة يبنى عليهم بنياناً يسكنه الناس
ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجداً نصلي فيه كما قال فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم
اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجداً وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله تعالى رداً على
الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او من المتنازعين ... الى الله بعد
ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل السوق
واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزاً فذهبوا به الى الملك وكان نصرانياً موحداً
فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق
الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به
من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجداً وقيل لما انتهوا
الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجداً سيقولون اي
الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال يربعهم
كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبياً ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطورياً رجماً بالغيب يرمون رمياً بالخبر الخفي
الذي لا مطلع لهم عليه واتياناً به او ظناً بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما
هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبريل عليه السلام
وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجماً
بالغيب وان اتبع العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في
نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجماً بالغيب ليتعين الثالث
وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيهاً لها بالواقعة حالاً عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة
بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي عليه السلام هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا
ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان
يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة
لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم فلا تجادل في شأن الفتية الا مراء ظاهراً الا جدالاً ظاهراً غير متعمق
فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احداً ولا

تسأل احداً منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال
متعنت يريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً
الا ان يشاء الله نهي تأديب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح و
اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غداً اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً
حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا
بان يشاء الله اي الا متلبساً بمشيئته قائلاً ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن
لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واعتراضها دونه لانه سبب
النهي واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله اذا نسيت
اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء
عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في
الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون
المعنى اذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا
تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان
يهدين ربي لاقرب من هذا رشداً لاقرب رشداً واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب
الكهف وقد هداه الاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث
النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشداً وادنى خيراً من المنسي ولبثوا في كهفهم
ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً يعني لبثهم فيه احياء مضروباً على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه
حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم
ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه هاهنا
ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل
السنين من ثلاثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها فلا خلق
يخفى عليه علماً ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك
السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود
الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى
صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله كفى به والنصب
على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية
ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي يتولى امورهم ولا يشرك
في حكمه احداً منهم وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل
اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم
على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن
ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن

تعدل منه دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فتكون اللام فيه على
تاويل التنكير يريدون وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته
بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم ان يزدري
بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال
من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا
كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء
غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه
كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك
او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا
على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروه بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل
الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا
له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا
ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
لا ابالي بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته
ليست بمشيئته انا اعتدنا هيانا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من
النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا
من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم
يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس
الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا
خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا
كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه
الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما
اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء
والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار
ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق
ما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين
فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا
متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين قيل هما اخوان من بني
اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها
اي تقاسما

نبا الشيء عني اي تجافى وتباعد صحاح

الصيلم سيف

ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل لهما اخوان من
بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب بستانين من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين
وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته
بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون
كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت
اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها
شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما
فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من
ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز
نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره
بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ
له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة
وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد هذه ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله و
تمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث
كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرا الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة
وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما
يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك
ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل
كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشاه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه
من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا
اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقراه ابن عامر ويعقوب
في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل
وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ ولكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي
ولولا اذ دخلت جنتك وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان
ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى
ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله
تعالى وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال
ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا
للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا لمن فسر النفر بالاولاد

فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك
حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها
او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح
ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط
بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره
اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق
فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا
على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول
عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه
فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له
وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله
من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام
وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او
ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا
اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا
يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله
يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو و
الكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ
عقبى بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا اذكر لهم ما تشبهه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها
او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات
حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه
عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به
ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما
تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة
الحياة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات
التي تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان
وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا
عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها
ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير
عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت

٢٢٧

وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم
وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير
ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا
يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا
على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صفا مصطفين لا يحجب
احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء
معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم
موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع
الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين
خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوا بها من بين الهلكات مال هذا الكتاب
تعجبا من شأنه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في
الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصودة بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين
واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار
بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من
انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من
الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره
بترك السجود والفاء للسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله
والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب
وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك
كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا رد لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة
فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم
لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان
اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين
على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول
اي الله تعالى للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي
واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاعانة
فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة

عطفا مهلكا

هي في شدتها هلاك كقول عمر رضه لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً اسم مكان او مصدر من وبق يوبق
وبقاً اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون
النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او
مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه
وكان الانسان اكثر شيء يتاتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التميز وما منع
الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا
ربهم ومن الاستغفار من الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تاتيهم
سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب عذاب
الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ
بفتحتين وهو ايضا لغة فيه يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير
او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا
بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا
ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك
قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما
انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ
به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت
يداه من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتهما انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا
يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا
لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم
فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم
بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم
بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجا يقال وأل اذا نجا ووأل اليه
اذا لجا اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول
مضمر يفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضماير لما ظلموا كقريش
بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخر العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح
الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض
واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف فانه كان يخدمه ويتبعه
ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله
حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ما هي غاية له عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ

على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا
ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري
فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر عليه السلم فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلم
فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل
كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون
سنة وقيل سبعون روي ان موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله المصر خطبة بليغة فاعجب
بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان
الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه
اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق
ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على الهدى
او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين
اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك
فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما
ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع
ان يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب
في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في
الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر
سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله الماء على
الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز
تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب
وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت اذ اوينا ارايت ما
دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر
الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه
وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى
مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك
لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات
الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها
باحدهما عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب
او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه

زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب حتى ابلغ الى ان امضي

او موسى يجي به عجبا عجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي فلا تفاتحني بالسوال عن شي انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون المثقلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تواخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشي نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المواخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شي آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمواخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير تروّ

الجزء السادس عشر

واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا في الاولى وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرا نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد لك فيه مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني وان سالت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرا نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لومه من النبو كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدي

وضم الدال والاكتفاء بها عن نون العماد كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي

ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان منحق النظم ان تتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله و
كان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما
كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر
على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين
فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه
وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على
طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه
كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم
موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا
حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة
من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر
ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسور وكان تحته كنز
لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن
لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف
يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان
لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان
يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون
علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب
وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل
له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف
في الالتفات الى الوسائط وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك وما فعلته وما فعلت
ما رايته عن امري عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب
تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع
عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر
الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب
في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذي
القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذي القرنين
او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان

له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح
اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سالوه امتحانا او مشركو مكة
قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له
امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله
اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا توصله اليه حتى اذا بلغ
مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حماة من حمئت البير اذا صارت ذات حماة وقرا
ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين
او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح
بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرا
حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده
في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا
كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه
احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا
نكرا اي فاختار الدعوة قال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك
فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ويعذبه الله في الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل
صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص جزاء منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى
بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه
المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب
واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان
غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا
يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي
تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية
او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك
او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة
قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود و
الآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط
به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال
حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان في

اواخر الشمال في منقطع ارض الترك من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله
الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو
من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرا
حمزة والكسائي لا يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين
اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من
ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع
الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرا عاصم ومنع صرفهما للتعريف
والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع وقيل كانوا يخرجون
الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا
جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على
الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم
السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون
لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به
من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان
رقاعا فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار
على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على
معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون
الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر
والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا
منهما منعدل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا
جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ
عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو
معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرا حمزة وابو بكر قال ائتوني
موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا
له نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من
زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس
المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض
بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده
فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة جعله دكا
مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء

بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا
بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في
بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى
ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر
بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم
قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والهمزة
للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم
به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا
اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى
الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم
وراءها من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه
من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم
كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخرتهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل
او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك
الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه
او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنزدري بهم
ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله
جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدا ... بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي بسببهما
ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده
والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون
عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود
قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات
ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله مثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين
متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد
والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء وقرئ مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب
ومددا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم
من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت
عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك
بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه

على الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريآء والآية جامعة لخلاصتي العلم
والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نورا
في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان
نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام
من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض
الى السماء

سورة مريم عليها السلام مكية الا آية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال ابو عمرو
الهاء لان الفات اسماء التهجي ياآت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ذكر رحمت ربك خبر ما
قبله ان أول بالسورة او القرآن فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اى هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ
حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر
على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه
نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على
طلب الولد في اوان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف
في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب اني وهن
العظم مني تفسير للنداء والوهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن
بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ
النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس
الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة
على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك
استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته
معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي
بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من
ورائي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اى خفت فعل
الموالي من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اى قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين
بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب
لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لا نصلح للولادة وليا من صلبي يرثني
ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع
والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك
وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلوة والسلام وقيل يعقوب كان اخا لزكريا او عمران بن ماثان من نسل
سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واو يرث بالتصغير لصغره ووارث من آل
يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله

رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه
وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي
الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر
انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله
حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا
في المفاصل واصله عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو
الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر
فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اى الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا
له كذلك الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم تفسره هو
على هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو على هين اى الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون
على او كما وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشئ قال
رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوي
الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع
من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من
الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا
ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان يحتمل
ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب بقوة بجد واستظهار بالتوفيق
وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه
وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس
وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي
ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر
ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت
اعتزلت بدل منها بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم
قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك
اكرمتك اذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا في بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك
اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم
حجابا ساترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض
محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هي
تغتسل اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها
فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل

وعن ما عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقه اى تصدق الله به على ابويه

بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك فكيف اذا لم يكن كذلك قال انما
انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية
لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا
على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني
رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده
عطف قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم
تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو
علي هين ونجعله اية اي ونفعل ذلك لنجعله او ولنبين به قدرتنا ونجعله وقيل عطف على لنهب على طريقة
الالتفات اية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده
وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل
لكونه اية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر
وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها
ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل
وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجأها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال
كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة
وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله
تعالى الهمها ذلك ليريها من اياتها ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة
لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر
مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرا حمزة
وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه
اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى و
قيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح
من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او
بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سريا من السرو وهو
عيسى وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز به او هزي الثمرة
بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة
وقرا يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط
بالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا راس لها
ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من

المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن راها على ان من
قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب
والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري
عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار
فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة
ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر
احدا فان ترى ادميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتاخ بين الهمزة وحرف اللين
فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم
اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها
بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت به
مع ولدها قومها راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت
شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت هرون يعنون هرون النبي عليه الصلوة والسلام وكانت
من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل
صالح في زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرا سوء
وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش
فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا
في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله
وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد
على من زعم ربوبيته اتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلم الخير والتعبير
بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله
واستنباه طفلا اينما كنت حيث كنت واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او
تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر
وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على
الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم
ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل
جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان
العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اي الذي تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لا ما يصفه
النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله الموصوف باضداد
ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان
والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ
عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه

اذا قطعه

يمترون اي في امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب
ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد
باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصري ان بالفتح على ولان وقيل انه
معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا
انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله
ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه
وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد
عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وآرابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او مكانها وقيل هو
ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا اي
يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون
يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول
في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع
الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه
ضلال بين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ
قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم
في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم
غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا
عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا
يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق
لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله اذ قال بدل من ابراهيم
وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة عن ياء الاضافة ولذلك
لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف
حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله
واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي
تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم
ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب والمثيب
ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن
ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله
في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه

ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال
يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه
بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه
عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا
تعبد الشيطان استهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي
للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص
حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال
يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن والعذاب
تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف
والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته
لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبهة
عليها قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه بالارشاد بالفظاظة وغلظة
العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار
نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك
فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد عني واهجرني
عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب
عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول
لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر
استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف
واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى الا اكون
بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم
النفس والتنبيه على ان الاجابة والانابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم
من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد
يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على
الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد
وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي
لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق
وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار
وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن
الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه
مخلصا

وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه
من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون
من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا
مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات
حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة
اخيه ومؤازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول
او بدل هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد
ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد
الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان
الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان يامر اهله بالصلوة
والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال
الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله
امته فان الانبياء اباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس
وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون
معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه
اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف
النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين
في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين بيان
للموصول من ذرية ادم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم
من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس
فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي
ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات
من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هدينا الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم
ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره
لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى
من الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك
كالسجود جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التانيث غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء
بعدهم عقب سوء يقال خلف سوء بالسكون وخلف صدق بالفتح اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها
عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن
علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا
شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما

او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وامن وعمل صالحا
يدل على ان الاية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء
للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر
وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض
لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه
في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده
بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله
كان وعده الذي هو الجنة ماتيا ياتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا
اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب
والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم وتسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى
ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا
وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة
والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا نبقيها عليهم من
ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق
من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من
الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورّث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة
اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا عليه خمسة عشر
يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على
مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب
وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما
خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان
دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به
ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك وما ننتزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور
كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك
نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله
رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك
فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي
له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء
الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك

كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى صح

للمحارب اصطبر لعبادتك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا
الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة
وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال
بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم
وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او
ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ءاذا ما مت لسوف
اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون
ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها
وهي هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ
اقترانها بحرف الاستقبال اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه
وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف
عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتامل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك
فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرا نافع وابن عامر وعاصم
وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم
اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول صلى الله عليه وسلم والشياطين
عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع
شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا
وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء
ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا
غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع
او لانه من توابع المواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى
كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة
من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة ثم لننزعن من
كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم
فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه
يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق به وايهم
مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم
الاضافة فاذا حذف صدر صلتها زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا
ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهام وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن
من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم
او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما شيعة

لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا
اي نحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم
عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وان منكم وما منكم التفات
الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة
وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال البعض
اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها
مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما
مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل
اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرا الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء
اي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو
حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على
هيئاتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول
او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين
والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرا ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن
نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل
عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن
حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع
التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن
بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن
النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث منه ورئيا منظرا فعل من الرؤية
لما يرى كالطحن والخبز وقرا نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الري
الذي هو النعمة وابو بكر رئيا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن
مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في
الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا يمده ويمهله بطول العمر والتمتع وانما
اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله انما نملي
لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد
وقيل غاية قول الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما
الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا
واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين
بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة
محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادي

باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على
الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين
ان قصور حظ المومن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف
على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية
والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من
النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم
كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من
الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرأيت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت
في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد
حيا وميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى
سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب
حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي وُلْدا وهو جمع وَلَد كأُسْد في أَسَد او لغة فيه كالعُرْب والعَرَب
اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد حتى ادعى
ان يوتى في الاخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيب عهدا
بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان
وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب
ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة
العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه و
استهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد
وياتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يوتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا
لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون
لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الالهة عبادتهم
ويقولون ما عبدتمونا لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا
يويد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم
بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة
المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه الصلوة والسلم وهم يد على من سواهم
وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على
معنى كل هذا الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم

وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة
وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الايات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان
تهلكوا حتى تستريح انت والمومنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم اياما اجالهم عدا
والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم
الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام
وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم
وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش
او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب
لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان
والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي
الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين
لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في
الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادني وآدني
اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى
وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال
مطاوع فعَل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة
او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة
لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا
حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد
او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر
محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد وهو من دعا بمعنى سمى
المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب
الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد
ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه
نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذ ولدا
ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض اي ما منهم الا اتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك
له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصيهم حصرهم واحاط بهم
بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل
شيء عنده بمقدار وكلهم اتيه يوم القيمة فردا منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك

لسعد ولدا ولا انا سيد لشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث
لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل
احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء
ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم
ذلك اذا جاء الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في
صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمين يسرنا معنى
انزلنا اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة
آخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة
وتجسير للرسول على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا
وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في
الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر
حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد
من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص
ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل
معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد
بقوله ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما
كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه
فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ
الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون
اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة
الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد
وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستيناف ان كانت جملة فعلية او
اسمية باضمار مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك
على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء
شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار
بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى
بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء
المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان
الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موضع الحال من الكاف او القرآن او مفعول

على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه خشية
ورقة تتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب
باضمار فعله او بيخشى او على المدح او على البدل لمن تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له
لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده
الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب
الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها
اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه
احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل
منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن
على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك
على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك
باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم
السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه
وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير
النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما
ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله
لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من
التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد
العظيم ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد
له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين
معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع
الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض
وهي آخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن
لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتيك حديث موسى قفى تمهيد نبوته
صلى الله عليه وسلم بقصة موسى عليه الصلوة والسلم ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة
والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ راى نارا ظرف
للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليهما الصلوة والسلم في الخروج
الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة
مثلجة وكانت ليلة الجمعة وتداخل الطرق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور نارا
فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل
الايناس ابصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى

هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن
لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجا بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه
لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون
المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه **فلما اتاها** اتى
النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء **نودي يا موسى اني انا ربك** فتحه ابن كثير وابو
عمرو اي باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد و
التحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام
شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو
اشارة الى انه عليه الصلوة والسلم تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه
وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة **فاخلع نعليك** امره
بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما
كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال **انك بالواد المقدس**
تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين **طوى** عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر
والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين
او قدس مرتين **وانا اخترتك** اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك **فاستمع لما يوحى** للذي
يوحى اليك او للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين **انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني**
بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي
هي كمال العمل **واقم الصلوة لذكري** خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها
وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت
بها او لذكر صلوتي لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها
ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري **ان الساعة آتية** كائنة لا محالة **اكاد اخفيها** اريد
اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما
اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره **لتجزى
كل نفس بما تسعى** متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير **فلا يصدنك عنها** عن تصديق الساعة او عن الصلوة
من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها
كقولهم لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض وانه ينبغي
ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه **واتبع هواه** ميل نفسه الى
اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عليها **فتردى** فتهلك بالانصداد بصده **وما تلك** استفهام يتضمن
استيقاظا لما يريه فيها من العجائب **بيمينك** حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك **يا موسى** تكرير لزيادة
الاستيناس والتنبيه **قال هي عصاي** وقرئ عصي على لغة هذيل **اتوكأ عليها** اعتمد عليها اذا اعييت
او وقفت على راس القطيع **واهش بها على غنمي** واخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ اهش وكلاهما

من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها
ولي فيها مآرب اخرى حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين
على شعبتيها والقى عليها الكسا واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه
قاتل بها وكانه عليه الصلوة والسلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من
منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة
مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصير دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البير و
تحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها
علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها
ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض
الذي فهمه **قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى** قيل لما القاها انقلبت حية صفراء
بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدإ وثعبانا باعتبار
المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان
ولذلك قال كانها جان **قال خذها ولا تخف** فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف
وهرب منها **سنعيدها سيرتها الاولى** هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة و
الهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها
في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع
قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها **واضمم يدك الى جناحك**
اي جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك
لانه يجنحهما عند الطيران **تخرج بيضاء** كانها مشعة **من غير سوء** من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص
كما كني بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه **آية اخرى** معجزة ثانية وهي حال من ضمير
تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك **لنريك من آياتنا الكبرى** متعلق بهذا المضمر
او بما دل عليه آية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول لنريك
ومن آياتنا حال منها **انه طغى** عصى وتكبر **قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري** لما امره الله بخطب
عظيم وامر جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه
ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه
بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة **واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي** فانما يحسن التبليغ من البليغ
وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر
بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في
فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه
قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها
فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله لا يكاد

يبين واجاب عن الاول بانه لم يسال حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها
وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا
من اهلي هرون اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره
او من الوزر وهو الملجا لان الامير يعتصم برايه ويلتجا اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله
ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته كقلبها في موازر ومفعولا اجعل
وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال اولي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا
من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدا خبره اشدد
به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويودي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا
بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد
اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة
اخرى انعمنا عليك في وقت آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك
لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه
وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في
اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله
بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق
الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر
كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض
ياخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة لان الاول باعتبار الواقع والثاني
باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان
يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون
جالسا على راسها مع امراته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها
فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث
لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن
احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله
فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن
اليك وانا راعيك ورقيبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة باضمار فعل معلل
مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء
اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او
بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا
يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها

قوله فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اي مرجعا
والمعتزلة احتجوا به على الاختيار والمشيئة واصحابنا
رووا عن ابن عباس انه قال المراد من شاء الله به خيرا
هداه حتى يتخذ الى ربه مآبا ثم انه تعالى زاد في تخويف الكفار
فقال انا انذرناكم عذابا قريبا يعني العذاب في الآخرة وكل ما هو آت
قريب وهو لقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها

الا هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا والمعنى ان هذه
السورة لما فيها من الترتيب العجيب والنسق البديع والوعد والوعيد
والترغيب والترهيب تذكرة للمتاملين وتبصرة للمستبصرين
فمن شاء الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ الى ربه سبيلا
واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه
تفسير

فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفا بقولنا انا رادوه اليك كي تقر
عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك وانت على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي
استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة
والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن
او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال
لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر
نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء
لاوفى الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك
غير مستقدم وقته المعين ولا مستاخر او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره
عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما
خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا
تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ
ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا
تكرر وقيل اوحي الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع مقبله باستقباله فقولا له قولا لينا
مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا
ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان
له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول
الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر
ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في
الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من
الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا
اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة
واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا
حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني
على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى الى
ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما
بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره
عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا
كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا
تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم
في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص

الدعوة

وبدور في صح

للاهل لان شعيب عليه السلام ادى الكلك اصدى ابنتي على ان تاجرني
ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك متفضلا اوفى الاجلين
انكحه فيها عشر سنين ومدين بلدة شعيب عليه السلام
على راس اربعين سنة فانه المعهود في ورود الا يحاء على الانبياء

خول ذلك
اي ملكه ايا
صحاح

السطو القهر بالبطش
صحاح

ان تبليغكما اليه لعله يكون مثمرا ومفيدا ولا يخيب سعيكما

عداه اي
اجملا وعده
بهذه الاشياء
على تقدير الاكمال
مز

المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج فى الدعوة قد جئناك باية من ربك
جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان
المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة وقد جئتكم
باية او لو جئتك بشئ مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين
والسلامة فى الدارين لهم انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المشركين على المكذبين
للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اول الامر انجع وبالواقع
اليق قال فمن ربكما يا موسى اى بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع
اذا امر بشئ فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه
او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى
هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذى اعطى كل شئ من الانواع خلقه صورته وشكله الذى يطابق
كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثانى لانه المقصود
بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على
شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى
وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن
الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى
وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه فى حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذى كفر وافحم عن الدخل عليه
فلم ير الا صرف الكلام قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعدهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربى اى انه
غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به فى كتاب مثبت فيه وهو اللوح المحفوظ
ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربى ولا ينسى والضلال
ان تخطئ الشئ فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان يذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم
بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور و
الخواص المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى مدتهم
وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك وانه مثبت
عنده لا يضل ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربى او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون
مهدا اى كالمهد تمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد ولم يختلفوا فى الذى
فى النبأ | وضعافه وسلك لكم فيها سبلا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من ارض لتبلغوا
منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها
على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى
هذا نظائره كقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها
ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر

في الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اى متفرقات فى الصور والاعراض والمنافع
يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة
القول اى اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف اذنين
فيه ان فى ذلك لايات لاولى النهى لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية
منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول ابائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك
الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح
اليها ولقد اريناه اياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد
على ان المراد باياتنا ايات معهودة هى الايات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه اياته وعدد عليه ما
اوتى غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان
ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك
موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى
بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون
طباق الجواب فى قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع
الناس فيه فى ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد
يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته
الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل
فى يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق
الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء
الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون
فجمع كيده ما يكاد به يعنى السحرة والاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
بان تدعوا اياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب
بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اى تنازعت السحرة فى امر موسى حين سمعوا
كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا
واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران
تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة
بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف
وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدأ وقيل
اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان
هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هى المخففة واللام هى الفارقة او النافية واللام بمعنى الا

يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا به مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبر محذوف اي اختر القاءك او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرا ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله تعالى وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان ما في يمينك اعظم منها اثرا تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرا ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا آمنا برب هرون

الازماع تخليص النية على الاقدام بامر

بالياء

فالقته صح

وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدا من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه هذه الحيوة الدنيا [illegible] انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه من يات ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة مهناة ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلث يحتمل ان يكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعى جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المامور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرا حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل

في هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى صح

هو الله أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورّطهم للهلاك وأضل فرعون قومه وما هدى أي أضلهم في الدين
وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أو أضلهم في البحر وما نجا يا بني إسرائيل خطاب لهم
بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون على إضمار قلنا أو للذين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل بآبائهم
قد أنجيناكم من عدوكم من فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الأيمن لمناجاة موسى وإنزال التوراة عليه
وإنما عديت المواعدة إليهم وهي لموسى أو له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني
في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه أو حلالاته وقرأ حمزة والكسائي أنجيتكم وواعدتكم وما رزقتكم
بالتاء وقرئ وعدتكم ووعدناكم والأيمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم
بالإخلال بشكره والتعدي لما حد الله تعالى لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي
فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين إذا وجب أداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك
وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل إذا نزل وإني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن
بما يجب الإيمان به وعمل صالحاً ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما أعجلك عن قومك يا موسى سؤال
عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظيم عليهم فلذلك
أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم قال هم أولاء على أثري ما تقدمتهم إلا بخطى يسيرة
لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضاً وعجلت إليك رب لترضى
فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم
بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا منهم من عبادة العجل
إلا اثنا عشر ألفاً وأضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء إلى عبادته وقرئ وأضلهم أي أشدهم ضلالاً لأنه كان
ضالاً مضلاً وإن صح أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قد أكملنا
العدة ثم كان أمر العجل وأن هذا الخطاب كان له عند مقدمه إذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك إخباراً من الله
له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فإن أصل وقوع الشيء أن يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب
إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجاً من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن
ظفر وكان منافقاً فرجع موسى إلى قومه بعدما استوفى الأربعين وأخذ التوراة غضبان عليهم أسفاً حزيناً
بما فعلوا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً بأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور أفطال عليكم العهد أي
الزمان يعني زمان مفارقته لهم أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فأخلفتم
موعدي وعدكم إياي بالثبات على الإيمان بالله والقيام على ما أمرتكم به وقيل هو من أخلفت وعده إذا وجدت الخلف
فيه أي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الأربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على
الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا بأن ملكنا أمرنا إذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامري
لما أخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلاثتها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء
ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم أحمالاً من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج مخافة أن
يعلموا به وقيل هو ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها أوزاراً لأنها آثام فإن الغنائم
لم تكن تحل بعد ولأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي فقذفناها أي في النار فكذلك

العلج الرجل من كفار العجم

ألقى السامري أي ما كان معه منها روي أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري إنما أخلف موسى ميعادكم
لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها ناراً ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا
وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فأخرج لهم عجلاً جسداً من تلك الحلي المذابة
له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به أول ما رآه هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فنسيه
موسى وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من إظهار الإيمان أفلا يرون
أفلا يعلمون أن لا يرجع إليهم قولاً أنه لا يرجع إليهم كلاماً ولا يرد عليهم جواباً وقرئ يرجعَ بالنصب وفيه ضعف
لأن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ولا يقدر على إنفاعهم وإضرارهم ولقد
قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى أو قول السامري كأنه أول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة
توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم إنما فتنتم به بالعجل وإن ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني وأطيعوا أمري
في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع إلينا موسى وهذا الجواب
يؤيد الوجه الأول قال يا هرون أي قال له موسى لما رجع ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل ألا تتبعن
أي تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أو أن تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك ألا تسجد
أفعصيت أمري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن أم خص الأم استعطافاً وترقيقاً
وقيل لأنه كان أخاه من الأم والجمهور على أنهما كانا من أب وأم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بشعر رأسي
قبض عليهما يجره إليه من شدة غيظه وفرط غضبه وكان موسى عليه الصلاة والسلام حديداً خشناً
متصلباً في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل
لو قاتلت أو فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي وأصلح فإن الإصلاح كان في حفظ
الدهماء والمداراة بهم إلى أن ترجع إليهم فتدارك الأمر برأيك قال فما خطبك يا سامري ثم أقبل عليه وقال
له منكراً ما خطبك أي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء إذا طلبه قال بصرت بما
لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب أي علمت ما لم يعلموه وفطنت لما لم يفطنوا له وهو أن الرسول
الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيئاً إلا أحياه أو رأيت ما لم تروه وهو أن جبريل جاءك على فرس الحياة
وقيل إنما عرفه لأن أمه ألقته حين ولدته خوفاً من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل فقبضت
قبضة من أثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فأطلق على المقبوض كضرب الأمير وقرئ
بالصاد والأول للأخذ بجميع الكف والثاني للأخذ بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول
جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لأنه لم يعرف أنه جبريل أو أراد أن ينبه على الوقت وهو حين أرسل إليه
ليذهب به إلى الطور فنبذتها في الحلي المذاب أو في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته
لي قال فاذهب فإن لك في الحياة عقوبة على ما فعلت أن تقول لا مساس خوفاً من أن يمسك أحد فتأخذك
الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريداً وحيداً كالوحشي النافر وقرئ لا مساسِ كفجارِ وهو علم
للمسة وإن لك موعداً في الآخرة لن تخلفه لن يخلفك الله وينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير
والبصريان بكسر اللام أي لن تخلف الواعد إياه وسيأتيك لا محالة فحذف المفعول الأول لأن المقصود هو الموعد ويجوز
أن يكون من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً

الخضم الأخذ بجميع الفم والقضم الأخذ بأطراف الأسنان

ظلت على عبادته مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه
اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه
ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء
والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق للعبادة
الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع
علمه كل ما يصح ان يعلم وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في
المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص
يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة
تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من
لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم
وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه
السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيامة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه
سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما
عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم
القيامة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام
لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد
مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء
المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع
صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا
بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق
ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزرق
يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت
واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة
الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار
واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم
اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم
ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها
كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة
الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كأن اجزاءها على صف
واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوّا ان تأملت فيها بالقياس الهندسي وثلاثتها
احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص

المعاني والامت هو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت
على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يتبعون الداعي داعي الله الى
المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج
له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا
خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا
تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الا استثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او من
اعم المفاعيل اي الا من اذن ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية
وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن ومن الاذن ورضي له قولا اي ورضي
لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله وفي شأنه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال
وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل
الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه
للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي
العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما
وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات
وهو مؤمن اذ الايمان شرط صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد
ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف
على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد
انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد
لعلهم يتقون المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم
عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة
المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى
وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى
يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وقل
رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا
الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب
قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان
وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او
ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة
وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق
شريها وأريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى

فلم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطأ ولم يتعمده ولم يجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما
مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه لم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس
قد سبق القول فيه او جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول
مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان معناه اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو
لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما
من الجنة فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام
شقاوته شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش
وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان
وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا
عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعراض عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف
الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق
فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا آدم
هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه
سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه
باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المامور به او عن
الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان
والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل
على التوبة والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع
فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها
جميعا الخطاب لآدم وحوا او له ولابليس ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض
عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب ولاختلاف حال كل من النوعين بواسطة الا
ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في
الآخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره
تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف
المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة
والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم
في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة
لانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا

وقرأ نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها

وقرأهما حمزة والكسائي بالامالة لان الالف منقلبة عن الياء وفرق ابو عمرو بان الاولى راس الآية ومحل الوقف فهو
جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت
عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك
نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها
ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي والنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش
او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها
افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة
بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم
يشاهدون آثار هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل و
التعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل
ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز
خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة
او بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه
على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له فاصبر على ما يقولون وسبح
بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون
اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني
الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر وحده ومن آناء الليل ومن
ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه
لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة
فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلوتي
الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور
الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه
باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح
في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول
اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان
يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الى
الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه
متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه
او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهر او جمع زاهر وصفا
لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم
فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى و

والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل بيته
او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا
بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق
نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي
التقوى روي انه صلى الله عليه وسلم اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا
باية من ربه باية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات
او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها
لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم
اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه
اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر
الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي
لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من
الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف ولو
انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او لان
المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي
في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقرئ على البناء للمفعول قل كل اي كل واحد منا ومنكم
متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن
اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية
موصولة بخلاف الاول لعدم العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان
العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وعنه عليه الصلوة
والسلام من قرا طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبيا عليهم الصلوة والسلام

مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم
بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما
البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس
ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة
معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف
حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة
لذكر او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل
الا استمعوه وهم يلعبون يستهزءون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن

النظر

الجزء السابع عشر

النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين
بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئ بالرفع على انه خبر
آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها وجعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل
من واو اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة
خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم
هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او
مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول
لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا
به تشاورا واستنباطا لما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض
جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى في المبالغة وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن
الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل
افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم
الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم
في شان الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة
لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه
ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله
تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم
ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع
والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة
وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا باية
كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من
اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه
تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتي به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال
كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم
هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة
والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم ويثقون
بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم
جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل
تحقيقا لانهم كانوا ابشارا امثالهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين

تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة
الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تاويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون
ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء
واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه
حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين
في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم لقوله وانه لذكر لك
ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون
وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت
ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشانا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين
مكانهم فلما احسوا باسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف
اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم
لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك
او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم
التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون
للسؤال او للتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما راوا العذاب ولم يروا وجه
النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم
بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت
تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل
تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد
وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول
الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له
او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب
البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش
والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا
ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا
من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية
الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين
ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل
اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد
على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم
لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله

به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه
مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز
ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة
وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند
الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه والمراد به نوع من الملائكة
متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدا خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون
ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها
حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون
حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا بل اتخذوا آلهة والهمزة لانكار
اتخاذهم من الارض صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص
هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على
جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة في ذلك بزيادة الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم
لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته
على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني
بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب
لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدرة
وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ
المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه و
تفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او
للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم
او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة
ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر
باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا قل هاتوا
برهانكم على ذلك اما من العقل او النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج
على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها
الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحة بعثة الرسل وانزال الكتب صح
من معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن
الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما بل اكثرهم لا يعلمون الحق لا يميزون بينه وبين الباطل
وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتاكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد
واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب

الثلثة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عنه بل عباد
بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم
وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله
لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق
المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير
الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم
يامرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد
لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى
ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته من عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية
خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع الاعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه
اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي
الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرا ابن كثير بغير واو ان السموات
والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة
متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت
افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات واقاليم وقيل كانتا
بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد
بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الافاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار
والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء
او بوسط واستفسارا من العلماء ومطالعة من الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات
وجماعة الارض وقرئ رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء
كل حيوان لقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه وانتفاعه به
بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف
لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الايات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من
رسى اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن
الالتباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له
ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة
مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته
او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيته او استراق السمع بالشهب وهم عن اياتها عن احوالها
الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة
والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الايات كل في فلك

الكل

اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون
يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها
لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وانما جعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره
بعدما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم
ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه واليناترجعون فنجازيكم
حسبما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب
تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا به ويقولون اهذا
الذي يذكر الهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد
او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقران هم كافرون منكرون فهم احق بان يهزا
بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق
منه لفرط استعجاله وقلة تانيه كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه
ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انه نزلت في النضر بن الحارث
حين استعجل سأريكم اياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الاخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان
بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب
او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي
يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على
دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان
لهم علم لما استعجلوا بعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على
ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجاة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين
فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون
ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ولا هم
ينظرون ولا يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعده بان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق
بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار
من الرحمن من باسه ان اراد بكم وفي لفظة الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه
بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا كلئوا
منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل الهم الهة تمنعهم من
العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضراب عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه

عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا
يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر
غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم
وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو
انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طال اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه
ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من
اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول
الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحى الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع
على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم
للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد
به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات
ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والتاء الدال على المرة
من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل
واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل يوزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين
تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف
به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر
فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل
او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناه وقرئ آتينا بمعنى جازينا
بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء واثبنا
من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا
مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب
الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ
به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء
بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع
بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصدير الضمير وبناء
الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون
استفهام توبيخ ولقد آتينا ابرهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه
رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون او محمد وقيل
من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع
لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات
اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه

التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا تضر
ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز
ان يأول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم
الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين
منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز
لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل آباءهم
ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا اجاد تقوله ام تلعب به قال بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او
للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين
المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل
والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما
في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا مدبرين الى عيدكم ولعله قال
ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر
وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالضم وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم
للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون
الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او انهم يرجعون الى الكبير
فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون
الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته
على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى
يذكرهم يعيبهم لعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة
الذكر اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فأتوا به على اعين الناس
بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا
له قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته
اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته
بخط رشيق انت كتبت هذا فقلت بل انت كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى
متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ
وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لابرهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت
صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون
بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم
انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا

على اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكَسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها
وهو على ارادة القول قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد
اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية أف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر
منهم على اصرارهم بالباطل البين وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له
أفلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذوا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب
به وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد
فارس اسمه هينون خسفت به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام
اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطاعة واقامة كوني ذات
برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا
سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها
فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة
قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك
فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء
طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها
لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا
مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على
الباطل وابرهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت
في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب
الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فيختص بيعقوب
ولا بأس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه
فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم
حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم
واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف
اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما
او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت حكمة
تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه
ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا
او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه

بالهلاك من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او
اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك
في الشر ولعلهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين
لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها
روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا
ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث
الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا و
الاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي رحمهما الله بغرم الحيلولة
للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي رحمه الله وجوب ضمان المتلف بالليل
اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته
فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة رحمه الله
لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه الصلوة والسلام جرح العجماء جبار وكلا آتينا حكما
وعلما دليل على ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم
قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في
صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله تعالى معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل
له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير ومع
متعلقة به او بيسبحن والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والعطف
على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم وعلمناه
صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح
فحلقها وسردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة
الجار والضمير لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع
وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة
الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه
عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه الريح عاصفة
شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها
شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته
تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها
الشام رواحا بعد ما سار به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة
ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسه ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره

ما قيل وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال آخر كبناء المدن والقصور
واختراع الصنائع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا
عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر باني مسني الضر وقرئ بالكسر
على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال
وانت ارحم الراحمين وصف ربه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك
عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر اهله
وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة
او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وروي ان امراته ماخير بنت ميشا
بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء
فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان
او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره
من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان
ولا ننساهم واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا
حظ من الله او تكفل امته او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة
والضعف كل من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوب وادخلناهم في رحمتنا
يعني النبوة او نعمة الآخرة انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم
عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم بطول
دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم
لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة
او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه
لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه
قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او
خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمي ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرا يعقوب على البناء للمفعول
وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر
والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لنفسي
بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له
فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه
وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها
بالاخلاص وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهو ان
كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي

فانها تخفى مع حروف الفم وقرا ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية صح صح

الى اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول
اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي
لا يسكن آخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين
فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها
للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء
انهم كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون الى ابواب الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب
او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا
خاشعين مخبتين او دائبين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت
فرجها من الحرام والحلال يعني مريم فنفخنا فيها اي عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا
النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبريل وجعلناها وابنها
اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع
تعالى ان هذه امتكم ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها امة واحدة
غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل
وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا
امرهم بينهم صرف الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة
بتقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو
مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه
ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما وحرام
على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي حرم بكسر الحاء وسكون
الراء وقرئ حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة
او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او
دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا يتوبون وحرام
خبر محذوف اي وحرام عليها ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام
عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام
عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها
وهو فتح سد ياجوج وماجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرا ابن
عامر ويعقوب بالتشديد وهم يعني ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض
وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق
وهو القيامة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله
اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا

لم يعلموا انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون
الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روى انه عليه الصلوة والسلام
لما تلا الاية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا و
النصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشيطان
التى امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون
ما ماوة لا بناء وما يعمه ويدل عليه ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من
عبد من دون الله قال عليه الصلوة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين
ما ما للتجوز او التخصيص متاخرعن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه
اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استيناف او
بدل من حصب واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان
هؤلاء الهة ما وردوها لان المواخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها
لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما يعبدون
الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة
اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا عليه السلام خطب وقرا هذه
الاية قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف
وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها وهو بدل من
مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم في
ما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به
لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في
الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم
مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء
مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي
ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا
انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار
لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني
الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدانا اول خلق
نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدا اعادة مثل بداءتنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم
او جمعا من الاجزاء المتفرقة المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء
لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة او

مصدرية

مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده
اي نعيد مثل الذي بداناه واول خلق ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر
بفعله تاكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين
ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود عليه الصلوة والسلام من بعد الذكر اي التورية
وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض
المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها او امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد
لبلاغا لكفاية او لسبب بلاغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل
كونه رحمة للكفار امنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد
اي ما يوحى الي الا انه لا اله الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى
لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي
المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل
آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم
بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي
بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او من الحشر
لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من
الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير جزائكم
استدراج وزيادة في افتتانكم وامتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر
تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب
والتشديد عليهم وقرا حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربي احكم
على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه
المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان
الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله تعالى دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرا عاصم بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه
وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران سورة الحج مكية الا ست ايات من هذان خصمان الى صراط
الحميد وهي ثمان وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك
الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في واضافة المصدر الى الظرف على اجرائه
مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها

شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها
سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل والمقصود الدلالة على ان
هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او
مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كأنهم سكارى وما هم بسكارى
على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من
اريتك قائما او رأيتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده
بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى
اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا
يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة
او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه
تبعه والضمير للشأن فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه
وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين
على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي
اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالحلب
فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب بخلق آدم منه او الاغذية
التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة
ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها
ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا
وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره
اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط
به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر
واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل
جمع شدة كالانعم جمع نعمة كأنها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى
اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والآية
استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة
فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت
رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت
وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها
ولكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة

واحياء

واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق
الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيا النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء
قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض
الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات
الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه
لا سند له من استدلال او وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح
عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن
الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من
الهدى الى الضلال وانه من حيث مؤداه كالغرض له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه
يوم القيامة عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال
له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما
هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين
لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمأن
به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة فكان احدهم
اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت
منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب عن
دينه وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني
فقال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط
عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على
خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما
لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد
مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا
والعذاب في الآخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة
ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى
يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان يدعو تكرير للاول
ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع
له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر
رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن

فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله
الممتلى غضبا او البالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق
يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سما الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه
فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك
سماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل
نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل
ذلك الانزال انزلناه انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان
الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما
دخلت ان على كل واحد طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذلته
على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف
كراهة التضعيف او الجمع بين ساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في
كل واحد من مفهوميه وباعتبار احدهما الى امرهما باعتبار الاخر فان تخصيص الكثير يدل على
خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر
اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير
تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجد بالمعنى العام موصوفا بما بعده
وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح
بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان
ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم
اي في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم
كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بالله وبمحمد وبنبيكم وبما انزل الله
من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم
وهو المعني بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف
ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير في لهم
او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره
في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ
بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما
يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم غم من غمومها بدل من الها باعادة الجار

اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار
فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق
النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها
من حليت المرأة اذا ألبستها الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف
واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤ عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد
السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل
ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ لؤلؤا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب
الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة
على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول
وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه
او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان
الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار
الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل
كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله و
اوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد
اي المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى
الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر دارا للسجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة
مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص
على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه
مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم
بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا
بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم
مكان البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي
واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء وانطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح
ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة
من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وطهر بيتي من الاوثان
والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها
مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ
وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه الصلوة والسلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس

وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وحده

حج اجيبت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النسا فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقيام وقائم وقرى بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرى يأتون صفة الرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج عميق بعيد وقرى معيق يقال بير بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقرا ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بوس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه بذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله اي مائلين من الدين الباطل الى الحق مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره

وقرا ابو بكر بضم الواو وتشديد الفاء صح

اوتهوى

اوتهوى به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها منها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشا التقوى والفجور والامرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي رفع اليه الاعمال او يكون فيها ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله وقرا حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرى والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقرى به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلوة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدا من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرى صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى

تقوى

يديها فيقوم على ثلث وصوافنا بابدال التنوين حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص
لوجه الله وصواف على لغة من يسكن اليا مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت
جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت
له في السؤال والمعتر المتعرض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه
كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تاخذونها
منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون
انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع
القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن
يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله
والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة
بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له
بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل
هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب
بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين
المخلصين فيما ياتونه ويذرونه ان الله يدافع عن الذين امنوا غائلة المشركين وقرا نافع وابن
عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان في امانة
الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص
وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والماذون
فيه محذوف لدلالته عليه وقرا نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا
بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين
مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي
اول اية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما
وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا
ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت
باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرا نافع دفاع وقرا نافع لهدمت بالتخفيف صوامع اي صوامع الرهبانية
وبيع بيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا
بالعبرية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او المساجد خصت
بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار
على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا

يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك
في غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية
له عليه الصلوة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا
رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه
وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم
حتى انصرمت اجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة
هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرا البصريان بغير لفظ التعظيم
وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها
فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها
وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على
عروشها اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة
على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كاين
بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اي
وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله
وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها
خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر على سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف
على قلة كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما
افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان
كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد
بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من
الوحي والتذكير بحال من شاهدوا اثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى
راجع اليها والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار
اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور
للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما
نزل ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة
اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره
فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه

وطول ايامه حقيقة او مجاز لان ايام الشدائد مستطالة وكاين من قرية اى وكم من اهل
قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة
فى التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان
نكير وهذه فى حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تأخره
لعادته تعالى امليت لها كما امهلتكم وهى ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والى المصير والى حكمى
مرجع الخلق قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار
مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنون وثوابهم
زيادة فى غيظهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هى الجنة
والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا فى اياتنا بالرد والابطال معاجزين
مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه
فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو
معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبى الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبى
يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما
الصلوة والسلام ولذلك شبه النبى صلى الله عليه وسلم علماء امته بهم فالنبى اعم من الرسول
ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل
فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا
عليه والنبى غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحى والنبى يقال له
ولمن يوحى اليه فى المنام الا اذا تمنى اذا زور فى نفسه ما يهواه القى الشيطان فى امنيته
فى تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلوة والسلام وانه ليغان على قلبى فاستغفر
الله فى اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقى الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون
اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى امر الاخرة
والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل
تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت
عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق
لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى
شايعوه بالسجود لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه
جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت
على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود
الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن

السامعون انه من قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا
يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على
الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقى الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وهو يدل على
ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين فى قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية
قلوبهم المشركين وان الظالمين يعنى الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفى
شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان
القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله
لانه مما جرت به عادته فى جنس الانس من لدن آدم فيؤمنوا به بالقرآن او بالله فتخبت له
قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادى الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم
هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا فى مرية شك منه من القرآن او الرسول
او مما القى الشيطان فى امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها حتى تأتيهم الساعة القيامة
او الموت او اشراطها بغتة فجأة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر
سمى به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا
صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما
لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد
بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ التنوين فيه ينوب عن
الجملة التى دلت عليه الغاية اى ضميرها لله يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين و
الكافرين لتفصيله بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا و
كذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء فى خبر الثانى دون الاول تنبيه على ان
اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك
قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا فى الجهاد او
ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل فى الجهاد ومن مات
حتف انفه فى الوعد لاستوائهما فى القصد واصل العمل روى ان بعض الصحابة قالوا يا نبى
الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا
ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو
الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل فى العقوبة ذلك الامر
ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد فى الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو
الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغى عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة
ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه فى الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال
قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف

بالعفو القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء
المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل
ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع
قول المعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو
الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان
يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا
من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر
بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الالهة
هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء الكبير
عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء
استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل
على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة
الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما
جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله
لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم
ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على
الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع بان
خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد
لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط
قبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم
ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا
ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها
لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه
فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد
او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى
قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم
كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة
قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول
والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده
وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة

والمعاقب

فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم
بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج
والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه
شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له
ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق
بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته
وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين وما للذين ارتكبوا
مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع عذابهم واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات
واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار
بذلك وضع الموصول موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوتكم
عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز
ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا
من شر فتكون الجملة استينافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب
مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق
العبادة فاستمعوا له للمثل او لشأنه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله
يعني الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين
لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما
بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له
وجوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين
عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية
التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل
هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا
تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه
من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب
من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب
عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه
ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق
قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة
ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء وآلهتهم التي تدعونها عاجزة عن

الوثبة
الطفرة

كالاحجار المنحوتة اوثانا

اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا متوسطون بينه وبين الانبياء
بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته
في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل
باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات
لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور والله مرجع الامور كلها لانه مالكها
بالذات لا يسال عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسالون يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
في صلاتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما
لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به
وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة
الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير
متيقنين له واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله
عليه الصلوة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا في الله
اي لله ومن اجله اعداء الله الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه صلى الله عليه وسلم
انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه
حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد
الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم
لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج
اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة
في اغفال بعض ما امرهم به من حيث شق عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضائق وفتح عليهم باب التوبة وشرع
لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم منتصبة على المصدر
لفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على
الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب
لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على
غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القران والضمير
لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القران وان لم تكن منه كان بسبب تسميته
من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم
مسلمين ليكون الرسول يوم القيامة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته
لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس

250

بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا
الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه
هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا
مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة
حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي سورة المؤمنين مكية وهي
مائة وتسع عشرة اية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم
وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان
المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء
حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء
بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلاتهم خاشعون خائفون من الله متذللون
له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه الصلوة والسلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت
رمى ببصره نحو مسجده وانه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه والذين هم
عن اللغو معرضون لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة
اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك
ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب
المروة اجتنابه والذين هم للزكوة فاعلون والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي
هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما
ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي او حال اي
حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج والتسري او لفعل دل عليه غير ملومين وانما قال
ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين
هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين
الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم
غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان
والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق
راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرا ابن كثير لامانتهم على الافراد لامن الالباس او
لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها
ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك
تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصديره ووصل ختمها
بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا
وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها

تفنيها ولا تأكلها وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه
وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة
ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة ومن بيانية
او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت
من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم
لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها
او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر
حصين يعني الرحم وهي في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا
النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة
لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا
عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة
وقرا ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ثم انشاناه
خلقا آخر وهو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت
واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق
آخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة
الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي
للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيامة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد
خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه
مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق
الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال
وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية و
انزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه
فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او
التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى
كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا
فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه
كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون
معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتهما
انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة
عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى عليه السلام

السلالة ما استل من جميع الارض كذا

الطرائق جمع طريقة سميت بذلك لتطارق بعضها فوق بعض كذا

والسلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور
للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف
والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة
او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف
سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال
اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا
له ويجوز ان تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرا ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب في رواية تُنبِت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رايت ذوي الحاجات
عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن
وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت
بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر
اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي
يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها
وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن
للتبعيض او للابتداء وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نَسقيكم بفتح النون ولكم فيها منافع
كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام
فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب
للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه
كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة
وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استيناف لتعليل الامر بالعبادة وقرا الكسائي غيره بالجر
على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة
غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما
هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان
يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا
انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او بمثل دعوى النبوة وذلك اما من فرط
عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك
فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم رب
انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك
مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور

الطور الجبل وسينا وسينين اسم البقعة اي الجبل الحسن او المبارك الملتف بالاشجار كذا

ديماس بيت كان لبعض ملوك العراق

روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب
ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه
اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلكه غيره قال الله تعالى ما سلككم في سقر
من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين
اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه
القول منهم اي القول من الله بهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان
نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء
انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف
وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد
لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب
انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرأ ابو بكر منزلا
بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه
وتوسلا الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان استوى هو ومن معه اظهارا لفضله
واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات
يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم
او ممتحنين عبادنا بهذه الآية وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين
هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال
ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم فانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال
الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث
استؤنف به فعلى تقدير السؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحياة
الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر
مثلكم في الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى
الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم
انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذن جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم
تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ
خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم
اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه
جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في
هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات

بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل و
بالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا
حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن
التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هي
التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا
ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من رسالته
له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون
بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين
على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها
قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله
كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله
كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا
مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه
بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط و
شعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون
الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتراث و
تجاه والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو وابن كثير بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع
حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان
الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم
احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا
لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة
واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى
كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وحراستها
ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد
بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان
والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله
بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص
كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة
وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة
الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة
اغبياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدركه غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه

عليهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل لنا
عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب
التورية لعلهم يهتدون لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم
يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر
واحد نضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت
من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة
او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ
رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها
يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد
في الشيء ومنه الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول لانه اذا ادرك بعينه لظهوره مدرك
بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة
مختلفة بل على ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام
ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم
واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة
ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات
وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك
النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه
وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون
وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في
العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب
امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم
وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل
عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة
وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من
زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل
في رسل كل حزب من المتحزبين بالدين بما لديهم فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق
فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها
وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به بان ما نعطيهم ونجعله
مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليهم اعتقادهم
ان ذلك خير لهم نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع

به لهم

به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا
ان ذلك الامداد استدراج لهم لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع
ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف
عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه
من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة
ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه
وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة
فيبادرونها او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة
اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها
سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعات او الثواب
او الجنة او سابقون اياها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم
لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به
الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق
بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او
نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف
به هؤلاء او كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به
او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا
مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا
حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجأرون فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة
وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم
فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا
فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي تتلى
عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل
بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للتكذيب او للبيت وشهرة استكبارهم
وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين
لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي
يسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ
سمرا وسمارا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون
عن القرآن او تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر

اي يفحشون في الكلام

ودى تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اى القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح
مدلوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا
كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا
رسولهم بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء
فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشىء قطعا او ظنا
انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد
ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم
بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم
بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته
لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان فى الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والارض
ومن فيهن كما سبق تقريره فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم
وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالهية ولم يقدر ان يمسك السموات
والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم
او وصيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم
معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة
فخراج ربك رزقه فى الدنيا او ثوابه فى العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم
والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه
اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرا ابن عامر خرجا فخرج
وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم
انه سبحانه الزمهم الحجج وازاح العلل فى هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار و
الاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
عن الصراط عن الصراط السوى لناكبون لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث
على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعنى القحط للجوا لثبتوا
واللجاج التمادى فى الشىء فى طغيانهم افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين
يعمهون عن الهدى روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعنى القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون
او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا

العلهز طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير سنى المجاعة صحاح

فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعنى الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون
متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذى انشا لكم السمع والابصار
لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية
قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها
والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذى ذراكم فى الارض خلقكم
وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذى يحيى ويميت
وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون رد النسبة
الى الشمس حقيقة او مجازا او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الآخر
افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث
من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اى كفار مكة مثل
ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
استبعادا ولم يتاملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا
هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التى كتبوها جمع اسطورة لانه
يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا
لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم
بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اى بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض
ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون من اعادته وقرئ تذكرون
على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون
لله قرا ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما تقتضيه لفظ قل افلا تتقون عقابه
فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل
شىء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه
ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمن معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة
بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك
ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه
فى الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم
وجزاء شرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب
كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب
والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شىء واللازم باطل بالاجماع

والاستيلاء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان الله عما يصفون من الولد
والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن
كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل اخر على نفي الشريك بناء على
توافقهم في انه المتفرد بذلك ولذلك رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان
كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتأكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والاخرة
رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم
الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن
الحسن ان الله تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء و
تكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك
ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم
وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو
قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها
لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو
الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل
نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا
امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض
شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس
او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون ويحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص
حال الصلوة وقراءة القران وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم
الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله
عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة
لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني
كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل
فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى
الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا
ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره والكلمة الطائفة من
الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم
والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط كلي عن
الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الاخرة
فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة
فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر

355

المرء من اخيه وامه وابيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا
لاشتغاله بنفسه وهو لا ينافي قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة
او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له
عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات
ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها
لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها
واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين
عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم
بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا
ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة
وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب
فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب
اذا زجرته فخسأ فيها ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون
الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون
ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون
الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا ربنا اخرنا الى اجل قريب فيجابون
اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها
ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي
يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرأ نافع وحمزة والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما
مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم
من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء
بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم
انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ
حمزة والكسائي بالكسر استئنافا قال اي الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء وامواتا
في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة
الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية
والمنقضي في حكم المعدوم فاسأل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها
فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار

الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين
اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم
تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين
او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على
البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء
وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض
من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام
وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكريم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ
بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة
اخرى لالها لازمة لها فان الباطل لا برهان به جيء بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين
بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه
عند ربه فهو مجازاة مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر
اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر
رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك
الموت وعنه انه قال صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة
ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات
من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح والله اعلم سورة النور مدنية وهي اثنتان او اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك
سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك
او نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او
المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون
فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز
ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام
بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان
بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته
تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن
هو الرجم وزاد الشافعي رضي الله عنه عليه تغريب الحر سنة لقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة
وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا وله في
العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت
الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه الصلوة والسلام اليهوديين ولا يعارضه من

اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة في دين
الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة
بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه
وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح
قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شي في الاطراف
واقلها ثلثة وقيل واحد واثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في
نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة
سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك
لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما
هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك
قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة
والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل
النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ
بقوله وانكحوا الايامى منكم الآية فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم
سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح
الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنى الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد
والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن
عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن
والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين
الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع
ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة
وليكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا
لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك
على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما
جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده
ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى آخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا
الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد
او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور

ولا يلزم سقوط الحد به كما قيل لأن من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل إلى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل إلى الأخيرة ومحله النصب لأنه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فإن الله غفور رحيم علة للاستثناء

والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم نزلت في هلال بن أمية رأى رجلا على فراشه وأنفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على أن إلا بمعنى غير فشهادة أحدهم أربع شهادات فالواجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة أحدهم وأربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لأنها أقرب وقيل بشهادة لتقدمها إنه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنه باللام تأكيدا والخامسة والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ وحرمتها مؤبدا عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولد إن تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله ويدرأ عنها العذاب أي الحد أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر أو بالعطف على أن تشهد ونصبها حفص عطفا على أربع وقرأ نافع. الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم أي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة إن الذين جاءوا بالإفك بأبلغ ما يكون من الكذب من الإفك وهو الصرف لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها وذلك أنه صلى الله عليه وسلم استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثم أحدا فجلست كي يرجع إليها منشد وكان صفوان ابن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر إن وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستأنف للرسول عليه الصلاة والسلام وأبي بكر وعائشة وصفوان والهاء للإفك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرأ يعقوب بالضم

وهو

وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو هو وحسان ابن ثابت ومسطح فإنهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعمى أشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعارا بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم وإنما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لأنه منزل منزلته من حيث إنه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لأن ذكر الظرف أهم فإن التحضيض على أن لا يخلوا بأوله وقالوا هذا إفك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فإن ما لا حجة عليه مكذب عند الله أي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما أفضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد إذ ظرف لمسكم أو أفضتم تلقونه بألسنتكم معناه يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الأصل وتلقونه من لقيه وتلقونه من ألقاه إذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من ألقاه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته إذا طلبته فوجدته وتقفونه أي تتبعونه وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي وتقولون كلاما مختصا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب لأنه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مرتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الإفك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ما ينبغي وما يصح لنا سبحانك هذا يجوز أن تكون الإشارة إلى القول المخصوص وأن تكون إلى نوعه فإن قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهتان عظيم تعجب ممن يقول ذلك وأصله أن يذكر عند كل متعجب منه تنزيها لله تعالى من أن يعجب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب أو تنزيه لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها تنفر عنه ويخل بمقصود البعثة والزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله يعظكم الله لعظمة المبهوت عليه فإن حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها أن تعودوا لمثله كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا أبدا ما دمتم أحياء مكلفين إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا والله عليم

بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ان الذين يحبون يريدون
ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى
غير ذلك والله يعلم ما في الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه
يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله يزكي
من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالتهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من
الألية او ولا يقصر من الألو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق
على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم في الدين
والسعة في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ
بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد
اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل
المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم
واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه صلى الله عليه وسلم
قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات
مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك قال
ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة يوم
تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء
للتقدم والفصل ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها
بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل العذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم
الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر
الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق المبين اي
العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين
والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبائث يتزوجن
الخباث وبالعكس وكذلك الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك يعني اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
او الرسول وعائشة وصفوان مبرؤون مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه
وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين
اي مبرؤون مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤون من ان يقولوا مثل قولهم لهم
مغفرة ورزق كريم يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه الصلوة والسلام
بشاهد من اهلها وموسى عليه الصلوة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه
ومريم عليها الصلوة والسلام بانطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها بهذه الآيات مع هذه
المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول عليه الصلوة والسلام واعلاء منزلته يا ايها الذين

ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وان الله رؤوف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه لذكره مرة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع

... لعنوا في الدنيا والآخرة لما طعنوا فيهن ... ولهم عذاب عظيم ...

آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستانسوا
تستاذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من انس الشي اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال
مستكشف انه هل يراد دخوله او يوذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش
فان المستاذن مستوحش خائف ان لا يوذن له فاذا اذن استانس او تتعرفوا هل ثمة انسان
من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم اادخل وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم
ان تقول السلام اادخل ثلث مرات فاذا اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستيذان
والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية فان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته
قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل وربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال
للنبي صلى الله عليه وسلم أأستاذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري أأستاذن عليها كلما دخلت
قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم
او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم
فلا تدخلوها حتى يوذن لكم حتى ياتي من ياذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات
فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما
اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو
ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروة
او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تاتون وما تذرون مما خوطبتم فيجازيكم عليه
ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع
استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم
السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او
تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد
الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج هنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم او اطهر لما
فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال
سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر او
التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ
فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم
فان في سترها حرج وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا
في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شي منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل
الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن وقرا نافع وعاصم وابو عمرو بضم الجيم ولا يبدين

الدخول بلا اذن

النظر

زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة
ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء
بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى
مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا
منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان ولان
الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات
لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن
يعم الاماء والعبيد لما روي انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب
اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال صلى الله عليه وسلم
انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المراة كالاجنبي
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم و
الممسوحون وفي المجبوب خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم
ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرا ابن عامر وابو بكر بالنصب على الحال او الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء لعدم تميزهم من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع
الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها
فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة
وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من
تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان
جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة
الدارين وقرا ابن عامر ايه المؤمنون وفي الزخرف يا ايه الساحر وفي الرحمن ايه الثقلان
بالضم في الثلاثة والباقون بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائي عليهن بالالف ووقف
الباقون بغير الالف وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى
يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية
الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء
والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان
المراة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب
ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان
تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام
بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من
فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في
فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم

بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور

اطلبوا

شرط المشية

اطلبوا الغنى في هذه الاية لكن بشريطة المشية لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء
والله واسع ذو سعة لا ينفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف
وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او
بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة
وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال
او لانه مما يكتب لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت
ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدا خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن
معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب وحجة
الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء يمنع صحتها
كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله
مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط للامر فلا يلزم من عدمه
عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه
حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس
الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين و
اعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء على الزنا كانت
لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ان اردن تحصنا تعففا وتعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من
عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن
من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم
ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك
حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الآيات التي بينت في
هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص في الموضعين
هنا وفي الطلاق بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها
بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل
قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله عنها فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في
تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة
صفاته الله نور السموات والارض النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها
سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا
المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز بمعنى منور

السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء
او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان النور
ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود بذاته
موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف
وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها
فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك
سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله عنهما معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون
واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالها على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات
البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول عليهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره
سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة الغير
النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح
الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري مضيء متلألئ
كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه
بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي
دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا توقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة
الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة
عنها تفخيم لشانها وقرا نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع
زائدتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول
النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق
المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها
دائما فتحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا
خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط
وبيصه نور على نور نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل و
ضبط المشكوة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات
البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام
الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكوة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه
بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة المنبث فيها من مصباحها
ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة
التي منوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ
صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة

وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار
الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة
كالمشكوة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات
والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل
عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة
المباركة لتاديتها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية
ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة
من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر
ولا تعلم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها
كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات
فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة
وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو
لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث
تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره
لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال
للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا
ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي
كمشكوة في بعض بيوت او توقد في بعض بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان
قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت
وحدة المشكوة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح
وفيها تكرير مؤكد لا بيذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد
بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء
او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه
يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو
مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول
في الاصيل وقرا ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما دل
عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم
معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة
او بافراد ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى
فانه اصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار

المساجد الثلث المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجد النبي عليه السلام

وأقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا
وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم من الذكر والطاعة
تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن
تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من
اي ناحية تؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا
احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم
ولم تخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة
ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم
على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في
العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء
يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات
كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة
الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه
ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة والله
سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد
في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان
اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من
لج البحر والامواج والسحاب باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الاخرة
في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج
مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة
اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى
وباضافة السحاب اليها برواية البزي اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى لم يكد يراها لم يقرب
ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن
لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر
الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال ان الله يسبح له من
في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض من تغليب العقلاء
او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع
الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به
تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال
قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اي قد علم الله

او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم صح صح

دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة
على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء
وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء ولله ملك
السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث
انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا
يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم
بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه
على بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله
وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها
او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد
بردا ويجوز ان يكون من الثانية والثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها
جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت
ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد
البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد
يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة
الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب
به من يشاء ويصرفه عمن يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام
الدال في السين وبرقه بضم الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار
بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد
وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر
او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار
لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة وما
يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة
بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات
ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما
سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من
يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت
على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بمن ليوافق التفصيل الجملة والترتيب
لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف
الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى
مشيته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل

والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل
الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا
فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا عليه السلام
في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واطعنا اي واطعناهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول
حكمه فريق منهم من بعد ذلك من بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون
اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم يؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان لتوليهم
والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان او الثابتون
عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو
اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجأ
فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن
لهم الحق اي الحكم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم واليه صلة ليأتوا او لمذعنين
وتقديمه للاختصاص أفي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزالت
ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون
اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في
الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته
يمنعهما فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم
سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا
سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد
انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل
الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه او في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب
ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر والباقون بصلتها وحفص
بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد
ايمانهم انكارا للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا
على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة
النفاقية المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير
بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على
الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال
وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به
وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
خطاب الرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض
تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه

والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق

منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة
وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت
وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف امنا منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح و
يمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل
على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود و
الموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الذين
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون
بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد
الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل
هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول في
سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكريرا
للامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله
لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض لا تحسبن يا محمد
الكفار معجزين عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين ولا يحسبن الكفار في الارض احدا يعجز
الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه او لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين
لشيء واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات
ومأواهم النار عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النار لان المقصود
من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا
ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة
على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به
خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت مرثد دخل عليها في وقت كرهته
فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو
عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا
وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد
وقد انزلت عليه هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم من الاحرار
فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلاث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر
لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات
او الرفع خبرا لمحذوف اي هي من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة
للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس
والالتحاف باللحاف ثلاث عورات لكم اي هي ثلاث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ

فاذا ابتدأ بضم الالف والباقون بفتحها واذا ابتدؤا كسروا الالف

وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد عليه السلام والمعنى كما هو القراءة بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى

وغيره وما بعده واصل العورات الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان
وليس فيه ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار
البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان
وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وغيرها
بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله لكم الايات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم
الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل
به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما
للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في الامر
بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا
لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء
فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما
امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم
سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله
لا يغيب منه شيء الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير
لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من
استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفاتح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو
وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت اباءهم او
اولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وانما يكون اذا علم رضا صاحب البيت
باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى
طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلايم ما قبله ولا ما بعده ولا على انفسكم ان
تاكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد
كبيته لقوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده
من كسبه او بيوت اباءكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم
من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ
مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد
والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء
فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفي به على ان لا قطع

بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني
ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم
ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام في القزازة والنهمة فاذا دخلتم
بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله
ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب الحيوة وهي من عنده و
انتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها ترجى بها زيادة الخير والثواب طيبة
يطيب بها نفس المستمع وعن انس انه صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك
يبين الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين
بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور
انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا
معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة
وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله فياذن لهم واعتباره في
كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل
والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك
اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استاذنوك
لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت
منهم تفويض للامر الى راي الرسول صلى الله عليه وسلم واستدل به على ان بعض الاحكام
مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى فاذن
لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور
لانه تقديم لامر الدنيا على امر الاخرة ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا
في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة
والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع
الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير
والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا فان
دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان
دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل
تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه
كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك

متقضاه ويذهبون سمتاً خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الاعراض او يصدون عن امره
دون المومنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف
والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة
محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل
على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط
بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما
انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد
ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا
بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل
شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد كل مومن ومومنة فيما مضى وفيما بقي سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده
تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان
البركة تتضمن معنى الزيادة وترتبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على
تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف
فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القران
لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض
في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كقوله تعالى لقد انزلنا
اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين نذيرا
للجن والانس منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة
دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح
مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت
له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء
احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقة الانسان من مواد مخصوصة وصور
واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهياه واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال
المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى
وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا
من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون
لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة
احد ولا احياءه اولا ولا بعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها

لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبر صح

واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين
كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتريه اختلقه واعانه عليه قوم آخرون
اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس
وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاءو ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود
وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا
اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه واستكتبها وقرئ على البناء
للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب
ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي
لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه
اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكتومة لا يعلمها
الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم
على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا
الرسول ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه
فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن
عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى انما انا بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق
الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة ياكل منها
هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير
فيتعيشون بريعه وقرا حمزة والكسائي بالنون والضمير للكافرين وقال الظالمون وضع الظالمين
موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر
فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرية اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك
الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي
والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او
الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى
الاخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف
على محل الجزاء وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم
والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا
بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم
على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك ولذلك كذبوك لا
لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك
في الاخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة

الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله
عليه الصلوة والسلام لا تتراءى ناراهما اي لا يتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز
والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها
تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من
جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة
فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها
مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع
الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض
وقرأ ابن كثير بسكون الياء مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك
في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا
حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة
كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد
التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع
مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف كانت لهم في علم الله او اللوح او لان
ما وعد الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها
جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر
والتكذيب لانهم في سياقهم لهم فيها ما يشاؤن من النعيم ولعله تقصر همم كل
طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان
كل المرادات لا يحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا
الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او
مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك والملائكة بقولهم ربنا وادخلهم
جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى
الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ
بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه
واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف
كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص بالملائكة
وعزير والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او يتكلم بلسان الحال
كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر
بالنون أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم
عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اأضللتم ام ضلوا فغير النظم

واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا

ليكون حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه
العتاب وحذف صلة ضل لانه الاصل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء
معصومون او جمادات لا تقدر على شيء واشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف
يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله من الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك
من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ
نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا
ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي ولكن متعتهم و
آباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عنه او تركوا التذكر
لالائك والتدبر في آياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد
له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا
في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع
بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول
والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء
بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان
ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا
للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا يعينكم عليه ومن يظلم
منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في
اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو
عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا
له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم
ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم
ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما
قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر أتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا
به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون لا يأملون
لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول
الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية
على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبروننا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا
او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى ارادوا لها

ما تنقح للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو اعظم من ذلك
وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا في اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة
فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام
جواب قسم محذوف وفي الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم
كقوله وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة
الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون
البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او
لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم
من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين نفي البشرى بالعفو والشفاعة
في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على اجرامهم واشعارا بما هو المانع للبشرى
والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقولون الكفرة حينئذ هذه
الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو
او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله
الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر
ناصبه ووصفه بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم
واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم
بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا
والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوى من الهبوة وهي الغبار ومنثورا
صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث
لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث
انه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا
يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج
والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة
وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من المحاسن ويحتمل ان يراد باحدهما
المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة والتفضيل
اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في
نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق
فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام
المذكور في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك
الغمام بصحائف اعمال العباد وقرا ابن كثير وننزل ... وقرئ ونزلت وانزل ... ونزل الملائكة بحذف النون

الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او
تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين
عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان
ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي
معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى ينطق
بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان ياكل
طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ قفاه
وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا القاك
خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا عليه السلام بقتله وقيل طعنه ابيا
باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا
الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة يا ويلتا وقرئ بالياء
على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضلني وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية
عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة
الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على
مخالته ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم او كل من تشيطن من جن او انس للانسان خذولا
يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
يومئذ او في الدنيا بثا الى الله تعالى يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا
عنه وعنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم
القيامة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه
اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى
الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو
يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القرآن اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب
الثلثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق
فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا ليتقوى بتفريقه فؤادك
على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام حيث كان عليه الصلاة
والسلام اميا وكانوا عليهم الصلاة والسلام يكتبون فلو القي اليه جملة لتعيى بحفظه ولعله لم يستتب له فان
التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى
ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل
عليه الصلاة والسلام حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام

القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة
الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا انزل عليه القران جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام
الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق
بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقراناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين
سنة او ثلث وعشرين واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا ياتونك بمثل سؤال عجيب
كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن
تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا ياتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت
هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال بالحق لك في حكمتنا وبما هو احسن كشفا لما بعثت به
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اى مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم
بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة
اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع
او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم
على طريقة قوله هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم
على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل وقيل
انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي
للمبالغة ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء
الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا بايتنا يعني فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم
فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرى فدمرتهم فدمرا انهم فدمرانهم على التاكيد
بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب
واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم
اغراقهم او قصتهم للناس اية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص
فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمود عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين
لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرا حمزة وحفص وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم
كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهي البئر
الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج كان فيها بقايا ثمود فبعث
اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم
اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه الصلوة والسلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها
من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض
على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها

التفلج هو التباعد بين الاسنان

الصاعقة

الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه في بئر وقرونا
واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى
ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين
انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات
الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ ولقد
اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت مطر السوء يعني سدوم
عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون
فيها من اثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم
ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او لا
يخافونه على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزو او مهزوا به
اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا
في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم
انه بعثه رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء
الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها
واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله يقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون
حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون
الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه
وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به افانت تكون
عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني
للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الايات او الحجج فتهتم بشانهم
وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان
منهم من امن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم
انتفاعهم بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا
من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب
ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب
الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها لم تعتقد باطلا ولم تكتسب
شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس
عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون
اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم
تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو
دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي

فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا لقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا اي ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه الصلوة والسلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير على التوحيد ارادة الجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضا به ويوقد به قال عليه الصلوة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنا وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على

سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف الياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في جمع ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما امطرت سنة من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط او امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيآت بسهولة كقوله وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة فجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع

او اظهار الغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجراً وافياً مرضياً به مقصوراً عليه واشعاراً بان طاعاتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثنا منقطع معناه لكن من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغنا عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنياً عليه باوصاف الكمال طالباً لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيراً مطلعاً فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقاً بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسأل به خبيراً فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالماً يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيراً واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معرباً لم يسمعوه وقرئ بأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفوراً عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجاً يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجاً يعني الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجاً وقرئ سرجاً وهي الشمس والكواكب الكبار وقمراً منيراً مضيئاً بالليل وقرئ وقمراً اي ذا قمر وهي جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكوراً ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هوناً هينين او مشياً هيناً مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا

سلاما تسلماً منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سداداً من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لينسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً في الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً لازماً ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقراً ومقاماً اي بئست مستقراً وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقراً حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ الكوفيون ونافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواماً وسطاً عدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغواً وقيل انه اسم كان لكنه بني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهاراً لكمال ايمانهم واشعاراً بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضاً للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديداً لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاماً جزاء اثم او اثماً باضمار الجزاء وقرئ اياماً اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهاناً وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففاً وقرئ مثقلاً وتضعيف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثواباً وكان الله غفوراً رحيماً فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحاً يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متاباً مرضياً عند الله ماحياً للعقاب محصلاً للثواب او يتوب متاباً الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعاً حسناً وهذا

احمز اي اشد واتعب

للروي يعني التسجيع

وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء

الاثام النزل والذنب الصغير

فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف صح

تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب
فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه
مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب
والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ او القراءة لم يخروا عليها
صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا
عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل
كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب
لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه
اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم
به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي و
ابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي — تعظيما صح
قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين باضافة
العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه
مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم
واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون
الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم الجنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون
والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض
الشهوات وتحمل ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم — المجاهدات صح — التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى
ومثله اعرابا قل ما يعبأ بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا
دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات
سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها
النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل
فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون
منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما
يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر
للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر فانه لوزم بين القتلى لزاما
وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن
بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم
الغاوون الى آخرها وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع
بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك
آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول البقرة
لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار
وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها
الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة
ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا
لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت
الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم
جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف اكون على فاصدق
لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن يوحيه الى
نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا
اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى
بهم الى الاستهزاء به المخبر عنه ضمنا في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او
يوم القيامة انباء ما كانوا به يستهزءون من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق
ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها
من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وهاهنا يحتمل ان يكون
مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان يكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة
اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف
او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم
مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام وان ربك لهو العزيز
الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم
لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او
بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون
بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك
الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم
عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ
اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبتدأ
اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء
بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب
اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون رتب استدعاء ضم

أخيه إليه وأشد ذلك لأن الإرسال على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالاً عنه
وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق
لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة
حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللاً منه وتوقفاً في تلقي الأمر بل طلباً
لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق
بالنصب عطفاً على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف منه **ولهم علي ذنب** أي تبعة ذنب فحذف
المضاف أو سمي باسمه والمراد قتل القبطي وإنما سماه ذنباً على زعمهم وهذا اختصار
قصته المبسوطة في مواضع **فأخاف أن يقتلون** به قبل أداء الرسالة وهو أيضاً ليس
تعللاً وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن ذلك استمداد واستظهار في أمر
الدعوة وقوله **قال كلا فاذهبا بآياتنا** إجابة له إلى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم
ردعه عن الخوف وضم أخيه إليه في الإرسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لأنه
معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت
والذي طلبته **إنا معكم** يعني موسى وهرون وفرعون **مستمعون** سامعون لما يجري بينكما وبينه
فأظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم وترقباً لإمداد
أوليائه منهم مبالغة في الوعد بالإعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء
للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات وهو خبر ثان أو الخبر وحده ومعكم
لغو **فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين** أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به
فإنه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا أرسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وأفرد أخرى أو لاتحادهما للأخوة أو لوحدة
المرسل والمرسل به أو لأنه أراد كل واحد **أن أرسل معنا بني إسرائيل** أي أرسل لتضمن
الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا إلى الشام **قال** أي
فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك **ألم نربك فينا** في منازلنا **وليداً** طفلاً سمي به
لقربه من الولادة **ولبثت فينا من عمرك سنين** قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم
خرج إلى مدين عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق
خمسين **وفعلت فعلتك التي فعلت** يعني قتل القبطي وبخه به معظماً إياه بعدما عدد
عليه نعمته وقرئ فِعلتك بالكسر لأنها كانت قتلة بالوكز **وأنت من الكافرين** بنعمتي حتى عمدت
إلى قتل خواصي أو ممن تكفرهم الآن فإنه عليه الصلاة والسلام كان يعايشهم بالتقية
أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم **قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين** من الجاهلين وقد قرئ به
والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله أو
الذاهبين عما يؤول إليه الوكز لأنه أراد به التأديب أو الناسين من قوله أن تضل إحداهما
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً حكمة **وجعلني من المرسلين** رد أولاً بذلك ما وبخه به

قدحاً في نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح برده لأنه كان صدقاً غير قادح في دعواه
بل نبه على أنه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسبباً عنها فقال **وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت
بني إسرائيل** أي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهراً وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل
وقصدهم بذبح أبنائهم فإنه السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك وقيل إنه مقدر
بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبدت ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر
محذوف أو بدل نعمة أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك إشارة
إلى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة
تمنها علي وإنما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لأن المنة كانت منه وحده والخوف
والفرار منه ومن ملئه **قال فرعون وما رب العالمين** لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى أنه لم
يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل **قال
رب السموات والأرض وما بينهما** عرفه بأظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الأفراد
إلا بذكر الخواص والأفعال وإليه أشار بقوله **إن كنتم موقنين** أي إن كنتم موقنين الأشياء محققين
لها علمتم أن هذه الأجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها فلها
مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وأن يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس
بها وما لا يمكن وإلا لزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال
ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو
داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته **قال لمن حوله ألا تستمعون** جوابه سألته عن حقيقته
وهو يذكر أفعاله أو يزعم أنه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب
الدهرية **قال ربكم ورب آبائكم الأولين** عدل إلى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله ويشك
في افتقاره إلى مصور حكيم ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند المتأمل **قال إن رسولكم الذي
أرسل إليكم لمجنون** أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولاً على السخرية
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على
مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات
إن كنتم تعقلون إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم أولاً
ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالتهم **قال لئن اتخذت إلهاً غيري
لأجعلنك من المسجونين** عدولاً إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن
المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الألوهية وإنكاره الصانع وأن تعجبه
بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية إلى غيره ولعله كان دهرياً اعتقد أن من ملك
قطراً أو تولى أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله واللام في من المسجونين للعهد
أي ممن عرفت حالهم في سجوني فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل
أبلغ من لأسجننك **قال أولو جئتك بشيء مبين** أي أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين

صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة
على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به إن كنت من
الصادقين في أن لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فألقى عصاه
فإذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب
إذا فجرته فانفجر ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما رأى
الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال ما فيها فأدخلها في ابطه ثم نزعها
ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الأفق قال للملأ حوله مستقرين
حوله فهو ظرف وقع موقع الحال إن هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد أن
يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة
القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه
على ملكه قالوا أرجه وأخاه أخر أمرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين
يأتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة
لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة
وقيل للناس هل أنتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه
كقوله هل أنت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن
مخراق اي ابعث أحدهما للناس لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم
الأصلي أن لا يتبعوا موسى لا أن يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم
إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا
نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين التزم لهم الأجر والقربة عنده زيادة عليه إن
غلبوا فإذن على ما تقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال
لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أي بعد ما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين
ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به
إلى إظهار الحق فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون أقسموا بعزته
على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من
السحر فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ما يأفكون
ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات
تسعى او إفكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فألقي السحرة ساجدين لعلمهم بأن مثله لا يتأتى
بالسحر وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وأن التبحر
في كل فن نافع وإنما بدل الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله ويدل على أنهم لما رأوا ما
رأوا لم يتمالكوا أنفسهم وكأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم وأنه تعالى ألقاهم بما

خولهم من التوفيق قالوا آمنا برب العالمين بدل من ألقي بدل الاشتمال او حال باضمار قد
رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على أن الموجب لايمانهم ما اجراه
على ايديهما قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون
شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم على ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه لئلا
يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح أآمنتم
بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم
أجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك إنا إلى ربنا منقلبون بما توعدنا به فإن
الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والتقرب الى الله او بسبب من اسباب الموت
والقتل انفعها وأرجاها إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين من اتباع
فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة
المتقدمة وقرئ إن كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة
المدل بأمره ان احسنت اليك فلا تنس حقي وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي
وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا
إلا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع إن اسر بكسر النون ووصل الألف من سرى
وقرئ أن سر من السير إنكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الأمر بالإسراء
اي أسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل
وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم
فأرسل فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم إن هؤلاء لشرذمة قليلون
على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ
روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب
شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وإنهم لنا
لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وإنا لجميع حذرون وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال
الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو
اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل
المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول للثبات
والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لأن ذلك انما يفعل
حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه
من بغضها وهو حادر او تامو السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم فأخرجناهم
بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر
او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبر المحذوف

وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم وقرئ فاتّبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال أصحاب موسى إنا لمدركون لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك الشيء إذا تتابع ففني أي لمتتابعون في الهلاك على أيديهم قال كلا لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم إن معي ربي سيهدين طريق النجاة منهم روي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر القلزم أو النيل فانفلق أي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب وأزلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم وأنجينا موسى ومن معه أجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا ثم أغرقنا الآخرين بإطباقه عليهم إن في ذلك لآية وأية آية وما كان أكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وإن ربك لهو العزيز المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة إذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم أي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها أو ينفعونكم على عبادتكم لها أو يضرون من أعرض عنها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر ونفع والتجأوا إلى التقليد قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فإنهم عدو لي يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو أن المغري بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الأمر في نفسه تعريضا لهم فإنه أنفع في النصح من التصريح وإشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب إلا رب العالمين استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ الإيجاد إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ وللعطف إن جعل صفة رب العالمين فيكون لاختلاف النظم لتقدم

الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين عطف على الأول لمبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم وإذا مرضت فهو يشفين عطفه على يطعمني ويسقين لأنه من روادفهما من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض بإسناد الإماتة إليه فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه إنما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبلية ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث إني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي أختي ضعيف لأنها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل أستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق وألحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في صلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه أو صادقا من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم واجعلني من ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لأبي بالهداية والتوفيق للإيمان إنه كان من الضالين طريق الحق وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه أنه كان يخفي الإيمان تقية من نمرود ولذلك وعده به أو لأنه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لأنهم معلومون أو للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم أي لا ينفعان أحدا إلا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته أو لا ينفعان إلا مال من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر وأرشد بنيه إلى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أي لا ينفع غنى إلا الغنى وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من أتى الله بقلب سليم ينفعه وأزلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بأنهم المحشورون إليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله أين آلهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم أو ينتصرون بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال

فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقي في
النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه
اجمعون تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده او للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل
وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله ينطق
الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله اذ نسويكم برب العالمين اي في استحقاق العبادة
ويجوز ان تكون الضمائر في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم
في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من
شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة
لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة
الصديق او لأن الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في
الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمني للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في
معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان
لنا ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام لآية لحجة وعظة لمن
اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة
علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم
وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل
الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه
مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او احد من
ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك يصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين
اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور
بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسألكم عليه على ما انا عليه
من الدعاء والنصح من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتأكيد و
التنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا
قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب
واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور
رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقل منها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه
ودليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة
فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر
ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك
ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم

وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء في اجري في الكل الخمس

وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا
الا رسول مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء
لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ولا علي ان اطردهم استرضاء لكم
قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة
قال رب ان قومي كذبون اظهارا بما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم
عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من
قصدهم او من شؤم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد
انجائه الباقين من قومه ان في ذلك لآية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل
اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة
مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه
وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنيئة
والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آية
علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج
الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع
مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم
بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة
فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما
تعلمون كرره مرتبا عليه امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه
بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول
عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام و
بنين وجنات وعيون ثم اوعدهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فانه كما
قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا
نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا
الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت
مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي
جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه الا من خلق الاولين
وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم
يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال

لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من
اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فى ما ههنا آمنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير
بالنعمة فى تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله فى جنات وعيون وزروع ونخل
طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما
يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون
من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل
بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين
استعير الطاعة التى هى انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا الذين
يفسدون فى الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة
على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من
ذوى السحر وهى الرئة اى من الاناسى فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت من الصادقين
فى دعواك قال هذه ناقة اى بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب
نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم
فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها فى شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فياخذكم عذاب
يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر
الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا
من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اى
العذاب الموعود ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فى نفى
الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان
قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم
لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر
ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اى اتاتون من بين من عداكم من
العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث
فيهم كانهن قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس وتذرون ما
خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان
اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم
عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون فى المعاصى
وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط
عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بلدنا ولعلهم كانوا
يخرجون من اخرجوه على اعنف وجه وسوء حال قال انى لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض
كانه لا ينفك على الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى

الشماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات صح

زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجنى واهلى مما يعملون اى من شومه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين
اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هى امراة
لوط فى الغابرين مقدرة فى الباقين فى العذاب اذ اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت
مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت فى القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا
الآخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء
مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف
وهو مطرهم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة
المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا
كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم
شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم وانما
كتبت ههنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من
المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو ان كان
عربيا وان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا حمزة والكسائى وحفص بكسر
القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا فى الارض
مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين وذوى الجبلة الاولين يعنى
من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة
على انه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين فى دعواك
فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد
وقرا حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين فى دعواك قال ربى اعلم بما تعملون وبعذابه المنزل
عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو
ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا
تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار
الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال له انه كان بسبب اتصالات
فلكية او ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين
على قلبك تقرير لحقيته تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد

ان م

تنزل

به العضو وخصصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب
لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبريل
فانه امين الله على وحيه لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي
مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون
من الذين انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلوة والسلام وانه
لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم آية على صحة القرآن
او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه
دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل
وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على
بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم
واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك
جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما
كانوا به مؤمنين فيدل الآية على انه خلق الله وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه
ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة في الدنيا
او الآخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا افبعذابنا يستعجلون
فيقولون امطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرأيت
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن
عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا
اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار
او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر
محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به
الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصح لهم
ان ينزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط
بمشاركة في صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة
ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا
من الملائكة فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر
المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روي
انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح
هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط

ومن للتبيين لان من اتبع اعم من اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون
للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او
من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم
الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ
فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين
بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل
ولايته بعد ان وصفه بان من شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه
عليه انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل
افاك اثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين
ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح لان ينزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير
كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتوادد وحال محمد
صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون
السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم
اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد
فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه اخبرهم عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق
كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل
من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع الى الملا الاعلى
قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم
الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة
لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم
ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون
لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق
الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء
فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون وكانه لما كان اعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى
وقدحوا في المعنى بانه مما تنزل به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين
وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف
وسكن العين تشبيها ببعضد الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون
اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار

من هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه الصلاة
والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي
نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون تهديد لما في سيعلم
من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي أي منقلب ينقلبون أي بعد الموت من الابهام
والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ أي منفلت ينفلتون من الانفلات
وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه
الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق
بمحمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين

الاشارة الى آي السورة والكتاب المبين إما اللوح وإبانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه
للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وإبانته
لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين
على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتابٌ بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى
وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران لمحذوف
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالآخرة
هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته
وانهم الاوحديون فيه او جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات
هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير
للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة بان جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة
للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا
يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة
هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن لتؤتاه من لدن
حكيم عليم أي حكيم وأي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة
على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك
كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى
لاهله اني آنست نارا أي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر أي عن حال
الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة
على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة
الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف
له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد

للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله انه لا يكاد
يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها
نودي ان بورك أي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة
والتخفيف وان امتنع التعويض بلا او قد والسين او سوف لكنه دعاء وهو يغتفر فيه في احكام
كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه
عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء
وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة
الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ينتشر بركته في اقطار الشام
وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك
الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة
له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا
القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق
عصاك عطف على بورك أي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان
الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كأنها
جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم
يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه
قوله يا موسى لا تخف أي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم
من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس أي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون
منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما
يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوا اتبعوا
فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل
وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه
كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب أي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء
آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا
واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب
في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق
بنحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان
جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار
بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي
فضلا ان يهدي ومبصرة كلا من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة أي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا

هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها
لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرى ولقد اتينا داود وسليمان
علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اى علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه
بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث
شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما
وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما اتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير
فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون
سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء
تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير
وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا
كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع لقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق
والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة
العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان
عليه الصلوة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي
توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة
فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت
البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتالم قلب والضمير في علمنا واوتينا له
ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك
فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا
حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان
من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا
اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما راتهم متوجهين الى الوادي فرت
عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك
بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم
سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا اريَنك ههنا
فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم
اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف اي فهم سليمان
والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او

سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سال توفيق شكره وقال رب اوزعني
ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اى اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث
لا انفك عنه التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها
فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا
ترضيه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم
الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان
من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي
لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن
صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل تاكله
او جعله مع ضده في القفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين
بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع
احد الامور الثلثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة
على سرعة رجوعه خوفا منه فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبا وفي مخاطبته اياه بذلك
تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه
وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبا وقرا ابن كثير وابو عمرو
غير مصروف على تاويل القبيلة او البلدة بنبا يقين بخبر محقق روي انه عليه الصلوة
والسلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ما شاء ثم توجه الى اليمن
فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهرا فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء
وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان
فراى هدهدا واقفا فانحط اليه فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى
ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها
من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امراة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك
بن الريان والضمير لسبا او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك ولها عرش عظيم
عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا او ثمانين
من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس ونحوها من قبائح افعالهم
فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم
لئلا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا
بزيادة لا وقرا الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف
اى الا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت الا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سمعا فانطقي واصيبي
وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون فكان امرا

بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها
وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء
في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصفه بما يوجب اختصاصه باستحقاق
السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي
في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء
فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه الذي هو اول الاجرام واعظمها المحيط
بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت
من الكاذبين اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم
ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى
بعض من القول قالت اي بعدما القي اليها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله
او لانه كان كتابا مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد
من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استئناف كانه قيل لها ممن هو وما
هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من سليمان وانه اي وان المكتوب او المضمون وقرئتا
بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي
وأتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود
لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي
هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة
الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم
الادلة قالت يا ايها الملأ افتوني في امري اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون
فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة
قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول
فانظري ماذا تأمرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية
افسدوها تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار
بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم
ثم ان الحرب سجال لا تدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير
ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم
الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل واني مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة
والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل
بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري
على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين
الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى عسكره

بهره

ورأوا عظم شأنه تقاصر اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق واخبر
عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة
ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه
يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا
قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب
بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد
عليه خير مما آتاكم فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم
لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا
على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه
وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم
الى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة بهم على
مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبأ اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم
صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه ٦
الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها
فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان يأتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها
قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان
اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف
النهار واني عليه على حمله لقوي امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم
من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون
التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في
نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد
بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك
الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء
فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه فلما رآه رأى العرش
مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا
من فضل ربي تفضل علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد
الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آية الاسراء ليبلوني
أأشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين
او اقصر في اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به

يحصل له دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فإن
ربي غني عن الشكر كريم بالإنعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب
الأمر وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفته أو الجواب الصواب
وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله إذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه
الحراس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها إذ ذكرت عنده بسخافة
العقل قالت كأنه هو ولم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها وأوتينا العلم
من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها
فقالت أوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل
إنه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوزت
أن يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا وإحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر إلا على
الأنبياء أي وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل
على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له وصدها ما كانت
تعبد من دون الله أي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم إلى الإسلام أو وصدها الله عن
عبادتها بالتوفيق للإيمان إنها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الإبدال من فاعل صد على الأول
أي صدها نشوها بين أظهر الكفار أو التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما
رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي أنه أمر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج
أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما أبصرته
ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير سأقيها بالهمز حملا على جمعه سؤوق وأسؤق قال
إن ما ظنته ماء إنه صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب إني ظلمت نفسي بعبادة الشمس
وقيل بظني بسليمان فإنها حسبت أنه يغرقها في اللجة وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما
أمر به عباده وقد اختلف في أنه تزوجها أو زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد أرسلنا إلى ثمود
أخاهم صالحا أن اعبدوا الله بأن اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فإذا هم فريقان
يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها إلى
نزول العقاب فإنهم كانوا يقولون إن صدق إيعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم
ترحمون بقبولها فإنها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك إذ تتابعت الشدائد أو
وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره
أو عملكم المكتوب عنده بل أنتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والإضراب من بيان
طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة
أنفس وإنما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو من السبعة إلى
العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة يفسدون في الأرض ولا يصلحون أي شأنهم الإفساد الخالص

عن شوب الصلاح قالوا أي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله أمر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا بإضمار قد
لنبيتنه وأهله لنباغتن صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض
وقرئ بالياء على أن تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك أهله
فضلا أن تولينا إهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فإن مفعلا
قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدرا وإنا لصادقون ونحلف إنا لصادقون
أو والحال إنا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا أو لأنا ما شهدنا مهلكهم
وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا
بأن جعلناها سببا لإهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب
يصلي فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلى الشعب
فهلكوا ثمة وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة كما أشار إليه بقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا
دمرناهم وقومهم أجمعين وكان إن جعلتها ناقصة فخبرها كيف وأنا دمرناهم استئناف
أو خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن
إذا خلا وهي حال عمل فيها معنى الإشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم
إن في ذلك لآية لقوم يعلمون فيتعظون وأنجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون
الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا
عليه إذ قال لقومه بدل على الأول وظرف على الثاني أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون تعلمون
فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح أو يبصرها بعضكم من بعض لأنهم كانوا يعلنون
بها فيكون أفحش أئنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لإتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة
للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي
خلقن لذلك بل أنتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن
والقبيح أو تجهلون العاقبة والتاء لكون الموصوف في معنى المخاطب فما كان جواب قومه إلا
أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقذار
ويعدون فعلنا قذرا فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من
الباقين في العذاب وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعدما قص عليه القصص الدالة على كمال
قدرته وعظمة شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام
على المصطفين من عباده شكرا على ما أنعم عليهم وعلمه ما جهل من أحوالهم وعرفانا لفضلهم
وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين أو لوطا أن يحمد على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه
بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير أما يشركون إلزام لهم وتهكم بهم وتسفيه
لرأيهم إذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ
أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء أمن بل أمن خلق السماوات والأرض التي هي أصول الكائنات

وبادى المنافع وقرئ أمَنْ بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق
البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه
بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة أإله
مع الله أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل
أتدعون او أتشركون وبتوسط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل الارض قرارا بدل من أمن خلق السموات وجعلها قرارا
بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها
وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا يتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها
المنابع وجعل بين البحرين العذب والملح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه
في الفرقان أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به أمن يجيب المضطر اذا دعاه
المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجاء الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة
واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان
ما يسوؤه ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن كان قبلكم
أإله مع الله الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون آلاءه
تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح بالياء وحمزة
والكسائي وحفص بالياء وتخفيف الذال أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات
ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة
الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية لها
لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على شيء من ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى
القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق أمن يبدأ الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم
محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية أإله مع الله يفعل
ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة
من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة
الفائقة العامة اتبعه بما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة
التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل
على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله واولي العلم
من خلقه وهو موصولة او موصوفة وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وآن و
قرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي
شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج

والايات

والايات فيه وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في امر لا يجد عليه
دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات
والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول
اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى
انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا
في الهلاك وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك وآادرك بالف بينهما وبل ادّرك وبل
تدارك وبلى ادرك وبلى أأدرك وأم ادرك وأم تدارك وما فيها استفهام صريح او مضمن من ذلك
فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة
في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم
وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل
عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة
للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحياة لقد وعدنا هذا
نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث
وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير
عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم فان الله يعصمك
من الناس ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيّق اي امر
ضيّق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود
ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن
معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب
يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا
بان الرمزة كالتصريح منهم وعليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس
بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا
يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه
وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كالراوية
او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه
والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم
فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين
فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه

بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمته فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم
إنك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره إنك لا تسمع الموتى تعليل آخر للأمر
بالتوكل من حيث إنه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم
باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين فإن إسماعهم
في هذه الحال أبعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية
لا تحصل إلا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما أنت تهدي العمي إن تسمع أي ما يجدي إسماعك إلا من
يؤمن بآياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من أسلم وجهه لله وإذا وقع القول
عليهم إذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب أخرجنا لهم دابة من الأرض
وهي الجساسة روي أن طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها
هارب ولا يدركها طالب وروي أنه عليه الصلاة والسلام سئل من أين مخرجها فقال من أعظم
المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم إذ روي تكلمهم وروي
أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء
فيبيض وجهه وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه أن الناس كانوا بآياتنا
خروجها وسائر أحوالها فإنها من آيات الله وقيل القرآن لا يوقنون لا يتقنون وهو حكاية
معنى قولها أو حكايتها لقول الله أو علة خروجها أو تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل
أمة فوجا يعني يوم القيامة ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج أي فوجا مكذبين ومن الأولى للتبعيض لأن
أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا
وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم حتى إذا جاءوا إلى المحشر قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا
بها علما الواو للحال أي أكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق
أو التكذيب أو للعطف أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم إلقاء الأذهان لتحققها أماذا كنتم تعملون أم
أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت إذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا
فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم
وهو التكذيب بآيات الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب ألم يروا ليتحقق لهم التوحيد و
يرشدهم إلى تجويز الحشر وبعثة الرسل لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته
لا يكون إلا بقدرة قاهرة وأن من قدر على إبدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على إبدال الموت
بالحياة في مواد الأبدان وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من أسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط
جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا
فإن أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالا من أحواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الأمور الثلاثة ويوم ينفخ في الصور في الصور أو القرن
صورة وصور كصوفة وصوف وقيل إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق
ففزع من في السماوات ومن في الأرض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه إلا من شاء الله أن لا يفزع

بأن يثبت الله قلبه قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش
وقيل الشهداء وقيل موسى لأنه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل أتوه حاضرون الموقف
بعد النفخة الثانية أو راجعون إلى أمره وقرأ حمزة وحفص أتوه على الفعل وقرئ أتاه لتوحيد
لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر
مر السحاب في السرعة وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها
صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي أتقن كل شيء أحكم
خلقه وسواه على ما ينبغي إنه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما
قال من جاء بالحسنة فله خير منها إذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة
بواحد وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام خبير
بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف العذاب بسلامة العاقبة
وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما يرى من الأهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن
وقرأ الكوفيون بالتنوين لأن المراد فزع واحد من أفزاع ذلك اليوم وآمن يعدى بالجار وبنفسه
كقوله أفأمنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم
ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالأيدي في قوله ولا تلقوا بأيديكم هل تجزون إلا
ما كنتم تعملون على الالتفات أو بإضمار القول أي قيل لهم ذلك إنما أمرت أن أعبد رب هذه
البلدة الذي حرمها أمر الرسول أن يقول لهم بعدما بين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة
إشعارا بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد إلا الاشتغال بشأنه والاستغراق
في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريفا لها وتعظيما لشأنها وقرئ التي حرمها وله كل
شيء خلقا وملكا وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين أو الثابتين على ملة الإسلام
وأن أتلو القرآن وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئا فشيئا أو
اتباعه وقرئ واتل عليهم وأن اتل فمن اهتدى باتباعه إياي في ذلك فإنما يهتدي
لنفسه فإن منافعه عائدة إليه ومن ضل بمخالفتي فقل إنما أنا من المنذرين فلا علي من وبال
ضلاله شيء إذ ما على الرسول إلا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة أو على ما
علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الأرض
أو في الآخرة فتعرفونها فتعرفون أنها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل
عما تعملون فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذبه وهود
وصالح وإبراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

سورة القصص

مكية وقيل إلا قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله إلى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك نقرأ بقراءة جبريل ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازا من نبإ موسى وفرعون بعض

نبأهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض
استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما
يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او
احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل
والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا او استئناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم
بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده
وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من
المفسدين فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية
حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال
من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون
تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع
منه جاز ان تجري مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين ونجعلهم الوارثين
لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين
ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسلط واطلاق الامر ونري فرعون و
هامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان بالرفع واوحينا الى ام
موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به
فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه
انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين روي انها لما ضربها
الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض
هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته
ثلاثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت تابوتا فقذفته
في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته
ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة حزنا ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه
ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم
على ايديهم والجملة اعتراض لتأكيد خطئهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين
تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ وقالت امرأة فرعون اي لفرعون حين
اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من
التابوت احباه او لانه كانت لها ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه

الانسان ملطخة برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها
لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت
من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه
اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائل والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطأ
في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري نتخذ على ان الضمير للناس اي وهم
لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الحيرة حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون لقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا
من دماؤهم بينهم فرغ اي هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف
عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجر او
الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله
او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها
في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت
لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن
جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه
ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل من
قبل قصصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون
لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر
بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى
على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى
كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها
واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا
تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون
فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه
في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين
سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين واستوى قده او عقله
آتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا
يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لان استنباءه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل
ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا
من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين شمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها
في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت قيلولة وقيل بين العشاءين فوجد
فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل

والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه
فسأله أن يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ
فلكزه أي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حيوته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر
قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار أو لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم
ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على
عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب اني
ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي فغفر له باستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم
قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون
ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة
أعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين
بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى
والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي وكأنه توهم
من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا في
الارض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم
بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون
وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة رجل او حال منه اذا جعل
اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر
فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول
فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني
من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم عليه الصلوة
والسلام ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي ان
يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ في
اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا
يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيره امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم
ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما من الماء
لئلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف
الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على

غنمهما

عفتهما ويدعوه الى السقي لهما بتمه دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم
وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا
فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة
رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى
عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي لاي شيء انزلت الي
من خير قليل او كثير فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير
الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر
على ذلك فجاءته احداهما تمشي على استحياء اي مستحية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما واسمها
صفوراء او صفراء وهي التي تزوجها موسى عليه الصلوة والسلام قالت ان ابي يدعوك ليجزيك
ليكافئك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر
بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا
نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا
فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين
يريد فرعون وقومه قالت احداهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت
القوي الامين تعليل شائع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما
وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته
وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد
ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من
اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاول ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان
اتممت عشرا عملت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا
استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان
يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك
وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال و
اشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورأيك في
مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال
ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما
او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا تعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب
بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات
الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما
كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واي الاجلين ما قضيت
فيكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول

من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كان في رأسه نار او لم يكن قال باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال ألقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كأنها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بفتح الراء وقرئ بالفتح وبالسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان نرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتخليص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا بآياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان

للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصدت بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير الاستحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوارا لقلوبهم يتبصر بها الحقائق ويميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفته وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي

الا بالوحي لذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا
قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف
المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم
تقرأ عليهم تعلما منهم اياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور
اذ نادينا لعل المراد به وقت ما ناداه واعطاه التورية وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران
في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق
بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون
سنة او بينك وبين اسماعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم
لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها انما اجيبت بالفاء
تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان
القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب
محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا
يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم
فنتبع اياتك يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون
عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعني موسى وهرون او موسى ومحمد تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق
او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما
الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظّاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء
قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى محمد واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان
المراد بالساحرين موسى ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط
التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان
بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي
فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي
بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي
القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه
بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتقرر الدعوة بالحجج والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر
لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت
في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة
وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقران كالمستكن في واذا يتلى عليهم قالوا امنا به اي بانه كلام الله

انه الحق

انه الحق من ربنا استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استئناف اخر للدلالة على ان ايمانهم
به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام
قبل نزول القران او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم
ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقران قبل النزول
وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية
لقوله عليه الصلوة والسلام اتبع السيئة الحسنة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا
سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم
وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي
من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو
اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني
اكره ان يقال خرع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا ان اتبعناك و
خالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما
امنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم امنون فيه
يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا
من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة
البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل
انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا
لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى والحال من الثمرات لتخصيصها بالاضافة
ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من
قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش حتى اشروا
فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم الا قليلا الا سكنى او الا سكنا
الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين
منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وساير متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع
الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على
تضمين معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها التي هي
اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة و
ما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء
من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية
وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي
افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ بالياء وهو ابلغ في الموعظة

افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة
لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة
الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة
من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن عامر في رواية
والكسائي ثم هو بالسكون تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك
رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي
الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال
الذين حق عليهم القول ثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء هم الذين اغويناهم
فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استيناف
للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين
صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه
صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة
ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون
اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم
فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة وراوا العذاب لو انهم
لو انهم كانوا يهتدون بوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما راوا العذاب وقيل
لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول
فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت
الانباء كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر
الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء
ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون
العلم الى الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون
لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن
وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق
على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه
ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم راسا والامر
كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل
المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة به مفعول ليختار والراجع اليه
محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد

او يزاحم اختياره اختياره وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم
كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها
الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة
كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله
والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالنشور قل ارأيتم ان جعل الله
عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان
الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل فذكر — هل — الضياء ضوء الشمس والقمر
بناء على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على
مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشتغال ولعله لم يصف
الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر
مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من
استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله
في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم
فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من
الاشراك به او الاول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهي وهوى
ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم
على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم
وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث
ابن لاوي وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم
قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة و
لهرون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح
صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة
خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة
الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه
منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن
ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا عن محبة الله
فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه
فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا
وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك

وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهى له عما كان عليه من الظلم والبغي
ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي فضلت به الناس واستوجبت به التفوق
عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة
والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا
عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا
تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ
او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى
يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها
او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه
واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مختصا بهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة
فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من
ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة
يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا
وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب
الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة
التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة و
الطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى
كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى
ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا
فقال من سرق قطعناه ومن زنا غير محصن جلدناه ومن زنا محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال
ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق
فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحي اليه ان مر الارض
بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته
الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه
ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله
ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة اعوان مشتقة من فاوت راسه اذا ميلته
ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من
عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون
ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة
تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركبة من وي للتعجب وكأن للتشبيه
والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله

تبرطل اي ارشاه البرطيل من الرشوة

لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف بنا لاجله ويكأنه
لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعد لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة
تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفته والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا
يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين
عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا
يعملون الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض
عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود
الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما
حكم بان العاقبة للمتقين اكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين ووعده بالعاقبة الحسنى في الدارين
روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت قل ربي اعلم من جاء بالهدى
وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما يستحقه
من الاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجو ان يلقى اليك
الكتاب اي سنردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة
منه ويجوز ان يكون الاستثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا
تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن
قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصده وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا
تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع
المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك
في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض
الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل
استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها
ولذلك اقتضى مفعولين متصلين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنا
هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق
التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس و
الاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات
فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت
في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب

رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بأحسب
او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين
كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي
وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب
الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان
يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب
فيه لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه
حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى
ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد
زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها
فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة
فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم
بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد
لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة
عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن
جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن
لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن بوالديك حسنا
وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا
وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك
بي ما ليس لك به علم بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان
لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه
ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها
لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك
وكذا التي في لقمان والاحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او في مدخلهم وهي الجنة
ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة
الناس ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء
نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف

ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق
وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا
سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة وان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا
انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم
ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن
اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا آخر معها لما تسببوا له بالاضلال
والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما
كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين
عاما بعد المبعث اذ روي انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين
ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في
ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتثبيته على ما كان يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء
وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب
معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها
اي السفينة او الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابراهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر
وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل
عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم
مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم
دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة
وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث
انه زور وباطل للافك وقرئ تخلّقون من خلّق للتكثير وتخلقون من تخلّق للتكلف وافكا على انه مصدر
كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل
ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم
وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له
متوسلين الى مطالبكم بعبادته متقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون
وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم
وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين
الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب والآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم لدى ما كان
جوابا لقومه ويحتمل ان تكون اعتراضا بذكر شأن النبي صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد
على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم

والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله
بهم كان ابرهيم قومه اولم يروا كيف يبدي الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بالموت معطوف على اولم يروا لا على يبدي
فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة
من النبات والثمار ونحوها ويعطف على يبدي ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين
على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما
الصلوة والسلام فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم
والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان
المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها
اهون والكلام في العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرأفة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته
ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى
يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم
عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض والهبوط في مهاويها
والتحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول
الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر
من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته وكتبه
ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضي للتحقق والمبالغة
او ايسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه
قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول
بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه
في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي حفظه من
اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون
بالتفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا
اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة
المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم عبادتها سبب المودة بينكم
وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي
ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة او سبب مودة بينكم
والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول
الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم
ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين

الاوثان

الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله يكونون عليهم ضدا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن
له لوط هو ابن اخيه واول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي
الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي
روي انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام
فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من الولادة
من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس
ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة
واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين
لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون
الفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لفحاشتها من
حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليه لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال
وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون
سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي
الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمي
البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح
ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع
الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل
لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل
هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم
باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيهم من
لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله
او تأقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت من الغابرين الباقين
في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم
قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم
ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل
الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما رأوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا
انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك
بالتخفيف ووافقهم ابو بكر في الثاني وموضع الكاف جر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها
باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب
من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم

ولقد تركنا منها آية بينة هي حكايتها الشائعة وآثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت
باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو
متعلق بتركنا او آية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر
وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا
في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب
رجفت لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب
ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة و
حفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تأويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم
بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان
اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا
مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم
باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عاد وتقديم
قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله
من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من
خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة
الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا او مثلهم بالاضافة الى الواحد كمثله بالاضافة
الى رجل بنى بناء من حجر وجص كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الخور والوهن بل ذاك
اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء
طاغوت ويجمع على عناكب وعناكيب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن
واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن
من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن
ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم
وقرأ البصريان ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة
عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة
مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين
وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا من
هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية
كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس
تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء على

الخور الكا

ما ينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب
سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة
الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل
ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ
المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث
للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر
الله اكبر والصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة
في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته
والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة
بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل
المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله
مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة بالتي هي احسن
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله
فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون
له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال
انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به
هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء
ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن وما يجحد باياتنا مع ظهورها
وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم
صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة و
التعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون
اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم
او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم
نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات
في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم
بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه مثل ناقة
صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل انما الآيات عند الله

والعرب
الجزو الحادي والعشرون

الشغب التشنيع

ذؤابات وامهات

ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه وإنما أنا نذير مبين ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته
بما أعطيت من الآيات أولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه إنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بدوام تلاوته عليهم متحدين
به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات أو يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك
ونعت دينك إن في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة بينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم
يؤمنون وتذكرة لمن همه الإيمان دون التعنت وقيل إن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء
به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات أو بتبليغي ما أرسلت به
إليكم ونصحي ومقابلتكم إياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والأرض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين
آمنوا بالباطل وهو ما يعبدون من دون الله وكفروا بالله منكم أولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث
اشتروا الكفر بالإيمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء ولولا أجل مسمى لكل عذاب
أو قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة بدر أو الآخرة عند نزول الموت بهم
وهم لا يشعرون بإتيانه يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أو هي
كالمحيطة بهم الآن لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على موجب الإحاطة أو للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة
أو مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت أرجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله أو بعض الملائكة بأمره
لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون أي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا إن
أرضي واسعة فإياي فاعبدون أي إذا لم تتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا
إلى حيث يتمشى لكم وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبرا استوجب
الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام والفاء جواب شرط محذوف إذ المعنى
إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تنالها لا محالة
ثم إلينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد له وقرأ أبو بكر بالياء والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم أي لنقيمنهم من الثواء
فيكون انتصاب غرفا لإجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم تجري
من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين
صبروا على أذية المشركين والهجرة للدين إلى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون إلا
على الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها
وإياكم ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله
لأن الرزق لكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فإنهم لما أمروا بالهجرة قال
بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم أهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات
إلى واحد واجب الوجود فأنى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء

من عباده ويقدر له يحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على أن البسط والقبض على التعاقب وأن لا يكون على
وضع الضمير موضع من يشاء وإبهامه لأن من يشاء مبهم إن الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن
سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بأنه الموجد للممكنات
بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على عصمتك
من مثل هذه الضلالة أو على تصديقك وإظهار حجتك بل أكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بأنه
المبدئ لكل ما عداه ثم إنهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه
الحيوة الدنيا إشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة إلا لهو ولعب إلا كما يلهى ويلعب
به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لهي دار
الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها أو جعلت في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حي
سمي به ذو الحيوة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو أبلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة
والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي أصلها
عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فإذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم أي هم على
ما وصفوا به من الشرك فإذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين
حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو فلما نجاهم إلى البر إذا
هم يشركون فاجؤا المعاودة إلى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي أي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم
نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادهم عليها أو لام الأمر على التهديد ويؤيده
قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون
أولم يروا يعني أهل مكة أنا جعلنا حرما آمنا أي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا أهله عن
القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب
أفبالباطل يؤمنون أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه إلا الله بالصنم والشيطان يؤمنون
وبنعمة الله يكفرون حيث أشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بأن زعم أن له شريكا أو كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول أو الكتاب وفي
لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه
أليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله ألستم خير من ركب المطايا أي لا يستوجبون الثواء
فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو لاجترائهم أي ألم يعلموا أن
في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا فأطلق المجاهدة ليعم جهاد
الأعادي الظاهرة والباطنة بأنواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا أو
لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي
الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وإن الله لمع المحسنين بالنصرة والإعانة سورة الروم
مكية إلا قوله فسبحان الله وهي ستون أو تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم غلبت الروم في أدنى الأرض أرض العرب منهم لأنها الأرض المعهودة عندهم أو في أدنى أرضهم من العرب

ونظم أول هذه السورة قد يأخذ بذلك السورة أنه لما ختم تلك السورة بأن الله مع المحسنين وافتتح هذه السورة بالم إنما الله أعلم بالمحسنين وغير المحسنين وأسماء السورة ... وعاقبة المشركين وبيان عاقبة المؤمنين والكافرين

واللام بدل من الاضافة وبهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب
سيغلبون في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي
ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم
والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فنزلت فقال
لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي
ابن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلايص من كل واحد منهما وجعلا
الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في
الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله بعد قفوله
من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب
بانه كان قبل تحريم القمار والاية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون
بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله
غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له
الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ من غير تقدير
مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله
من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم
في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى
بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم
ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان
ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده
ولا صحته لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها
وهم عن الاخرة التي هي غايتها والمقصودة منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى
او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة
لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور
ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها
وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها
مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي
يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا في امر انفسهم
فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجلى فيها للمستبصر ما يجلى له في الممكنات باسرها ليتحقق قدرة
مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق

متعلق بقول او علم محذوف يدل الكلام عليه واجل مسمى تنتهي عنده ولا تبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء
ربهم بلقاء جزائه عند انقضائه او قيام الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا
ابدية وان الاخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم
في اقطارها ونظرهم الى اثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا
وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها عمروا الارض اكثر مما عمروها
من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم
مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط
على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤون الى واد لا نفع لها وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم
من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين
اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على
ما اقتضى ان تكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث الاسوأ كالحسنى او
مصدر كالبشرى نعت به ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزئون علة او بدل او عطف
بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا
الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان
كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت
مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب
على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدؤ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم
ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء
على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين ايسين يقال ناظرته فابلس اذا
سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته
ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه
وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم
وكتب في المصحف شفعؤا وعلمؤا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف
الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له
وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون
لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض
وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات
التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه
واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان

آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين
اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا
معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس
ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر
وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان
يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر
على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكال بالمكيال الاوفى فليقل
فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله
حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك
ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي كالانسان من النطفة والطائر من البيضة او يعقب الحياة
الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج
تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحياة الموت وقرئ واحياء والكسائي نسخ البناء ومن
آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر
تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من
انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم
لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب
للتنافر وجعل بينكم اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال
الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف
والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة
منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آياته خلق السموات والارض
واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله
فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء
وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما و
اسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين
لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن
آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة
القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين
بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات
الواردة فيه ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن آياته
يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل

فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق
كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة للمسافر وطمعا
في الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير
مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان
او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها
يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر
لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته
لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن
الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كانه قيل
ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول
ايتها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى
تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما لتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن
الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها
واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون
لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة اسهل
عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل
اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشأن كالقدرة
العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره
ما يساويه او يدانيه في السموات والارض يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء
ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي
هي اقرب الامور اليكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء في ما رزقناكم من الاموال وغيرها
فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن
الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم ان
تستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل
نفصل الآيات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر
الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع
هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من
الضلال ويحفظونهم عن آفاته فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو
تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرة الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر
لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة
الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته لا تبديل

لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغيره ذلك اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر منيبين واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرا حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اصل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجا فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل اللام للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون به في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته وقرا ابو عمرو والكسائي بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرا ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرا نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان

ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة او الظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ البحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استئنافا للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلوة والسلام ما من امرء مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا او واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرا ابن عامر بالسكون على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء

من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون لمجي الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر
من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب
او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى آثار رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع
الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على
اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على
احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواده من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل
ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد
ما تفتت وتبدد من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى
جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم
وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا
من بعده يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار
بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان
يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى
الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا
ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهؤلاء مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام
تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدي العمي ان تسمع الا
من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان
فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله
خلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم
الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة
الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني
من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء
من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره
دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات
الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا
او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث
اربعون وهو محتمل الساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم
في الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا
وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه

اشارة الى ان من للابتداء

لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه
وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر
والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان
انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان
تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة
عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي
استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع
الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم وما
لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبئهم على التوحيد
والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط
عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم الا مبطلون مزورون كذلك مثل
ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها
فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك
واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق
الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن
يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا يزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح
الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان عليه السلام مكية وقيل الا آية
وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي
شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي اربع وثلثون او
ثلث وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم
سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة
ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم
بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد
بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث
التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار بها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من
تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن
الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد
وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان
ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه منه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتبه

وقرأ الباقون بالتاء

وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة
حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل
عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها مشابها حاله حال من
لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن
في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا
استينافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع في اذنيه وذكر
البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة
خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله
حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد
حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه
حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استئناف وقد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي
جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان تشابه اجزائها يقتضي تبدل احيازها
واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث
فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة
وكأنه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة
التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه
فماذا خلقت آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته
وأروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال
الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا
لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك
داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة
في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على
الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم
يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود
قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امر
بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امر بان يأتي باخبث
مضغتين منها فأتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا
ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه
لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى
الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمن

لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به
حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا
منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على
وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ
بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء عامين
وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر
لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين
اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك
ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه
الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا
معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة
ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما
والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصينا
بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة
لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم
فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضي الله عنه فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة
من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع
مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول لبيد كما شرقت
صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض
في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف
من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى
كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك
واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور
مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله
فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون
من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا
تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر
وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة النهي وتأخير
الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا ليوافق رؤوس الآي واقصد في مشيك
توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلوة والسلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة
كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق التماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية

واغضض من صوتك وانقص منه واقصر إن أنكر الأصوات أوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما
نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال الطويل الأذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم إخراجه مخرج الاستعارة مبالغة
شديدة وتوحيد الصوت لأن المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد أو لأنه مصدر في الأصل ألم
تروا أن الله سخر لكم ما في السموات بأن جعله أسبابا محصلة لمنافعكم وما في الأرض بأن مكنكم من الانتفاع
به بوسط أو بغير وسط وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه
وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ وأصبغ بالإبدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين
أو الخاء أو القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بالجمع والإضافة ومن الناس من يجادل في الله
في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع إلى رسول ولا كتاب منير أنزل الله بل
بالتقليد كما قال وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وهو منع صريح من التقليد
في الأصول أولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل أن يكون الضمير لهم ولآبائهم إلى عذاب السعير إلى ما يؤول
إليه من التقليد أو الإشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للإنكار والتعجب ومن يسلم وجهه
إلى الله بأن فوض أمره إليه وأقبل بشراشره عليه من أسلمت المتاع إلى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد
وحينئذ عدي باللام لتضمن معنى الإخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق
بأوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المطيع بمن أراد أن يترقى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى
الحبل المتدلي منه وإلى الله عاقبة الأمور إذ الكل صائر إليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فإنه لا يضرك
في الدنيا والآخرة وقرئ ولا يحزنك من أحزن وليس بمستفيض إلينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا
بالإهلاك والتعذيب إن الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا
تمتيعا أو زمانا قليلا فإن ما يزول بالنسبة إلى ما يدوم قليل ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ يثقل
عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو نضم إلى الإحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إلى إذعانه قل الحمد لله على
إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل أكثرهم لا يعلمون أن ذلك يلزمهم لله ما
في السموات والأرض لا يستحق العبادة فيهما غيره إن الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق
للحمد وإن لم يحمد ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وتوحيد شجرة
لأن المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده سبعة أبحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود
بسبعة أبحر فأغنى عن ذكر المداد بمده لأنه من مد الدواة وأمدها ورفعه للعطف على محل أن ومعمولها
ويمده حال أو الابتداء على أنه مستأنف والواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم أن أو إضمار
فعل يفسره يمده وقرئ يمده وتمده بالياء والتاء ما نفدت كلمات الله بكتبتها بتلك الأقلام بذلك
المداد وإيثار جمع القلة للإشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير إن الله عزيز لا يعجزه شيء
حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته أمر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمروا
وفد قريش أن يسألوه عن قوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شيء
ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها إذ لا يشغله شأن عن شأن لأنه يكفي لوجود

الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون إن الله
سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله إدراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق ألم تر أن الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه إلى أجل مسمى
إلى منتهى معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وقيل إلى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لأجل مسمى
أن الأجل ههنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة أو مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وأن الله بما
تعملون خبير عالم بكنهه ذلك إشارة إلى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص
الباري فيها بأن الله هو الحق بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت إلهيته وأن ما
يدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف إلا بجعله أو الباطل إلهيته وقرأ البصريان
والكوفيون غير أبي بكر بالياء وأن الله هو العلي الكبير مترفع على كل شيء ومتسلط عليه ألم تر أن الفلك تجري في
البحر بنعمة الله بإحسانه في تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول
إنعامه والباء للصلة أو الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله
الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله إن في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه في
التفكر في الآفاق والأنفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها أو للمؤمنين فإن الإيمان نصفان نصف صبر
ونصف شكر وإذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ
كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد
بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو
التوحيد أو متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار غدار
فإنه نقض للعهد الفطري أو لما كان في البحر والختر أشد الغدر كفور للنعم يا أيها الناس اتقوا ربكم
واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من أجزأ إذا أغنى والراجع إلى الموصوف
محذوف أي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد أو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير
النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة
إن وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي إن الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها
لما روي أن الحارث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة وإني قد ألقيت حباتي في
الأرض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر أم أنثى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه عليه الصلوة
والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في إبانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الأرحام أذكر أم أنثى أتام أم ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا من خير أو شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس بأي أرض تموت كما لا تدري
في أي وقت تموت روي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل من
هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال
الملك كان دوام نظري إليه تعجبا منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وإنما جعل

مفاتح الغيب خمس

العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه وان عمل حيلة
وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه
وقرئ بأية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها
خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان
رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر سورة
الم السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم الم
ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل
تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من
الضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله
بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه انه
منزل من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك
انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من
تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك
اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضا الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه
ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر
فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر
امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه
ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني
بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه
في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض
مسيرة خمسمائة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل
يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات
منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين
والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز
الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن
كل شيء خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال
وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع
والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل
وبدأ خلق الانسان يعني ادم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل
من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافة

الى نفسه تشريفا واظهارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف
نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا
قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا أإذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب
الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن
وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه أإنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا
وقرأ نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم
به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم
يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا
كتقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء
اجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم
من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا
الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا
فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر
لترى مفعول لان المعنى لو تكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان
والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم
من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا
بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم
من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام
منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله
بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان
كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا وسبحوا
نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى
وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى
عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم
سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون
وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل
فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء
فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل

من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلوة والسلام يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس وقرأ
حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفى وفاعل الكل هو الله وقرات اعين
لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا
يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى
الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة
تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها المأوى
الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في ال عمران بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين فسقوا فمأويهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما
ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا
به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم
يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا عليه السلام يوم بدر فنزلت هذه الايات
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط
وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكر بها عقلا كما في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا
ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف بمن كان اظلم من كل ظالم
ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن في مرية شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى
القران فانا اتيناك من الكتاب مثل ما اتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء
موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه الصلوة والسلام رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم
طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم
ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة
والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم
فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل ويميز المحق من المبطل فيما كانوا
فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه
كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة
القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون
بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى
الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا تاكل منه من الزرع
انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته و
فضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين
في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر

المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون
منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف
من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال
بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وقرئ بالفتح
على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل
في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما
له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا عما نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين
والمنافقين اي فيما يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا
عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا
له ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما
لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا
موح اليك ما يصلحه ومغن عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين
اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا
اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح
الحيواني المتعلق بالنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل ازواجكم
اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة في امراة ولا
الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان و
لذلك قيل لابي معمر وجميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي
الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد
نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحمل عليه والمعنى كما لم
يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل
لم يجعل الزوجة والدعي الذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ
ابو عمرو اللاي بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن
يعقوب بالهمزة وحده واصل تظاهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون
بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر
كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من
الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في
الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف
وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ
في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه

شبه بتقبيل منوط على نحو جمعه ذلكم اشارة الى الكل او ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في
الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل
الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله هو اقسط عند الله
تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل
ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم
في الدين ومواليكم اولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي وهذا مولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطأتم
به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق اللسان
ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا
رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه
ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه
لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب
اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه الصلاة
والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ
وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك
صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك
فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى
ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب
الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية او آية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين
بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق
الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما تقدر الاولوية
فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر
في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر
وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى
ابن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا
غليظا عظيم الشأن او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم
اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم
اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين
صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على
اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب
المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب
وهم قريش وغطفان ويهود بني قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا

وجنودا

وجنودا لم تروها الملائكة روي انه لما سمع صلعم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة آلاف
والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث
الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفات نيرانهم وقلعت
خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي
اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق
وقرأ البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من
اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي
من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب
الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى راس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم
مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب
ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب
والمنافقون ما حكي عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن
عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس
هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا
من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد
ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير
قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ
قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت
المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من
اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك
واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي
للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من
عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا
وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من
جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر
سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها
وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤوها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها الا يسيرا
ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا
الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسئولا مسئولا عن الوفاء به مجازى
عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل

في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم وإذاً لا تمتعون إلا قليلا أي وإن نفعكم الفرار مثلا
فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعا أو زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد
بكم سوءا أو أراد بكم رحمة أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا
سيفا ورمحا أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله وهم
المنافقون والقائلين لإخوانهم من ساكني المدينة هلم إلينا قربوا أنفسكم إلينا وقد ذكر أصله
في الأنعام ولا يأتون البأس إلا قليلا إلا إتيانا أو زمانا أو بأسا قليلا فإنهم يعتذرون
ويتثبطون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون إلا قليلا وقيل إنه من تتمة
كلامهم ومعناه ولا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلا أشحة عليكم
بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال
من فاعل يأتون أو المعوقين أو على الذم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور
أعينهم في أحداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه أو كدوران عينه أو مشبهين به أو
مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فإذا ذهب الخوف وحيزت
الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد
أو باللسان أشحة على الخير نصب على الحال أو الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لأن كلا
منهما مقيد من وجه أولئك لم يؤمنوا إخلاصا فأحبط الله أعمالهم فأظهر بطلانها إذ لم تثبت
لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الإحباط على الله يسيرا هينا لتعلق
الإرادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن
الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة وإن يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا
لو أنهم بادون في الأعراب تمنوا أنهم خارجون إلى البدو وحاصلون بين الأعراب يسألون
كل قادم من جانب المدينة عن أنبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة
وكان قتال ما قاتلوا إلا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد أو هو في نفسه
قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر من
الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أي ثواب الله
أو لقاءه ونعيم الآخرة أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك أرجو زيدا
وفضله فإن اليوم الآخر داخل فيهما والرجاء يحتمل الأمل والخوف ولمن كان صلة لحسنة أو صفة
لها وقيل بدل من لكم والأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء
كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة فإن المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون
الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله صلى الله عليه وسلم سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم

والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام إنهم سائرون إليكم بعد تسع أو عشر وصدق الله ورسوله
وظهر صدق خبر الله ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء وإظهار الاسم للتعظيم وما
زادهم فيه ضمير لما رأوا أو الخطب أو البلاء إلا إيمانا بالله ومواعيده وتسليما لأوامره ومقاديره
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لإعلاء الدين
من صدقني إذا قال لك الصدق فإن المعاهد إذا وفى بعهده فقد صدق فمنهم من قضى نحبه
نذره بأن قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر والنحب النذر استعير
للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد
ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي أن طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه
تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين
إن شاء أو يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء
كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم أو المراد به التوفيق
للتوبة إن الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الأحزاب بغيظهم متغيظين
لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة
وكان الله قويا على إحداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وأنزل الذين ظاهروهم ظاهروا الأحزاب
من أهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال
لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون و
تأسرون فريقا وقرئ بضم السين روي أن جبريل أتى رسول الله صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب فقال
أتنزع لأمتك والملائكة لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في
الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة فحاصرهم إحدى وعشرين أو خمسا وعشرين حتى جهدهم
الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم
وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة
فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر سبعمائة وأورثكم أرضهم وديارهم وحصونهم وأموالهم
نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روي أنه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار
فقال إنكم في منازلكم وقال عمر أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا إنما جعلت هذه لي طعمة
وأرضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وكان الله على كل
شيء قديرا فيقدر على ذلك يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا السعة والتنعم
فيها وزينتها زخارفها فتعالين أمتعكن أعطكن المتعة وأسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير
ضرار وبدعة روي أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت
الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعلق
التسريح بإرادتهن الدنيا وجعله قسيما لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا اختارت زوجها
لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك وإحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول عائشة خيرنا

الجزء الثاني والعشرون

رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن
الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادة منهن كاختيار المخيرة نفسها فانها طلقة رجعية عندنا وبائنة
عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن
بالرفع على الاستئناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات
منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات يا نساء
النبي من يات منكن بفاحشة مبينة بكبيرة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابي بكر والباقون
بكسر الياء يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن
اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد
وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرا البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف
بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه كونهن نساء
النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله
للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرا حمزة والكسائي ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على
ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن
كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث
والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة
حكم الله ورضاء رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات
فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب
عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن
في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن وهو لغة فيه ويحتمل
ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى
تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين ادم ونوح وقيل الزمان
الذي ولد فيه ابرهيم كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها
على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلم وقيل الجاهلية الاولى
جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه
الصلوة والسلم لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن
الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم
اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية
والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لما روي انه
عليه الصلوة والسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها

ونقل كسرتها الى القاف فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر

فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم
لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما
يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن
حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة
الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم
ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل
بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين
بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والخاشعين والخاشعات
المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين
والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات
واجرا عظيما على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي
ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت
وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف
الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري و
لذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله اي قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته
اميمة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل
في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد امرا ان يكون لهم
الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار
الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في
سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقراءة الكوفيين وهشام يكون بالياء ومن يعص الله
ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله عليه
بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن
حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه عليه الصلوة والسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه
فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن
ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي
فقال مالك ارابك منها شيء وقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي
فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا او تعللا بتكبرها واخف

وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به
والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه
حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في
امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها
ولم يبق له فيها حاجة فطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن
الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته
بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي ان الله تولى انكاحي وانتن
زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على
قوة ايمانه لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة
للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله
امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم
سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما
اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات
الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا
يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا
فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه
وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر
والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم ولكن
رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير
والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف
ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر
وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق
منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلوة والسلم في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا
ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ
وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس
والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا
وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد
التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد
بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام

بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو
وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع
والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم
مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان
بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم
من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول
الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم
لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم
وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده
وما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة
ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات
الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم
او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين
تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة
او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا
اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه
فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة
المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر
بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا
بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي تماسوهن فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن
تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها
والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها
مخففة على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي
عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان
لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما
يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف
المفروض دون المتعة ويجوز ان يؤول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب
فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا
جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير
لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن لان المهر

أجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدو امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانى بنت ابى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لانى لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اى اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اى لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اى خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطى حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغى ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقى وقرأ البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او

من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائى اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اى ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعنى ان اخراجكم حق فينبغى ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيى فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن المتاع من وراء حجاب ستر روى ان عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روى ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضى الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعنى ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استئناف لمن لم يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما

نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما
لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله وإله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق
او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد
والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء
شهيدا لا تخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه يا
ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد
وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب
الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة
على غيره تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد
عز وجل وان كان عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر
والمعاصي او يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك و
ذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين
لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا
واثما مبينا ظاهرا روي انها نزلت في منافقين يؤذون عليا رضه وقيل في اهل الافك
وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن
اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن
يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا
لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم
والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون
في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة
وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم
او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار
الرسول اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم
او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما
ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا
من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا
في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها او لا يقدر احد
ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء او تعنتا او امتحانا قل انما علمها

عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة
عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين
واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الاتقاد خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار
تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب و
متعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب
ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين
من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كثيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء
اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله
مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه
بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات
هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه
بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها
ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه
فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضد
كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها
ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي
فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق
بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو
عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير
الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف
للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها
الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن
ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا
بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام
وخلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني
فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه
مثل ذلك فتحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة

العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبإبائهن الاباء الطبيعي
الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما
غلب عليه من القوة الطبيعية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل
ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما
وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على
المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجة كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر
التوبة في الوعد اشعارا بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا
رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة
الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر سورة سبأ مكية وقيل الا ويرى الذين
اوتوا العلم الآية وآيها خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد
لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته
وله الحمد في الآخرة لان ما في الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على
انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بوساطة من
يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء
يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها
كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق
والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور
للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين
كفروا لا تأتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات
لما نفوه وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات
تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن
عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع
على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا
جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى
لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله
لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين
سعوا في آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير
وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز من سيء العذاب
اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة

ومن شايعهم من الامة او مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق
جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي
العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند
مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد
والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق
جديد انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير
ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله
لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم
وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحديد من حد و
قيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق
والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص
من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات
لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه
وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة واستحقاقهم
له والبعد في الاصل صفة للضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما
بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء
تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى
جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء و
الارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا
لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء
لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية
لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في امره ولقد آتينا داود منا
فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك
والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق
صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ
اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا
او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها
للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان
يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير

فبدأ به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور
كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها وألنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء
من غير احماء وطرق بآلاته او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات
دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب
حلقها او قدر مساميرها فلا تعملها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق وردّ بان دروعه لم تكن مسمرة
ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه
ولسليمن الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح والرياح بالرفع اي ولسليمن الريح مسخرة غدوها
شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها
واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك
سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة
من مبتدأ وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ
يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن
شريفة سميت به لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على
ما اعتاده من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد
وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه واذا اراد ان يصعد بسط الاسدان
له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار
جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي
لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا
له واعبدوه شكرا او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر
بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي
شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي على
سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها
وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل
اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا تأكل منسأته عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها
تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين
ومنساءة على مفعالة كميضاة وميضأة ومن سأته اي طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيها
لغتان كما في قحة وقحة وقرأ نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة
ساكنة وحمزة اذا وقف عليها جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر ان لو
كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حيث
ما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان مع ما في حيزه بدل منه اي ظهر ان
الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس في موضع

فسطاط موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم
بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس
له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها
الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت
يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة
وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ
لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم
القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرج بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في
مساكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقرأ
حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية
علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجازي المحسن
والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان جنتان بدل من آية او خبر
محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين
عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضامها
كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له
حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة
ورب غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة و
ربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من شكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل
كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة مؤذية فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم
سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب
او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء
الشجر وتركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة
وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة
والسلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط مر بشع فان الخمط كل نبات اخذ طعما من
مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوف على اكل لا على خمط فان
الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئ بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه
وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم
ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر
نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل يجازى بمثل
ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور

بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة
يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح
في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان المقال او الحال ليالي واياما متى
شئتم من ليل او نهار آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان
طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا
باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين
الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله
بتخريب القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعّد ويعقوب ربنا بالرفع باعد بلفظ الخبر
على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفيه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله
قراءة من قرا ربنا بعّد وبعُد على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث
بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون
تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام
وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك لآيات لكل صبار عن المعاصي
شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل
فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده
الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى
وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما
والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين
راى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة أتجعل
فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم
المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في
العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز
المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه
مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان
قل ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول
بصلته والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير
كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع
او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه
لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما
وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام

او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما
من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده
فلا ينفعهم شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له ان
يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم
لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم
توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين
والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر ويعقوب
فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم
لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة
لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء
ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير قوله
لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة
الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين
من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى
المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من
التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة
الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء
ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك
لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال
عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل
الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين
الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى
به قل اروني الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو
استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة
بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون
متسمة بالذلة متابية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة
للناس الا رسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم
او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس
على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون
متى هذا الوعد يعنون المبشر به او المنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان

صاد نحن مخاطبون به رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد بيوم او زمان وعد واضافته
الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستأخرون عنه ساعة
ولا تستقدمون اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من
التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه
من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم
فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول
يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا
للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول عليه
الصلوة والسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ
جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم
حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد
بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف
يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر
الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما راوا العذاب واضمر الفريقان
الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من
الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا
اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض
وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من
قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك في
الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به
كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن
بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان
يوجبانه لم يكن بمشيته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف
والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم واولادكم او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ باللذي
اي بالشيء الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد
لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او

من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه
والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف
ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه الكلام بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ
بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها
معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار
وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو
خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين
والمستضعفين ثم يقول للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم
واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملئكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب
منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم
لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم
عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله
وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملئكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول
للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا
ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه
وقالوا ما هذا يعنون القرآن الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه
او اعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين
من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فيه من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب
بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من
نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة
وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا
وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان نكير
فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير
في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء
قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام
من مجلس رسول الله او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى
متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا في امر محمد

صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل والبيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني
ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف
في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان
فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية
والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه
لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد
نفي السؤال فانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع لانه اما ان يكون
لغرض او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما
اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى
واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع
يعلم صدقي وخلوص نيتي قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل
فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة
محمولة على محل اسم ان او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة
لربي او مقدرة باعني والغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور وبالفتح كالصبور على انه مبالغة
غائب قل جاء الحق اي الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق
له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم
لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدئ خيرا لاهله
ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي
فان وبال الضلال عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل
الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب
يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر
وجواب لو محذوف مثل لرأيت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من
مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على
فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا
به بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا
الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم
في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله
من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها او انه من نأشت الشيء
اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش اليك نأش القدر النؤوش او من نأشت اذا تأخرت
ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول
من بعد وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف

ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول من المطاعن او في
العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبه التي
تمحلوها في امر الرسول وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من
يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان
يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون
تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين
ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة
الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك
نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول
ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا والله اعلم سورة الملائكة عليهم السلام مكية
وهي خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر
السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة
محضة لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين
من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون
اليهم آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة
بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون
فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه عليه الصلوة
والسلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة
على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف
الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور
المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت
وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل
دون بعض انما هو من جهة الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز
السبب للمسبب من رحمة كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك
فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق
يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه
وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان
ولما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه
فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف
بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من
خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون

عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام
بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء و
يرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له او كلام مبتدا وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق
مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اى فتأسَّ بهم في الصبر
على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة
التسلية والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها
الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم
المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على
دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة
فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى
الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل
الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا تقرير له اى افمن زين له بان غلب وهمه وهواه
على عقله حتى انتكس رايه فراى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق و
استحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب
والفاءات الثلث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع
الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة افعالهم المقتضية للتاسف وعليهم ليس صلة
لها لان صلة المصدر لا يتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون
فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا على
حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان
احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار
الامر فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب
فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في
الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اى مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة
المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل في
كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد
العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا اى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل
عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد

والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في
يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان و
يقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء للمفعول والمصعد
هو الله او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القران وعنه عليه
الصلوة والسلم هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء
فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات
يعني مكرات قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الراي في احدى ثلث حبسه
وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور يفسد
ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق ادم منه ثم
من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر
لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان
لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا
يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل
ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره
وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل الا في
كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن
والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق
بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما
وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود
بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن
والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى
وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك العذب من
المنافع والمراد بالحلية اللالي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا
من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة
ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم
القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها
موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدا في قران والذين تدعون

من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم
على الانفاع او لتبرئهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه
او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك
وهو الله سبحانه وتعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به
عن آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف
الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار
سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني
الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك
على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس
اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون
اثقال اضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس
اثقلها الاوزار الى حملها بحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه نفي ان يحمل
عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها واضمر
المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها
لا يلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس في
خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين
لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما
يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم
على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل
ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا
لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم
وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات
تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان
الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور
ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك
الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق
محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا
بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي
او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل

او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابرهيم وبالكتاب المنير كالتورية و
الانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بها واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت
الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها
من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق يقال جدة
الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين
وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على
بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون ومنها غرابيب متحدة اللون
وهو تاكيد مضمر يفسره فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك
في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار
الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار
والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله
فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام انا اخشاكم لله واتقاكم ولهذا اتبعه ذكر
افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ
برفع الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز
غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان
الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد
بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل
السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور
لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها
الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك
ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور
لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا
والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو
الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته
تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن
والظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار
على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا
الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه او اورثناه من الامم السالفة

والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا
من عبادنا يعنى علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر
الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به ومنهم مقتصد يعمل به فى اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم
وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث
صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة
بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون
فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين
ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو
الفضل الكبير اشارة الى التوريث والاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر
والضمير للثلثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات
منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال
مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية
للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اى من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب فى صفاء اللؤلؤ و
نصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا
الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقيل
الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذى احلنا دار المقامة دار الاقامة من
فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب
كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفى النصب نفى ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا
يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون
عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت
زيد استعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور مبالغ فى الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى
على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون
من الصراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل
صالحا غير الذى كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه
من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح
والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ
لهم وما يتذكر فيه متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين
الى الستين وعنه عليه الصلوة والسلام العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة و
العطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى او الكتاب
وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم

ان الله عالم غيب السموات والارض فلا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات
الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذى جعلكم
خلائف فى الارض ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء
جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا
يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من
الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله
وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعنى آلهتهم والاضافة
اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله او لانفسهم فيما يملكونه ارونى ماذا خلقوا من الارض بدل
من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبرونى كانه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء ارونى
اى جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك فى السموات ام لهم شركة مع الله فى خلق السموات
فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء
فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله
ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر على بينات فيكون ايماء الى ان
الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
لما نفى انواع الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء
الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك
منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال
والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث
امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان
قريشا بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول
الله لنكونن اهدى من احدى الامم او من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة
التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم اى النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق
استكبارا فى الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ اصله وان مكروا المكر السيئ فحذف
الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف ولا يحيق المكر
السيئ الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اى لا يحيق الله فهل
ينظرون ينتظرون الا سنت الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنت الله
تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعل غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان
ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

استشهاد عليه بما شاهدوه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد
منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه كان
عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على
ظهرها من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده
لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا
فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة
ان ادخل من اي باب شئت سورة يس وعنه عليه الصلوة والسلام تدعى المعمة تعم
صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة وهي مكية وآيها

بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم في المعنى والاعراب وقيل
معناه يا انسان بلغة طيء على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما
قيل من الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح كاين او للاعراب على اتل يس او باضمار
حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس واما ل الياء حمزة
والكسائي وحفص وروح وادغم النون في واو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائي وورش
ويعقوب وهو او القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم
لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على
صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان
دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله على انه اصله وقرئ بالجر على البدل من
القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم يعني
آباؤهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فتكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى الارسالة او الذي
انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا
فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم
غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون
لانه ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم
بحيث لا يغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلها بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال
واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤوسهم فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون ابصارهم
في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وجعلنا من
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ومن احاط بهم سدان
فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون
عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان
بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل

الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه
حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم
فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله وسواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون سبق في البقرة انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اي القرآن
بالتامل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله
او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم
انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من
الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل
وتاسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل
لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه
معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا
ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ
جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده
الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل
غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله
عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث وهو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا
عبدة الاصنام فارسل اليهم عيسى اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسالهما
فاخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض
فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال
لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى
شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به
فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون
من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين
فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر
بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت آلهتك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك ولها الشرف
قال ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء
ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني ادخلت سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت
شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة شمعون وهذين فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه
فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية

الجزء الثالث والعشرون

لكم علينا فتنتفي اختصاصكم بما تدّعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي إعمال ما بإلا وما
أنزل الرحمن من شيء وحي ورسالة إن أنتم إلا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم إنا إليكم
لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لأنه جواب عن إنكارهم
وما علينا إلا البلاغ المبين الظاهر البيّن بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسّن للاستشهاد
فإنه لا يحسن إلا ببينة قالوا إنا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم
له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا
طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم وقرئ طيركم معكم أئن ذكرتم وعظتم
به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد ألف بين
الهمزتين وفتح أن بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وإن وأن بغير استفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم
معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ بل أنتم قوم مسرفون قوم عادتكم الإسراف في العصيان
فمن ثم جاءكم الشؤم أو في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به
وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن بمحمد
صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أظهر
دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا على النصح وتبليغ الرسالة
وهم مهتدون إلى خير الدارين وما لي لا أعبد الذي فطرني تلطف في الإرشاد بإيراده
في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد تقريعهم على تركه
عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ولذلك قال وإليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد إلى
المساق الأول فقال أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة إني إذا لفي ضلال مبين فإن إيثار
ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر وإشراكه به ضلال بيّن لا يخفى
على عاقل إني آمنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا إيماني وقيل الخطاب للرسل فإنه
لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم قبل أن يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما
قتلوه بشرى بأنه من أهل الجنة أو إكراما وإذنا في دخولها كسائر الشهداء أو لما هموا بقتله رفعه الله
إلى الجنة على ما قاله الحسن وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول دون المقول له فإنه معلوم والكلام
استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصرة دينه ولذلك قال يا ليت
قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فإنه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول
له وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطاعة
على دأب الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره
وأنه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية أو مصدرية والباء صلة غفر أي بأي شيء غفر لي
يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم وما أنزلنا على قومه من بعده من بعد إهلاكه
أو رفعه من جند من السماء لإهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك

وفيه استحقار لإهلاكهم وإيماء بتعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا
أن ننزل جندا لإهلاك قومه إذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل
ما موصولة معطوفة على جند أي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة
إن كانت ما كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئت بالرفع على كان
التامة فإذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا إلى أن الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها
كما قال لبيد: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد إذ هو ساطع، يا حسرة على العباد
تعالي فهذه من الأحوال التي من حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليها ما يأتيهم من رسول
إلا كانوا به يستهزئون فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين
أحقاء بأن يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز أن يكون
تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا
ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل بإضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالإضافة
إلى الفاعل أو المفعول ويا حسره على العباد بإجراء الوصل مجرى الوقف ألم يروا ألم يعلموا وهو
معلق عن قوله كم أهلكنا قبلهم من القرون لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية لأن أصلها
الاستفهام أنهم إليهم لا يرجعون بدل منها على المعنى أي ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم
غير راجعين إليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وإن كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيامة
للجزاء وإن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بالتشديد بمعنى إلا فيكون إن نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لمحضرون وآية لهم
الأرض الميتة وقرأ نافع بالتشديد أحييناها خبر للأرض والجملة خبر آية أو صفة لها إذ لم يرد
بها معينة وهي الخبر أو المبتدأ والآية خبرها أو استئناف لبيان كونها آية وأخرجنا منها
حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا
فيها جنات من نخيل وأعناب من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فإن الدال
على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب
والأعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون أي شيئا من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة
مقامه أو العيون ومن مزيدة عند الأخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على
طريقة الالتفات والإضافة إليه لأن الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه أو جمع ثمار
وقرئ بضمة وسكون وما عملته أيديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوها
وقيل ما نافية والمراد أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الأول قراءة الكوفيين من غير هاء فإن
حذفه من الصلة أحسن من غيرها أفلا يشكرون أمر بالشكر من حيث إنه إنكار لتركه سبحان الذي
خلق الأزواج كلها الأنواع والأصناف مما تنبت الأرض من النبات والشجر ومن أنفسهم الذكر
والأنثى ومما لا يعلمون وأزواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا إلى معرفته وآية لهم الليل نسلخ

النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه فاذا هم مظلمون داخلون في
الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره
او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى
لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب
فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم
لا يعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون
فانها متحركة داما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي
يكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم
والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين
الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك
الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد
الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها
لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في اخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس
حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما
لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها
يصح لها وتتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في
آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فيطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة
على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل
المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول و
تبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل والتنوين عوض المضاف اليه والضمير
للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما
مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم
الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها
وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم
في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها وتخصيص الذرية لانه ابلغ في
الامتنان وادخل في التعجيب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل
فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم
يحرسهم عن الغرق او فلا اغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت
الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتع بالحياة الى حين زمان قدر لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا
ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوائب
الارض لقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة

او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا
محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كأنه قال واذا
قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله
على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم
به وتعليقهم الامور بمشيئته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش
حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك
وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له
ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية
لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون
ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم
ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون
فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش
وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع اختلاس وعن نافع
الفتح فيه والاسكان وكأنه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من
خصمه اذا خاصمه فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا
حالهم بل يموتون حيث تبغتهم ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم
من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا
ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن
هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما و
من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ
وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ
خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او
المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال
عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم
وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال
ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كانت التامة فاذا
هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما
عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب
الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم
لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ

ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز
ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهين بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على
الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال
جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر
المزينة متكئون وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون
والجاران صلتان له او تأكيد للضمير في شغل او في فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم
عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة
ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل
لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى
تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم
خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف
الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم
اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة
تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون
وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة لقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون و
قيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد
اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما قال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم
ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة
الشيطان لانه الآمر بها المزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه لكم
عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا
هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد
بشقيه او بالشق الاخير والتنكير للمبالغة والتعظيم او التبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق
المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان
مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين
وابن كثير وحمزة والكسائي بضمتين مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف
والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي
كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم
نختم على افواههم اي نمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون
ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم
حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه

بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او
بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم
وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا
مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون
عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي
ومضيا والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل
لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه
فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة
ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على
الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر
بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات
المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم
طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا
اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله
كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي
انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اي وما
يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله وقرآن مبين وكتاب
سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول
ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او
مؤمنا في علم الله فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول
ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعار
بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت
ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة
تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة
وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها
بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا وذللناها لهم
فصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل
جمعه وركوبهم اي من منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اي ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من
الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر افلا
يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوصل الى تحصيل هذه

المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة أشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم
المتظاهرة وعلموا أنه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور والأمر بالعكس
لأنه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم أو محضرون أثرهم في النار
فلا يحزنك قولهم فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من أحزن قولهم في الله بالإلحاد والشرك أو فيك بالتكذيب والتهجين
إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك أن يتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف
ولذلك لو قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين
تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لإنكاره حيث عجب منه و
جعله إفراطاً في الخصومة بيناً ومنافاة لجحود القدير على ما هو أهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة
النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس شيء وأمهنه شريفاً مكرماً بالعقوق والتكذيب روي أن
أبي بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيي هذا بعدما رم فقال
عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فإذا هو خصيم مبين فإذا هو بعدما
كان ماء مهيناً مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلاً أمراً عجيباً وهو
نفي القدرة على إحياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا إياه
قال من يحيي العظام وهي رميم منكراً إياه مستبعداً له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل
بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسماً بالغلبة ولذلك لم يؤنث أو بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل
على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الأعضاء قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فإن
قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم
يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة أصولها
وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها إلى بعض على النمط السابق وإعادة الأعراض
والقوى التي كانت فيها أو إحداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر الأخضر كالمرخ والعفار ناراً بأن
يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار فإذا أنتم منه توقدون لا تشكون
في أنها نار تخرج منه فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها
بكيفيته كان أقدر على إعادة الغضاضة فيما كان غضاً فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء
على المعنى كقوله فمالئون منها البطون أوليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما وعظم
شأنهما بقادر على أن يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالإضافة إليهما أو مثلهم في أصول الذات وصفاتها
وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بأنه لا جواب سواه وهو
الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات إنما أمره إنما شأنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن
فيكون أي تكون فهو يكون أي يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور
من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعاً لمادة الشبهة وهو قياس
قدرة الله على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفاً على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل
شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوه معللاً بكونه مالكاً للملك كله قادراً على كل شيء وإليه ترجعون

وعد

وعد ووعيد للمقرين والمكذبين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا أعلم ما روي في
فضل يس كيف خصت به فإذا أنه لهذه الآية وعنه عليه الصلاة والسلام إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن
يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين
مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون
بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون
عليه ويشهدون دفنه وأيما مؤمن قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه
حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على راسه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث
في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان سورة والصافات
مكية وآيها مائة وإحدى أو اثنتان وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفاً
فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها
تفيض عليهم الأنوار الإلهية منتظرين لأمر الله الزاجرين الأجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور
فيها أو الناس عن المعاصي بإلهام الخير أو الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه
على أنبيائه وأوليائه أو بطوائف الأجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والأرواح المدبرة لها والجواهر
القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون أو بنفوس العلماء الصافين
في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه أو بنفوس الغزاة
الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل أو العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف
لاختلاف الذوات أو الصفات والفاء لترتب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآيب فإن الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر أو الإشاقة إلى قبول الخير والتلاوة إفاضة
أو الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير أنه لفضل المتقدم على المتأخر
وهذا بالعكس وأدغم أبو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فإنها من طرف اللسان وأصول
الثنايا إن إلهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف
في كلامهم وأما تحقيقه فبقوله رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق فإن وجودها وانتظامها
على الوجه الأكمل مع إمكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من
واحد أو خبر ثان أو خبر محذوف وما بينهما يتناول أفعال العباد فيدل على أنها من خلقه والمشارق
مشارق الكواكب أو مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها
تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة وما قيل إنها مائة
وثمانون إنما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال إنا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب
بزينة هي الكواكب والإضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب
على إبدالها منه أو بزينة هي لها كأضوائها وأوضاعها أو بأن زينا الكواكب فيها على إضافة المصدر إلى
المفعول فإنها كما جاءت اسماً كالليقة جاءت مصدراً كالنسبة ويؤيده قراءة أبي بكر بالتنوين والنصب
على الأصل أو بأن زينتها الكواكب على إضافته إلى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر

من السيارات فان الست المتوسطة منها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم تتضح وفي ذلك فان اهل الارض
يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او
العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد
خارج من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدا لبيان حالهم بعدما حفظ السماء
عنه ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ
على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة
لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب
السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء
اذا قصدوا صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او
حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل
ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب آخر واصب
دائم او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن
بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ
خطّف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب اتبع بمعنى تبع
والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف
ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث
انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد
الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرة
وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد
مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من
النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية
اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم
والضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء و
الارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب انا خلقناهم من طين لازب
فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود وان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم
والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة
ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان
قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم
او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم

كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها
سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون
من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني عجبت
منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن
يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري
الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا
ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون
به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا رأوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون
في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه
الا سحر مبين ظاهر سحريته أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون اصله انبعث اذا
متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان
البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة
الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية اوآباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها
او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم و
سكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما
اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال
اي الله او الرسول ونعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا
كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا
صاح عليها وامرها بالاعادة كما مر كن في لا يدل ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون فاذا هم
قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين
اليوم الذي يجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون
جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن
والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف
وقيل منها الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب
مع عبدتها لقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما
كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص
بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين ظلموا المشركون فاهدوهم
الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسئولون
عن عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم متعددا ما لكم لا تناصرون
لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم
وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله

واقبل بعضهم على بعض يعني الروسا والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسال بعضهم بعضا للتوبيخ
ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير
كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين و
اشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح وعن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف
فانهم كانوا يحلفون لهم انهم الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل
كنتم قوما طاغين اجابهم الروساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم
ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا
قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بين ان ضلال الغاوين ووقوعهم في العذاب
كان امرا مقتضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي
فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء
غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين
في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله
الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء
به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك
وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف
في غير المحلى باللام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة
فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام
ومحض اللذة ولذلك فسر بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس
واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون
في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم جنات ليس فيها الا
النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك على سرر يحتمل الحال والخبر
فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير
مكرمون يطاف عليهم بكاس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب
معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون من معان الماء اذا نبع وهو صفة الماء
وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب
من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكاس
ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي
تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله
يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف و

منزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس براسه
وقرا حمزة والكسائي بكسر الزاي وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه
واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم
قاصرات الطرف عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون
عن الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل
بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال
وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ
تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل
منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق
بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون
لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك
القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك
القرين وقيل فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون
وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به
او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه
اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت
لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي
بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اي نحن
مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي
كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل
وقيل على الاستثناء وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة
الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا
لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما
هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل مثل هذا يجب
ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين
اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال
وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما
يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة
سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء
في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر
على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة

تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفايق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اي بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا اباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الاباء في الضلال فهم على اثارهم يهرعون والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا اثارهم ولقد نادانا نوح شرع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه في الاخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الاخرين يعني كفار قومه وان من شيعته لابراهيم ممن شايعه في الايمان واصول الشرع ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من افات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا الهة دون الله تريدون اي اتريدون الهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان تقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به والهة بدل

منه على انها افك في انفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم به عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا من قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فراى مواقعها واتصالاتها او في علمها او كتبها ولا منع فيه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سالوه ان يعيد معهم فقال اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى عيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب بكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تاكلون يعني الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه بمعنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الالة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه يزفون الى ابرهيم بعدما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا بالهتنا الاية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرا حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اي يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فبإقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التاجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا تظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه للعبادة سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه الصلوة والسلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد

وانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم

وبانه ذكر سلفا وان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبيا باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما الصلوة والسلم وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا يبلغ فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقال معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى انه من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل عليه الصلوة والسلم لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان البشارة باسحق مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه الصلوة والسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرا حمزة والكسائي ماذا تُرى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المامور والاضافة الى المامور ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا الانبيا حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله فلما اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى منه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم

وناديناه

وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه الصلوة والسلم كان مامورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ... على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح عليه الصلوة والسلم كذلك نجزي المحسنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ بركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثله وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى عليهم الصلوة والسلم بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس وعنه ايضا ايليس وقرا ابن ذكوان مع خلاف عنه

عند همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير
منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة
اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار
فيه الى المقتضى للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اى في العذاب وانما
اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين
مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على ال ياسين لغة في الياس
كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه
باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسبة كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
على اضافة آل الى ياسين لانها في المصحف مفصول فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد
صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم لتمرون عليهم
على منازلهم ومتاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اى
ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء
افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب
واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون
المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن
مقام الظفر روى انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله به فركب السفينة فوقفت
فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فرمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه
من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم
كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن
الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ
بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت
روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه
واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون
وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اى فوقه مظلة عليه شجرة
من يقطين من شجرة ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام
به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز يغطي بورقه

ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى
والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اى اذا نظر اليهم
قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او جددوا الايمان بمحضره
فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما
وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في
آخر السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا
باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا
بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات
الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله فان الولادة مخصوصة
بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين
له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا
وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين
لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل
للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال
ذلك لا تعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء
والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله
لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اى الملائكة ولده
فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين استفهام
انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام
لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله
مالكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة
نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة
وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان ولقد علمت
الجنة ان الكفرة او الانس والجنة ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما
يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او متصل
ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم
عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس باغوائه الا من هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه
من اهل النار ويصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز
ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اى انكم وآلهتكم قرناء
لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا

النار مثلكم وقرئ صالُ بالضم على انه جمع محمول على معنى مَن ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاكٍ في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امره في تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا عباد الله تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيامة وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركو قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نُزِل على اسناده الى الجار والمجرور اي نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي عليه الرضوان

من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر على تأويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد صلى الله عليه وسلم او للسورة خبرا لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر لكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتها وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولاتِ بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال ومن قيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقول على الله اجعل الآلهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي

لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من
ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ من كرام وكرّام روى
انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد
علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسئلونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ماذا
يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم
امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله
الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا
واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن
مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة
اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا
لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد او ان هذا الذي يدعيه من
التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان
دينكم يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا آباءنا
او في ملة عيسى عليه الصلاة التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا
من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا
الا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم
او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي
بل هم في شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس
في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب
بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب
فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن
رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز اي الغالب
الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي
لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير
من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان
كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر

العالم

العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل
المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير
الالهية والتصرف في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك
اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا
فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ
من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا
كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها
ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم
قوم شعيب اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل
الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون
تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع
او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك والاحزاب فانهم
كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله الا صيحة واحدة وهي النفخة ما لها من
فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن
الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من
العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه وقيل لصحيفة الجائزة
قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب
استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكرهم قصته تعظيما للمعصية
في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن
منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة
واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال
عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان أيد وذو ايد وآد وأياد بمعنى
انه اواب رجاع الى مرضاة الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين
وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره
ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال
بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها
وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ رضي الله عنها
انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت
صلاة الضحى الا بهذه الآية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان

المحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب
كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على
الموافقة في التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا
ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى
بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلم فقال صدقت اني قتلت اباه
غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة اي النبوة وكمال العلم واتقان العمل
وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار و
الحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة
وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول
صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى
استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق على الجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة
تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ
على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او
بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ اذ دخلوا على
داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس
على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه الصلوة والسلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما
للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان في يوم الخلوة
قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على
بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط
ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل
من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا
اخي بالدين او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان وقد يكنى بها
عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء
ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل
اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب وغلبني في المخاطبة اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر
على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ
وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم
محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير
صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى الآخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا
من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون
الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض

الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم
وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه
لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا
كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه الاشعار
بانه ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه
وما روي ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح
فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار
المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها
هزء وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته
مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا
عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله
فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة
بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك
على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق
بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي
وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون
عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل
فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد
والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر
مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين
كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها للانكار والتسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها
باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا
بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار
الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول
بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه
او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك
مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها
من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء

امنک ولیتذکر اولوا الالباب ولیتعظ به ذووا العقول السلیمة او لیستحضروا ما هو کالمرکوز فی عقولهم
من فرط تمکنهم من معرفته بما نصب علیه من الدلائل فان الکتب الالهیة بیان لما لا یعرف الا من الشرع و
ارشاد الی ما لا یستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذکر للثانی ووهبنا لداود سلیمان
نعم العبد ای نعم العبد سلیمان اذ ما بعده تعلیل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الی الله بالتوبة
او الی التسبیح مرجع له اذ عرض علیه ظرف لاواب او لنعم والضمیر لسلیمان عند الجمهور بالعشی بعد
الظهر الصافنات الصافن من الخیل الذی یقوم علی طرف سنبک ید او رجل وهو من الصفات
المحمودة فی الخیل لا یکاد یکون الا فی العراب الخلص الجیاد جمع جواد او جود وهو الذی یسرع فی جریه
وقیل الذی یجود بالرکض وقیل جمع جید روی انه علیه الصلوة والسلام غزا دمشق ونصیبین
واصاب الف فرس وقیل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم یزل یعرض
علیه حتی غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد کان له فاغتم لما فاته واستردها فعقرها
تقربا الله فقال انی احببت حب الخیر عن ذکر ربی اصل احببت ان یعدی بعلی لانه بمعنی آثرت لکن
لما انیب مناب انبت عدی تعدیته وقیل هو بمعنی تقاعدت من قوله مثل بعیر السوء اذا
حبا ای برک وحب الخیر مفعول له والخیر المال الکثیر والمراد به الخیل التی شغلته ویحتمل انه سماها
خیرا لتعلق الخیر بها قال علیه الصلوة والسلام الخیل معقود بنواصیها الخیر الی یوم القیمة حتی توارت
بالحجاب ای غربت الشمس شبه غروبها بتواری المخبأة بحجابها واضمارها من غیر ذکر
لدلالة العشی علیه ردوها علی الضمیر للصافنات فطفق مسحا فاخذ یمسح السیف مسحا بالسوق
والاعناق بسوقها واعناقها یقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقیل جعل یمسح بیده
اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن کثیر بالسؤق علی همز الواو لضمة ما قبلها کمؤق وعن
ابی عمرو بالسؤوق وقری بالساق اکتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سلیمان
والقینا علی کرسیه جسدا ثم اناب واظهر ما قیل فیه ما روی مرفوعا انه قال لاطوفن اللیلة
علی سبعین امراة تأتی کل واحدة بفارس یجاهد فی سبیل الله ولم یقل ان شاء الله فطاف علیهن
فلم یحمل الا امراة جاءت بشق رجل فوالذی نفس محمد بیده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا
وقیل ولد له ابن فاجتمعت الشیاطین علی قتله فعلم ذلک فکان یغذوه فی السحاب فما شعر به
الا ان القی علی کرسیه میتا فتنبه علی خطائه بان لم یتوکل علی الله وقیل انه غزا صیدون من
الجزایر فقتل ملکها واصاب ابنته جرادة فاحبها وکان لا یرقأ دمعها جزعا علی ابیها فامر
الشیاطین فمثلوا لها صورته وکانت تغدو الیها وتروح مع ولائدها یسجدن لها کعادتهن
فی ملکه فاخبره آصف فکسر الصورة وضرب المراة وخرج الی الفلاة باکیا متضرعا وکانت له
ام ولد اسمها امینة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وکان ملکه فیه فاعطاها یوما فتمثل لها
بصورته شیطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس علی کرسیه فاجتمع علیه الخلق ونفذ
حکمه فی کل شیء الا فی نسائه وغیر سلیمان عن هیئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان
الخطیئة قد ادرکته فکان یدور علی البیوت یتکفف حتی مضی اربعون یوما عدد ما عبد

الصورة فی بیته فطار الشیطان وقذف الخاتم فی البحر فابتلعته سمکة فوقعت فی یده فبقر بطنها فوجد
الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد الیه الملک فعلی هذا الجسد صخر سمی به وهو جسم لا روح فیه
لانه کان متمثلا بما لم یکن کذلک والخطیئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثیل کان جائزا
وسجود الصورة بغیر اذنه لا یضره قال رب اغفر لی وهب لی ملکا لا ینبغی لاحد
من بعدی لا یتسهل له ولا یکون لیکون معجزة لی مناسبة لحالی او لا ینبغی لاحد ان یسلبه منی بعد
هذه السلبة او لا یصح لاحد من بعدی لعظمته کقولک لفلان ما لیس لاحد من الفضل والمال علی ارادة
وصف الملک بالعظمة لا ان یعطی احد مثله فیکون منافسة وتقدیم الاستغفار علی الاستیهاب
لمزید اهتمامه بامر الدین ووجوب تقدیم ما یجعل الدعاء بصدد الاجابة انک انت الوهاب
المعطی ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الریح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقری الریاح
تجری بامره رخاء لینة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته کالمأمور المنقاد حیث اصاب
اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب والشیاطین عطف علی الریح کل بناء وغواص بدل
منه وآخرین مقرنین فی الاصفاد عطف علی کل کانه فصل الشیاطین الی عملة استعملهم فی الاعمال
الشاقة کالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فی السلاسل لیکفوا عن الشر ولعل
اجسامهم شفافة صلبة فلا تری ویمکن تقییدها هذا والاقرب ان المراد تمثیل کفهم عن الشرور
بالاقران فی الصفد وهو القید وسمی به العطاء لانه یرتبط بالمنعم علیه وفرقوا بین فعلیهما
فقالوا صفده قیده واصفده اعطاه عکس وعده واوعده وفی ذلک نکتة هذا عطاؤنا ای هذا
الذی اعطیناک من الملک والبسطة والتسلط علی ما لم یسلط به غیرک فامنن او امسک
فاعط من شئت وامنع من شئت بغیر حساب حال من المستکن فی الامر ای غیر محاسب علی منه
وامساکه لتفویض التصرف فیه الیک او من العطاء او صلة له وما بینهما اعتراض والمعنی انه عطاء
جم لا یکاد یمکن حصره وقیل الاشارة الی تسخیر الشیاطین والمراد بالمن والامساک اطلاقهم
وابقاؤهم فی القید وان له عندنا لزلفی فی الآخرة مع ما له من الملک العظیم فی الدنیا وحسن مآب
هو الجنة واذکر عبدنا ایوب هو ابن عیص بن اسحق وامراته لیا بنت یعقوب اذ نادی ربه
بدل من عبدنا وایوب عطف بیان له انی مسنی بانی مسنی وقری باسکان الیاء الشیطان
بنصب بتعب وعذاب الم وهو حکایة لکلامه الذی ناداه به ولولاها لقال انه مسه
والاسناد الی الشیطان اما لان الله تعالی مسه بذلک لما فعل بوسوسته کما قیل انه اعجب
بکثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم یغثه او کانت مواشیه فی ناحیة ملک کافر فداهنه ولم یغزه
او لسؤاله امتحانا لصبره فیکون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الی
اتباعه حتی رفضوه واخرجوه من دیارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما کان
یوسوس الیه فی مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ویغریه علی الجزع وقری یعقوب
بفتح النون علی المصدر وقری بفتحتین وهو لغة کالرشد والرشد وبضمتین للتثقیل
ارکض برجلک حکایة لما اجیب به ای اضرب برجلک الارض هذا مغتسل بارد وشراب

اى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اى تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل
نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الباردة ووهبنا له اهله ومثلهم
معهم بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان
رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولى الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى
الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش
ونحوه فاضرب به ولا تحنث روى ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم بن
يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى
رخصة باقية فى الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه فى النفس والاهل والمال ولا يخل
به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة
ان يفتنه او قومه فى الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر
عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب وقرأ ابن كثير عبدنا على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف
بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه او على وضع الجنس موضع الجمع اولى الايدى والابصار اولى القوة
فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال
لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال
انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها
هى ذكرى الدار تذكرهم الآخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم
فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها
الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى
الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين
عليهم فى الخير الاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خيّر او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت
او ميْت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ
واللام فيه كما فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرأ حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول
من الليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر الى الله
وكل اى وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر
وهو القرآن ثم شرع فى بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب جنات
عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده
وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين
على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب اتراب لدات
لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب
فانه يمسهن فى وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع اى الامر هذا

اوهذا

او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم
فبئس المهاد المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله
لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان
يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق
من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائى غسّاق
بتشديد السين وآخر اى مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان وأخر اى ومذوقات اخر او انواع
عذاب آخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على انه لما
ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهى لغة ازواج اجناس
خبر لآخر او صفة له او للثلاثة الحميم والغساق وآخر او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا
فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم
فى الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم
او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم لا مرحبا اى ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار
داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اى الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
فى النار مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين من العذاب وقالوا
اى الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين
يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر
وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقرأ نافع
وحمزة والكسائى سخريا بالضم وقد سبق مثله فى سورة المؤمنين ام زاغت عنهم الابصار
فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفى رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا هاهنا ام زاغت
عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام كان
لزيغ ابصارنا وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذى حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم
بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل
من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد
الذى لا يقبل الشركة والكثرة فى ذاته القهار لكل شئ رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها
واليه امرها العزيز الذى لا يغلب اذا عاقب الغفار الذى يغفر ما شاء من الذنوب لمن شاء وفى هذه
الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو
به هو الانذار قل هو اى ما انبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد فى الالوهية وقيل
ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادى غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله
كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لى من علم بالملأ
الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد فى الكتب المتقدمة
من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحى واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى

كأنه

ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اى لانما كانه لما جوز ان الوحى يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله
انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة انى
خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة
على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم عليه الصلوة والسلم واستحقاقه الخلافة والسجود على ما
مر فى البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود هنا وهو انذار
المشركين على استكبارهم على النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ما حاق بابليس على استكباره على
آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما
يعم الله والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحى واحييته بنفخ الروح
فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد
مر الكلام فيه فى البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من
الكافرين باستكباره عن امر الله واستكباره عن المطاوعة او كان منهم فى علم الله قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى خلقته بنفسى من غير توسط اب وام والتثنية لما فى
خلقه من مزيد القدرة او اختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار
بانه المستدعى للتعظيم او بانه الذى تشبث به فى تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم
بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين
تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل
كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا
خير منه ابدى المانع وقوله خلقتنى من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام
فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل
الكرامة وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه فى الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا
قلوبهم لله على اختلاف القرائتين قال فالحق والحق اقول اى فانا الحق واقوله وقيل الحق الاول
اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق
المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اى الحق يمينى او قسمى او الخبر اى انا الحق
وقرئا مرفوعا على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم فى
الاول وحكاية لفظ المقسم به فى الثانى للتوكيد وهو شائع فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول
وجر نصب الثانى وتخريجه على ما ذكرنا والضمير فى منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد منك
من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تأكيد له او للضميرين قل ما اسألكم
عليه من اجر اى على القرآن او تبليغ الوحى وما انا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على

ما عرفتم من حالى فانتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن
نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيانه ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة
او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له
بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير
سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم وآيها خمس وسبعون
او ثنتان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب
خبر مبتدأ محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل
او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة
وعلى الثانى القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم انا انزلنا اليك الكتاب
ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا
له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد
الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراء مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه
وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص اى الا هو الذى وجب اختصاصه بان يخلص
له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على السرائر والضمائر والذين اتخذوا من
دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى عليه الصلوة والسلم
والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ
خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول ان الله يحكم بينهم وهو
على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال
وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم
النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة
ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدى
لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا
لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق لقيام الدلالة على امتناع وجود
واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم
مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجود
المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب
من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد
ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار
على الليل يغشى كل واحد منهما الآخر كانه يلفه عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب
الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل
يجرى لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على

شئ الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم
من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال آخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوءا
به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلث دلالات خلق آدم
اولا من غير اب وام ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف
على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها
زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية
وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حوا وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه
توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة منها كاشعة
الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز
يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيه من عجائب
القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا
سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف
في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله
الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره
فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى
لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير
ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك
وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا
مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم اذا
خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعو اليه
اي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق
الذكر والانثى من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح
الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع
بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهي لا سند له واقناط الكافر من
التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستئناف للمبالغة امن هو
قانت قائم بوظائف الطاعات آناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير
ام هو قانت او منقطعة فالمعنى بل امن هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف
الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئ بالرفع
على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه في موقع الحال او الاستئناف
للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة
العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل

التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر
اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم
طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة
في الآخرة وقيل معناه احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه الدنيا بيان لمكان
حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه
انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب
اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة
والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى
اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت
بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول
من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة
والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه
لما يلزم من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم
في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص
والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له
ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا
بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا
ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم
بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران
وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من
اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم
لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من
النار ومن تحتهم ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به
ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت
البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت
ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها بدل الاشتمال منه وانابوا
الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند
حضور الموت فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع
ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون
الافضل فالافضل اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة

عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها افمن حق عليه
كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أ
انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد
ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف
وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت
تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك وللاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من
فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الانهار
اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد
لان الخلف نقص وهو على الله محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع
في الارض عيونا ومجاري كائنة فيها او مياها نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على
المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من
خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج ثم يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه
مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم
دبره وسواه او بانه مثل الحيوة الدنيا فلا تغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن
شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر عنه عمن خلق نفسه شديد الاستعداد
لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابل للاسلام
فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انشرح
وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل
نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون
عن مكان من لان القاسي من اجل الشيء اشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه لسبب اخر وللمبالغة
في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة
القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادني نظر والاية نزلت في حمزة وابي
لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القران روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا
له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد وتفخيم للمنزل واستشهاد على
حسنه كتابا متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب
النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف
به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وايات والانسان عظام وعروق واعصاب
او جعل تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه
من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من
القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق

للاشعار

الجزء الرابع والعشرون

للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمن معنى السكون
والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب او الكائن
من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما
له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة
يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو امن منه فحذف
الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم
واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة
كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم
ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي
والاجلاء ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من
اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل
يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرانا عربيا حال من هذا والاعتماد
فيه على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما فهو
ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج
من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة
على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما
لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون
فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه
والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء
والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ
بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل
سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا
صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان المراد
هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل
الحمد لله كل الحمد لله لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق
بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل
بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب
على الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد
وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في العناد والكذب
ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل المراد به الاختصام
العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة

الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو محمد صلى الله عليه وسلم او ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لا
عمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم
صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ بما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق
وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين اولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول
والمصدق ابو بكر وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدَق به بالتخفيف اي صدق
به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصُدِّق به على
البناء للمفعول لهم ما يشاؤون عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله
عنهم اسوأ الذي عملوا خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار
بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ
ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء
ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة
الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات
والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر
بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا
لعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد
اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه الصلوة والسلام لانه الآمر له بما خوف
عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه
الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام
ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية
قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارأيتم بعد ما تحققتم ان خالق
العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع
هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر
اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة
تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرأ ابو بكر
مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان
حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا
عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم

الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط
مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق متلبسا بالحق فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه ومن ضل
فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت
بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان
بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في
النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائي قُضي بضم القاف وكسر
الضاد ورفع الموت ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب
لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما
شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحيوة فيتوفيان
عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك من التوفي والامساك و
الارسال لآيات دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان
وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة
والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي آجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش
من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي ويشفعون ولو كانوا على هذه
الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون
به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد
شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كله
لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له
ايضا واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت
واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى
ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجأة
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم
وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلي لهم
من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار
عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب
بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من

اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا
خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم مني
بوجوه كسبه او بانى ساعطاه لما لي من استحقاقه او من الله بي واستحقاقي والهاء لما ان جعلت
موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو
رد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك
وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها
كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء
اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين
ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا
كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين
فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا
ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بوسط او
بغير وسط قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف
في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله
لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد
وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على الاطلاق فيما عدا الشرك قوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به الآية والتعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر
والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة
والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا
عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع
الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال
الا من اشرك ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس
بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش و
الوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد
من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص
او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان يأتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس كراهة ان تقول

وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني
كريم ينفض الرأس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت قصرت في جنب الله في
جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى
عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن
الحشرج وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله وان كنت نصب على
الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من
المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين
في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته
بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه
قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل
بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير
قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى
وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ
الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر
ان ترى من رؤية البصر واكتفي فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان
والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة
من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب
وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم
السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استئناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان
وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السماوات والارض لا يملك امرها ولا
يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص
لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته
اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي
صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر
الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل
شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السماوات والارض
من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله
الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم
للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين ان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد
والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السماوات
والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل

افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد
وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن بالهك
لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى تعبّدونني على ان اصله
تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبدَ بالنصب وقرأ ابن عامر
تأمرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك
والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد
الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في
قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران
عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على
الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص
وما قدروا الله حق قدره وما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء
ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه تنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة
الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار
القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت
بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب
على الظرف تشبيها للمؤقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع
ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة
في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او
ما يضيفون اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى فصعق من في السموات ومن في
الارض خروا امواتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم
يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول
ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام
قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى
يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض
بنور ربها بما اقام فيها من العدل وسماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم
ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور يخلق فيها
بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء
من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم

الجنس

الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ تقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم
وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا
يظلمون بنقص الثواب او زيادة عذاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت
جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين
كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة
والشرارة جمع زمرة وهي الجمع القليل واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة
لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاءوها
فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف
التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل
على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم علّلوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا
بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم
بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص
ذلك بالكفرة وقيل هو قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام
فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن
الحق دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنها
كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت
على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى
يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا
بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت
مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة
على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل
مجيئهم منتظرين وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس
المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم
وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة
وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما
يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة
مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى
الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف

يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وآيها خمس او ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم امالها ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترهيب والترغيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لا دحض امر التنزيل بحمل الكفر على الجدال فيه بالطعن فيه وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فأخذتهم بالاهلاك جزاء لهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او

الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم بما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا وهو بيان يستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا الثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء اعمالها الخبيثة الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر واحييتنا اثنتين الحياة الاولى وحياة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءتان ما في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا

بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج
من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك
اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده متحدا او توحد وحده
فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم
لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم العلي الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم
على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم اياته الدالة
على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا اسباب
رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالايات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول
عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها
والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك
ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران اخران
للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من
ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم
الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد
الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي
الروح من امره على من يشاء من عباده خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات
لامره باظهار اثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن
امره بيانه لانه امر بالخير او مبدأه والامر هو الملك المبلغ يختاره للنبوة وفيه دليل على
انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب تؤيد
الثاني يوم التلاق يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض
والمعبودون والعباد والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون
لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى
على الله منهم شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما
يتوهم في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه في ذلك اليوم و
لما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما
حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه
ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها او المها لكنها لا تشعر بها
في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها والمها
لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله
شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اي القيامة سميت
بها لازوفها اي قربها او الخطة الازفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى

الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا
كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها
في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من
مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع
ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم
للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية
الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة
خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه
المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه والذين يدعون من دونه
لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرأ نافع بالتاء
على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه
بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال من يدعون من دونه اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل
قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه
ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وآثارا
في الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا
ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك
الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والاحكام الواضحة فكفروا
فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب
دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة
قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه
الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا
فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم
اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين
الا في ضلال اي في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعليل الحكم والدلالة على
العلة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي
تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع
كونه سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله
لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف ان لم اقتله
ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك

والمتكلم او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنيكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل
دينكم بالكلية وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن عامر والكوفيون
غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع كلامه اني عذت
بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدّر الكلام بانّ تاكيدا واشعارا على ان
السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ
والتربية واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة
ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل
له على القول وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عدت فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع
مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل
اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان
يقول او وقت ان يقول من غير روية وتامل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر
مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات
من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم
اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله فلا اقل من ان
يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه
كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا
عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد: تراك امكنة اذا لم ارضها * او يرتبط بعض النفوس
حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج
ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده
بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى
الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه
الله سبيل الصواب وطريق النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين
في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا
تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين
لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم
ما اشير اليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب
وقلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه
فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على
السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه
والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع

التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا
من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم
بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث
ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة
ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب
الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من
بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه الى النار
وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من
هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة
احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابرهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى
بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن
يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته من قبله تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده
رسول مع الشك في رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك
مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما يشهد به البينات
لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول
لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة اتاهم كبر مقتا
عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ
وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان
وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرئ قلبٍ بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر
لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب
متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا
ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات الطرق بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها
تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرا
حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد
منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها
ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف
على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى
عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى
الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل
سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ زين بالفتح وبالتوسط

السلطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى
بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اى خسار وقال
الذى آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل
الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل
الغي يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة
هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل
على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة
فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة
وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه
شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني
الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في
توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما
قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا
او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى
واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية
لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع
لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة
والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله
انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اى حق عدم دعوة آلهتكم الى
عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي ادعاء الربوبية او عدم دعوة مستجابة او عدم
استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه
ان لا دعوة بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع
كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية
الاصنام اى لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جُرْمَ انه يفعل لغة فيه كالرُّشد
والرَّشَد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك
وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند
معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله
بصير بالعباد فيحرسهم وكأنه جواب لوعيدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا
شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم
عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه

يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق او القتل والنار النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان
او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره
يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف
اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود
تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه
دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اى هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت
الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد
مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا
على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه
على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم
او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع
او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل
فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه
بمعنى كلنا وتنوينه عوض المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل
في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب وقال الذين في النار لخزنة
جهنم اى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها ويحتمل ان يكون
جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم
من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا
اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء
وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن في الدعاء
لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر
رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام من الكفرة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد
اى في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر
والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس
من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع
المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء
الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع
واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية هدى وذكرى هداية
وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان

وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على
امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الأولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى
كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بالعشي والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل
صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتين عشيا ان الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان اتاهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين
قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار ان
في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان
النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ
اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها
مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون
فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم
واتباع اهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة
لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول
بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا
ما تتذكرون اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء
على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب فيها في مجيئها
لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا
يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم
اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين
وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة
الدعاء فانه من ابوابها الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا
مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار
اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس
لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم
مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية
والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة
وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف
المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين
كانوا بآيات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتاملها الله
الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم

فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا
لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين
فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية لا اله الا هو
اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة
من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون
الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت
ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا
اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز
عطفه على لتبلغوا وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل
الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم
القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا
اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة
على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير موقوفة على العدد والمواد
الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة
لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية
وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال
في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل عطف
على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول
حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول والسلاسل بالجر حملا على
المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال واضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم
وعطفا الفعلية على الاسمية ثم في النار يسجرون ... العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم
قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان تقرن بهم
آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا
لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل
هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم
عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون
وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول
الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل
المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله

بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت
النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل
ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك
محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا
نعذبهم في الاخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل
عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة وما كان
لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر
القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله
بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون
المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا
منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر
ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة
عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك
للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ
والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين
والمنفعة ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاي ايات الله اي اية
من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته
متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات
لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
واشد قوة واثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل اثار اقدامهم
في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة
باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او
الايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم
الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الاخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب
وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع
ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم
فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون
الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يكن

يعني

بمعنى لا يصح ولا يستقيم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية
لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية الباس مسببة عن مجيء
الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن
الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي
وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له سورة
السجدة مكية وهي اربع وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم
حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل
خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاول بدل منه او خبر
اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة
ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه
مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت اياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت
اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرانا عربيا
نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون لقوم
يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت و
الاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع
على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون
سماع تامل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي اذاننا
وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل
ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدا منهم ومنك بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق
فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما تدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم
له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على ديننا او في ابطال امرنا انا عاملون
على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست
ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما
ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل
فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص
في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال
وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكاة لبخلهم وعدم
اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالاخرة هم كافرون
حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للاخرة ان الذين

ولعل المراد من قوله مخاطبون بالفروع انهم وان كانوا غير مكلفين بالاحكام لعدم تقدم الاسلام لكن يخاطبون [illegible] اركان الاسلام [illegible] الكفر والعصيان [illegible]

آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من
مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والزمنى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر
كأصح ما كانوا يعملون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين اي في مقدار يومين او بنوبتين
وخلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون ولعل المراد بالارض ما في جهة السفل من الاجرام
البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت
انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك
الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل
فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها
مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب
وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات وقدر فيها اقواتها
اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص
حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة
ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمس عشرة ولعله قال
ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء
اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل
حال من الضمير في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف
تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات
للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه
اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة
لقوله والارض بعد ذلك دحيها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان
امر ظلماني ولعله اراد به مادتها والاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض
ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرازا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة
والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب
للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد
عرفت ما فيه او لتأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة
وآتيا من المؤاتاة اي ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما
موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته
فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون
وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير
وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين فقضاهن سبع
سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع

ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا

سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر
والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا
او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها
ترى كأنها تتلألأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا
وقيل مفعول له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا
ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا
البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق
او الصعق او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم
واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار
ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم
ومن بعدهم اذ قد بلغتهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين
الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا
من كل مكان ان لا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا
ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر
مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على
اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان
من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر
عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر
اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس
نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او
النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء
وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب
الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل
صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الهدى بنصب الحجج وارسال
الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء
فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة

بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة على الهدى ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من
تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ نحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى
اذا ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد
عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها
آثارا تدل على ما اقترف بها فينطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي
ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس نطقنا بعجب من قدرة
الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في
الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود
وان يكون استئنافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا
جلودكم اي كنتم تستترون الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة
وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي
ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي
ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين
اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا
فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع الى
ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام
صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا
ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من
الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض
البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات
وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم
كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير
المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين
تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ
وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي
تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا يجوز ان يريد بهم هؤلاء القائلين او
عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك

وقرا نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء صح

ارديكم اي اهلككم

قيل اعتبني فلان اي ارضاني بعد اسخاطه اياي واستعتبته طلبت ان يعتب اي يرضى

الجزاء او خبر محذوف صح

الى الاسوء جزاء اعداء الله خبر النار عطف بيان لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار اقامتهم
وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا
بآياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا
ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان
وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر ارنا
بالتخفيف كفخذ في فخذ نجعلهما تحت اقدامنا ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك
الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا
بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة
او لانها عسير قلما تتبع الاقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات
على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئيات تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح
صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او عند الخروج من القبر الا تخافوا
ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدر بالباء او مفسرة
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا نلهمكم
الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة
حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها
ما تدعون ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن
احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني
من المسلمين تفاخرا به او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان
لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في
المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد
النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي
الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات واما
اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع
الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك
المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان
الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير
وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته
لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او
اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع
لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن

ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون للاشعار صح

النخس كت الاصبع للراحة

الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار
ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به
وعند ابي حنيفة اخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين
عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسأمون لا يملون ومن
آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ وربأت اي زادت
ان الذي احياها بعد موتها لمحيي الموتى انه على كل شيء من الاحياء والاماتة قدير ان الذين
يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها
لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى في النار خير امن يأتي آمنا يوم القيامة قابل
الالقاء في النار بالاتيان آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد
انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان
الذين يلحدون في آياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او
اولئك ينادون والذكر القرآن وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى
ابطاله وتحريفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من
الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم اي حكيم حميد يحمده
كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه
وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك
واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم
هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه
ءاعجمي وعربي أكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي يقال للذي لا يفهم
كلامه وان كان عربيا وقرئ اعجمي وهو منسوب الى العجم واعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد
هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود
ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور او للدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات
كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى الى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة و
الذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم
عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين
عطف ذلك على الذين آمنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم في عدم
قبولهم واستماعهم له بمن يصاح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالقيامة
وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الآجال لقضي بينهم باستئصال المكذبين وانهم وان اليهود

ومنه قراءة ابي بكر وحمزة والكسائي وقرأ قالون وابو عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد ابدال الثانية الفا وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير المد بتسهيل الثانية وقرأ هشام اعجمي على الاخبار

او الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التوراة او القرآن مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه
نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد
علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها
جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع
الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان يكون موصولة معطوفة
على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع بمكانه الا بعلمه الا مقرونا
بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائي بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا
من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال
عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا
من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل
لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي
لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان
مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط
من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن
هذا لي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة
تقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم كان لي
عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاق
لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا بما عملوا فلنخبرنهم بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما
اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا على الانسان
اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا
والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول
اطول الامتدادين واذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبروني ان كان اي
القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد
اي من اضل منكم وضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم
آياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم به من الحوادث الآتية وآثار النوازل
الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه
خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من
عجائب الصنع الدال على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او للرسول او التوحيد
او الله اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل اولم يحصل

الكفار به ولا يكاد يتوادّ في الغالب على الأمر كفى إنه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة أو مطلع فيعلم حالك وحالهم أو ولم يكف الإنسان رادعا عن المعاصي أنه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية ألا إنهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء ألا إنه بكل شيء محيط عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق وهي ثلاث وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعلها اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعُدّا آيتين وإن كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم أي مثل ما في هذه السورة من المعاني أو إيحاء مثل إيحائها أوحى الله إليك وإلى الرسل من قبلك وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وأن إيحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى وعلى هذا فالعزيز الحكيم صفتان له مقرران لعلو شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة أو بما بعدهما أخبار والعزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجه الأخير استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وأبو بكر ينفطرن والأول أبلغ لأنه مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الأول لأن أعظم الآيات وأدلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الأولى وقيل الضمير للأرض فإن المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوهم عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة ألا إن الله هو الغفور الرحيم إذ ما من مخلوق إلا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب إليه وأن عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه أولياء شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها وما أنت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم أو بموكول إليه أمرهم وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا الإشارة إلى مصدر يوحي أو إلى معنى الآية المتقدمة فإنه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه لتنذر أم القرى أهل أم القرى وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع فيه الخلائق أو الأرواح والأشباح أو العمال والأعمال وحذف ثاني مفعولي الأول وأول مفعولي الثاني للتهويل وإيهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له

فريق في الجنة وفريق في السعير أي بعد جمعهم في الموقف يجمعون أولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم أي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق أو متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة مهتدين أو ضالين ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير أي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد إذ الكلام في الإنذار أم اتخذوا بل اتخذوا من دونه أولياء كالأصنام فالله هو الولي جواب شرط محذوف مثل إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم فيه من شيء أي وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين أو الدنيا فحكمه إلى الله مفوض إليه يميز المحق من المبطل بالنصر أو بالإثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الأمور وإليه أنيب أرجع في المعضلات فاطر السموات والأرض خبر آخر لذلكم أو مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير أو الوصف لإلى الله من أنفسكم من جنسكم أزواجا نساء ومن الأنعام أزواجا أي وخلق للأنعام من جنسها أزواجا أو خلق لكم من الأنعام أصنافا أو ذكورا وإناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والأنعام أزواجا يكون بينهم توالد فإنه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء أي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى أنه يعطي معنى ليس مثله غير أنه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته أي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والأرض خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته إنه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من أرباب الشرائع وهو الأصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله أن أقيموا الدين وهو الإيمان بما يجب تصديقه والطاعة في أحكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع أو الرفع على الاستيناف كأنه جواب وما ذلك المشروع أو الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الأصل أما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد الله يجتبي إليه من يشاء يجتلب إليه والضمير لما تدعوهم أو للدين ويهدي إليه بالإرشاد والتوفيق من ينيب يقبل إليه وما تفرقوا يعني الأمم السالفة وقيل أهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن التفرق ضلال متوعد عليه أو العلم بمبعث

بالبناء على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند إلى ضميره أو مصدر ويوحى مسند إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى

الرسول صلى الله عليه وسلم او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا
للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او آخر اعمارهم المقدرة
لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من
بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله او المشركين الذين اورثوا القران
من بعد اهل الكتاب وقرئ وُرِّثوا او وَرِثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا
يؤمنون به حق الايمان او من القران مريب اي مُدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق
او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية والاتباع لما اوتيت وعلى
هذا يجوز ان اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت واستقم على
الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب يعني
جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم في
تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال
القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل مجازى
بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال
ولا للخلاف مبدا سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل لفصل
القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار راسا حتى يكون منسوخة باية القتال
والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه
بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم
داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله
الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام
والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة
الوزن اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب
على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب
لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء
والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق
الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة
اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة
لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد
لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءها الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر التي
لا تبلغها الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على
ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث
الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة

والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطه بالواحد
عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له
وما له في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل الهم
شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن
به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم
متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه
لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي
بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ
أن بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي
بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيمة مشفقين
خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا
والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم
ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل
الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي يبشره الله
عباده وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يَبْشُر من بشره قل لا اسالكم عليه على ما اتعاطاه
من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل
الاستثناء منقطع والمعنى لا اسالكم اجرا قط ولكن اسالكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة
في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض
في الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما
وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح
وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم
نزد له فيها حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله تعالى وحسنى ان الله غفور لمن
اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى
على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القران فان يشا الله يختم على قلبك استبعاد
للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما
من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشا الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء
عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القران والوحي عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله
الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استيناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان
مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحق
باطلهم واثبات حقه بالقران او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف

لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه و
القبول يعدى الى مفعول ثان بمن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي عليه السلام
هو اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية
والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون
فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم
فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء
وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه الصلوة والسلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا
دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب
شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا
وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب والبغي طلب تجاوز
الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر ما يشاء بتقدير ما اقتضته مشيته انه بعباده خبير
بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى
فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر
الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد
ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان
وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته خلق
السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف
على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون
في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه
واذا كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم
والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية
ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب
اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب
وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر
كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار ان يشا يسكن الريح
وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار
شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان
الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة
والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على
المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينجي ناسا على

العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل
لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ
نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك
قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها
الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من
ثواب الآخرة خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه ودوامه وما
الاولى تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت
الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي عليه السلام تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه
جمع فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون
بما بعده عطف على للذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبر
للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب والذين استجابوا لربهم نزلت في الانصار
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا
ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم
بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار
عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي
ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج
او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة
تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن
انتصر بعد ظلمه بعدما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما
السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا
عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على
الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم
السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد
خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون
هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها
العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي
اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا
ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا
والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم

او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى
او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل
صلة يأتي اي من قبل ان يأتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ مفر وما لكم من نكير
انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليكم السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا
فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان
منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور
بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل سببها وهذا وان اختص
بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا
والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة
البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس
موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء يخلق ما يشاء يهب
لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل
من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة
فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم اخرين ولعل تقديم
الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما تتعلق به مشيئة
الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب
قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير وتغيير العاطف
في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين
الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا
وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات
متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق
لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية
لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع والوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه وعلى الاول المراد بالرسول
الملك الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف
والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالا
انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا
واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان
القلوب تحيا به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه
الا السمع ولكن جعلناه نورا اي الروح او الكتاب او الايمان نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق

للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتُهدى اي ليهديك الله صراط
الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور
بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له سورة الزخرف
مكية وقيل الا قوله واسأل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع
لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء
استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه
في الديانة او بين للعرب ما يدل على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف
على انا وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب
السماوية لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب
متعلق بعلي واللام لا يمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا
افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها
ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف اي انهملكم فننحي عنكم الذكر صفحا مصدر
من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء
صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويعضده انه قرئ صُفحا وحينئذ يحتمل ان يكون
تخفيف صُفُح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب
على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض
وقرأ نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها
دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم المسرفين
لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف في
القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه
اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكي عنهم في مواضع اخر وهو الذي
من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف الذي جعل لكم الارض
مهدا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى
مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع
ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا مال عنه الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان
كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم والذي خلق الازواج كلها اصناف
المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه

على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب
على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا
له مقرنين مطيقين من اقرن الشي اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب لا يكون قرينة
الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلوة والسلم انه كان اذا وضع رجله
في الركاب قال بسم الله واذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى
قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى
هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه وجعلوا له من عباده جزءا متصل
بقوله ولئن سألتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات
الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق
في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة
الولد الى الله لانه من فرط الجهل والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين
معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته
اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما
قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله مثلا اذ الولد لا بد وان
يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم
مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ
مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا او من ينشؤ في الحلية اي
او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر
لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الراي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي او من
هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرا حمزة والكسائي
وحفص ينشؤ اي يربى وقرئ ينشا ويناشا بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل
العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرا الحجازيان والبصريان
عند على تمثيل زلفاهم واناثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم
اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرا نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام
وهمزة مضمومة بين بين وآشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة
ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم
وهي ان لله جزءا وانه بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيته عدم العبادة
على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشية ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا

كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون
تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبههم
المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة
النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم
به مستمسكون بذلك الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مهتدون اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد ابائهم الجهلة
والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئ بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي
القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان
التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين
اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم
عليه اباءكم اي اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين اباءكم وهو حكاية امر ماض
اوحي الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرا ابن عامر وحفص
قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا
او يتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث
بتكذيبهم واذ قال ابرهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل
او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف ابائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون
بريء من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر
والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولي
العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اي انني
براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهديني
الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها كلمة وجعل ابرهيم عليه الصلوة والسلم او الله كلمة التوحيد
باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف
وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء
واباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك
وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة
في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القران ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات
او مبين للتوحيد بالحجج والايات ولما جاءهم الحق لينبههم على غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون
زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القران سحرا وكفروا به واستحقروا
الرسول وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف عظيم
بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم

ولم يعلموا انها رتبة روحانية يستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف
الدنيوية اهم يقسمون رحمت ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن
اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون
حلالها وحرامها من الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك
نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون
فيما هو اعلى منه ورحمت ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من
رزق منها لا من حرم ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة
وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ و
معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال
او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ
سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
اي ابوابا وسررا من فضة وذهبا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم
وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والاخرة عند ربك للمتقين الكفر والمعاصي
وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين
حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه
من الآفات قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعامى ويعرض عنه لفرط
اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان
في بصره آفة وعشي اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له
شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير
الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه
ان يسبل وجمع الضمير للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون
الضمائر الثلثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرأ الحجازيان
وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني و
بينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس
القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم
في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في
العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم
في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسيمهم لمكابدة عنائه
اذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي

انكار

انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال
بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء
قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار
تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي
فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون
المؤكدة فانا منهم منتقمون بعذاب في الدنيا والاخرة او نرينك الذي وعدناهم او ان اردنا
ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي
اليك من الآيات والشرائع وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله انك على صراط مستقيم
لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد
باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه
كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه
فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه الصلوة والسلام
الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون فاجؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا
بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة
اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف
الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك
الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه
يرجى رجوعهم وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم
او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربك اي يدعو لنا فيكشف عنا العذاب
بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن
اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه
او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال
يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون
ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو
اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها
وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين

ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة والقلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة اى اللكنة في اللسان
فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدّم من اسباب فضله او متصلة
على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه
فلولا القى عليه اساورة من ذهب اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا
اذ كانوا اذا سوّدوا رجلا سوّروه وطوقوه بطوق من ذهب واساورة جمع اسوار
بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة
وهى جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقى عليه اسورة واساورة على البناء للفاعل
وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته
فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته
او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا
ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف اذا
اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم
من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم
وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف وسالف كصبر او سلف
كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة سلفت ومثلا
للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون
ولما ضرب ابن مريم مثلا اى ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى
اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او على قوله
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح
اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول عليه
الصلاة والسلام صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالضم من الصدود اى يصدون
عن الحق ويعرضون عنه وهما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا ءالهتنا خير ام هو اى
آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة
خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا
خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل
الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة
حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل
امرا عجيبا كالمثل السائر لبنى اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء
لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة
في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم من الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة

استخف استنزل قومه فاطاعوه وقال عليهم على الخفة ما قادوا له

فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل
خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى
وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم بها دنوها او لان احياء
الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اى علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث
ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتى
بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل
النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا
تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول
امر ان يقوله هذا هذا الذى ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان
عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما
جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم
بالحكمة بالانجيل والشريعة ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين
لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انتم اعلم بامور
دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه بيان لما
امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة
الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى عليه الصلاة والسلام او استيناف من الله يدل على ما هو
المقتضى للطاعة فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود
والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم
هو القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى
هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجأة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور
الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اى يتعادون يومئذ
لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالّون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت
في الله تبقى نافعة ابد الاباد يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما
ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا
مسلمين حال من الواو اى الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة
انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم
او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف
بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع
كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهيه الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص
تشتهى على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد

العلق العلوى صح

وفيه ان الشارع شرع طرق المعاملات والمناكحات وغيرها من شرائع الدنيا فلا يستقيم ... على امر الدين ... الاحكام المتعلقة ... الحكمة ... كانت ... المعاملات

اى قوله وفيها ما تشتهيه الانفس تعميم المنعم والنعم بعد تخصيص النعم كلحوم الصحاف والاكواب فانها يعدها من زوائد العيش ... والتلذذ ... ذلك

والتنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال
ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها
شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ
والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر
بما كنتم تعملون وعلى تعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها
تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير
بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام
وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون
خبران او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت
قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا
ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا
ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم
فانه جؤار وتمني للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم
بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكأنه تعالى
تولى جوابهم بعد جواب المالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب
الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في
مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون
امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعهما ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمهم
يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي صلى الله عليه وسلم
يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم
ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد
نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعر بانتفاء
الطرفين وان هنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلول اللازم
الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى
الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين
له او الآنفين منه من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا
اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار
تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم

يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيامة وهو
دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة وهو
الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود
او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف
لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل
صلة وقدر لانه مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى
الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق
الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما
كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع
وابن عامر وحمزة وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه
الشفاعة كما زعموا انهم شفعاء وهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد
والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح
فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين والمعبودين
ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون من عبادته الى عبادة
غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله
اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره
يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو
قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقديره وقيله يا رب قسمي
وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم
منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وقرأ نافع
وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف
كان فيمن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون سورة
الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهي سبع او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف
ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر
او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول نجوما وبركتها
لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة
واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين استئناف يبين المقتضي
للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة
بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة
مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها كقوله تنزل

الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرّق بالتشديد ويَفرُق كلَّ اي يفرقه الله ونفرق
بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد
تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امرا او ضمير المستكن في حكيم لانه موصوف وان يكون
المراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله المضمر من حيث ان الفرق به او حالا من احد
ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مامورا به انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا
منذرين اي انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة
عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية
او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا
لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور
الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمةٌ على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد
ويعلم احوالهم وهو وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات
والارض وما بينهما خبر آخر او استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين
اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها
فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ
لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين وقرئا بالجر بدلا من ربك بل هم
في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر يوم تأتي السماء بدخان مبين يوم
شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان
الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب يسمي الشر الغالب دخانا
وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك
يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي انه عليه الصلاة والسلام
لما قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى
المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب
يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج
من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط
بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون
مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب انى لهم الذكرى من اين
لهم وكيف يتذكرون بهذه الحال وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها
في ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم
يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي
صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم
انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان

نحوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره
بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف
لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان يحجزه عنه او بدل من يوم تأتي وقرئ نبطش
اي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة
بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول
كريم على الله او على المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي
عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول
الدعوة يا عباد الله ويجوز ان يكون ان مخففة ومفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة
ودعوة اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على
وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى
في وجهيها اني آتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان
مع العلاء شأن لا يخفى واني عذت بربي وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون
ان تؤذوني ضربا وشتما او ان تقتلوني وقرئ عت بالادغام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه
فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون هو تعريض بالدعاء عليهم
بذكر ما استوجبوه ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادي ليلا
فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون
يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او
على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغيره ليدخله القبط انهم جند
مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام
كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ
فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها عطف
على الفعل المقدر او على تركوا قوما آخرين ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل
غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث
بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في
نقيض ذلك ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد
عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين
ممهلين الى وقت آخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله
ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او
حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان

علم من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان
متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني
اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء من ذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال
على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر
ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على
انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا
موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا
قصد فيه الى اثبات موتة ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم
انكم تموتون موتة يعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى
اي ما الموتة التي من شانها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بآبائنا
خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم
ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير
الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه و
عليه الصلوة والسلم ما ادري أكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم
يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم
استيناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم تهديد به لكفار قريش او حال باضمار قد او
خبر من الموصول ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين
وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي
اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان
يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه
ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم
في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل
لا للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا من الاغناء ولا هم
ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول
الشفاعة ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه
من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم
سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده
عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون
وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر

ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه
فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى
سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل
يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة
على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به او تقريعا
على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اي لانك او عذاب انك ان هذا ان هذا العذاب
ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة امين يأمن صاحبه
عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما
يستلذ به من الماكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير
في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة
متقابلين في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم
بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف
في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون
من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا
الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها
او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانه فيها والاستثناء للمبالغة في تعميم النفي
وامتناع الموت فكانه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى
في المستقبل ووقيهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك
عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز
بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون
لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل
بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له سورة الجاثية
مكية وهي سبع او ست وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم
مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان
تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات
والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم
وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه
وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون
محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار
وما انزل الله من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها يبسها وتصريف
الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان

وبنصبها العطف على عاملين في والابتداء او ان الله يضمر في وبنصبها آيات على الاختصاص او برفع
باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الايات في الدقة والظهور تلك آيات الله اي تلك الايات
دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي حديث بعد الله
وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه
او بعد حديث الله وهو القران لقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القران والعطف
لتغاير الوصفين وقرا الحجازيان وحفص وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب
اثيم كثير الاثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالايات وثم لاستبعاد
الاصرار بعد سماع الايات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اي كانه فخفف وحذف ضمير
الشان والجملة في موضع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل
او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى فيها
ما يناسب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الايات بادر الى الاستهزاء
بالايات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم
من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال
والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه
هذا هدى الاشارة الى القران ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا ابن
كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه
ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من
فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما
في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف
اي هي جميعا منه اي لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منةً على المفعول له و
على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين
آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون
ايام الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر
المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة
بآية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون وكلاهما فيكون التنكير
للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي
بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزي الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان
الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها
عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة
النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من
الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم

وآتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي
صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا
بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة و
المجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا
له ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم
اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين
فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القران او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم
وجه الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان و
الاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول
لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين
ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال وان كان للثاني فحال
منه او استئناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول
والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة
في الحيوة او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم
بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس
شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان
خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن
واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى العلة
او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وتضعيف عذاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما
كالابتلاء والاختبار افرايت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى
فكانه يعبده وقرئ آلهةً هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه
رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه
فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار
والاعتبار وقرا حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله بعد اضلاله افلا تذكرون
وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حيوتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيي
اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيي بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيي ببقاء اولادنا او يموت
بعضنا ويحيى بعض او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا

به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل
مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك
وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما
قالوه بناء على التقليد والانكار بما لم يحيطوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة
على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا
ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم
تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم
ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على
الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما هو مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على
وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض
تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ
بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية
اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب
كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول
هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم
بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم
تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها
الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن آياتي
تتلى عليكم اي فيقال لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه
اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم
الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة
والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري
ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي
والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك
مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا
من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت
عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما
تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم
من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها

قرأ الا ان كان حجتهم على نصب ما بخبر كان
واسمها الا ان قالوا الى آخره صادق سر

الاستيفاز القعود على طرف القدمين

وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي
بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه
فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله
الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه
وكبروه واطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن
روعته يوم الحساب سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلثون
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة
وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير
اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين
كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا
يستعدون لحلوله قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم
شرك في السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها في نفسها
مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احترازا عما
يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا
الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم
الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين في دعواكم وهو
الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة
بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلث
في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة
والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون
احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب
لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا
وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين
بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شأنه والمراد
به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل
عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين جاءهم من غير نظر وتأمل
هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر
ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا

الجزء السادس والعشرون

والمعاد افتقر ... انها جميعا ثم ذكر بسم الله
والسعادة والشقاوة ... انها جميعا ثم ذكر الكفرة والاثابة
والطاعة والعصيان والعقوبة والغفران

الساق تقتضي ان يقال واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا
انما الآيات ليكون ضمير المتلو عليهم
قالوا اتى بصيغة الاسم الظاهر مكان ضميرهم
وهو الكفار

اى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسى للعقاب
من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح فى
اياته كفى به شهيدا بينى وبينكم يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار
وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن
واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم
الى ما لا تدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره
الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع وما
ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتأكيد النفى
المشتمل على ما يفعل بى وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل
الله ان اتبع الا ما يوحى الى اى لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم
يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير
عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارايتم ان كان
من عند الله اى القرآن وكفرتم به يجوز ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله
وشهد شاهد من بنى اسرائيل الا انها تعطف ما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد
هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما فى التوراة من نعت الرسول على مثله
مثل القرآن وهو ما فى التوراة من المعانى المصدقة للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من
عند الله فآمن اى بالقرآن لما رآه من جنس الوحى مطابقا للحق فاستكبرتم عن الايمان
ان الله لا يهدى القوم الظالمين استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم و
دليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم لو كان
خيرا الايمان او ما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال
ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم
وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم
وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل
القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق
لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب فى مصدق او منه لتخصصه
بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل
على انه حق دل على انه وحى وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اى يصدق ذا لسان
عربى باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد
الاخير قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى
هى منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم

من خوف مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة
خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن
فى اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه
حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها
ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالفتح وهما لغتان كالفقر و
الفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال
الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك
عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حى مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلاثون
شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها وفيه دليل على
ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين
لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع
لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل
واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبى الا بعد اربعين قال رب اوزعنى
الهمنى واصله اولعنى من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى يعنى نعمة
الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روى انها نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو
وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا
من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل واصلح لى فى ذريتى واجعل لى الصلاح ساريا فى ذريتى
راسخا فيهم ونحوه يجرح فى عراقيبها نصلى انى تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك وانى
من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعنى طاعاتهم فان المباح
حسن ولا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائى بالنون فى نتقبل
ونتجاوز وعد الصدق الذى كانوا يوعدون اى فى الدنيا والذى قال لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك
والمراد به الجنس وان صح نزولها فى عبد الرحمن بن ابى بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب
لا يوجب التخصيص وفى اف قراءات ذكرت فى سورة بنى اسرائيل اتعداننى ان اخرج ابعث
وقد خلت القرون من قبلى فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله
منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اى يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور
بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التى
كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول فى عبد الرحمن لانه يكون
انه من اهله لذلك وقد جب عنه ان كان لا اسلامه فى امم قد خلت من قبلهم لقوله فى اصحاب الجنة
من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستئناف ولكل من الفريقين
درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة فى
المثوبات وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى

وقرأ هشام اتعدانى بنون واحدة مشددة

بالذنوب وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها
وقيل يعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اى يقال لهم اذهبتم
وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة
ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم فى حياتكم الدنيا باستيفائها
واستمتعتم بها فما بقى لكم منها شىء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون
فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى
وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعنى هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو
رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشىء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة
على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده
والجملة حال او اعتراض ان لا تعبدوا الا الله اى لا تعبدوا او بأن لا تعبدوا فان النهى عن الشىء
انذار عن مضرته انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا
لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت
من الصادقين فى وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لى بوقت عذابكم ولا مدخل لى فيه
فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به فى وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على
الرسول الا البلاغ ولكنى اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين
لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا سحابا عرض فى افق من السماء مستقبل اوديتهم
متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اى يأتينا بالمطر
بل هو اى قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هى ريح ويجوز ان يكون
بدلا من ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شىء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا توجد
نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق
ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شىء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء فى
ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل ممكن وقتا منقضيا لا يتقدم ولا يتأخر
ويكون الهاء لكل شىء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اى فجاءتهم الريح فدمرتهم
فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائى لا يرى
الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزى القوم المجرمين روى ان هودا لما احس
بالريح اعتزل بالمؤمنين فى الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها
سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم فى البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه ان نافية وهى احسن من ما هنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء فى مهما
او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم فى الذى او فى شىء ان مكناكم فيه كان
بغيكم اكثر او صلة كما فى قوله يرجى المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والاول
اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وجعلنا لهم سمعا و

ابصارا

ابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شىء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بآيات الله صلة لما
اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى
قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من
دون الله قربانا آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله واول مفعولى اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان
او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا
عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ
الذى هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اى جعلهم آفكين وآفكهم
اى قولهم الافك اى ذو الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك
والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اى القرآن
او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضى اتم وفرغ من قراءته وقرئ
على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين اى منذرين اياهم بما سمعوا روى
انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى النخل عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده قالوا
يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر
عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق من العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع
يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون فى خالص حق
الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة باقتصارهم
على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم فى توابع التكليف كبنى آدم ومن لا يجب داعى
الله فليس بمعجز فى الارض اذ لا ينجى منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك
فى ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض
ولم يعى بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الآباد
بقادر على ان يحيى الموتى اى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفى
فانه مشتمل على ان وما فى حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شىء قدير تقريرا للقدرة على
وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات
المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله أليس هذا بالحق والاشارة
الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فى الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة
بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم
ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها
وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها كقوله فى آدم ولم نجد له عزما ونوح

ولا تكن كصاحب الحوت ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء
الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده والذبيح
على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى
قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى على التجرد
لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لا محالة كانهم
يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا
حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذى وعظتم به او هذه السورة بلاغ اى كفاية او تبليغ من
الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغون اليه
كانهم اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اى بلغوا بلاغا فهل يهلك
الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من
هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحقاف
كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا سورة محمد وتسمى سورة القتال
وهى مدنية وقيل مكية وايها سبع او ثمان وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه او منعوا
الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش والمصرين من اهل الكتاب اضل اعمالهم
جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضائعة محبطة بالكفر
او مغلوبة مغمورة فيه كما تضل الماء فى اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او
ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله
والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم
وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا
بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة
وحقيقته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزّل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف
كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق
والتاييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره بان الذين
كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل
واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب
يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم
بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين
وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا فى المحاربة فضرب الرقاب اصله
فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما
الى التاكيد والاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغى ان يكون بضرب الرقبة حيث

امكن وتصوير له باشنع صوره حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ
فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء
اى فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ
الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن
والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل
او الاسترقاق وقرئ فدى كعصا حتى تضع الحرب اوزارها الاتها واثقالها التى لا تقوم
الا بها كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها والمعنى
حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء او
للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم
وقيل بنزول عيسى عليه السلام ذلك اى الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم
لانتقم منهم بالاستئصال ولكن ليبلوا بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين
بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم
على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا فى سبيل الله اى
جاهدوا وقرا البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها
وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم
ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها
به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدى اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها
لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين
امنوا ان تنصروا الله اى تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم فى القيام
بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه
لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا
والجملة خبر الذين كفروا ومفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله
القران لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح
بسببية الكفر بالقران للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقران
ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم
استاصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع
المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها والسنة لقوله
سنة الله التى قد خلت ذلك بان الله مولى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين
لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا
يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا وياكلون كما تاكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار

تعسًا اى هلاكا وخيبة

مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجرا احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمومنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدا خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام أمثل اهل الجنة كمثل من هو خالد أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين له وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن استيناف لشرح المثل او حال من العايد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرا ابن كثير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة غايلة وريح ولا مكروها غايلة سكر وخمار تانيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقريت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدا خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشي لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استانف وايتنف وهو ظرف بمعنى وقتا موتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول عليه السلم وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى ان تاتهم الساعة وحينئذ لا تفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة المومنين وشقاوة

الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمومنين والمومنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف خبر لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الجهاد والايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور والمقاتلة مع الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطع الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلايل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اي كيد الشيطان سول لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود للذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود

عن الجهاد والمواعدة في الخروج معهم ان اخرجوا والتظاهر (التعاون) على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها
قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا
توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف
احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له
ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول
وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات فاحبط
اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين
اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم
بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم
محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل
الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم
بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلو
اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين
في صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون
الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد
ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم
ولن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم
ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم
ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها
وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم
ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب
ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا
الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى
بمعنى دعا وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع
اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل
ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم
اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع
العشر وعشره ان يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة
وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم وبغضكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب

قليب بدر وهم صناديد قريش الذين قتلوا والقوا الى القليب

الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء
الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه
بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو
كالدليل على الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل
عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك
عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان
توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مكانكم قوما
اخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه السلام
عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او
الملائكة عن النبي من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا على الله ان يسقيه من انهار
الجنة السورة التي يذكر فيها الفتح تسع وعشرون اية وهي مدنية نزلت مرجع

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد
بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار
عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب
لفتح مكة وفرغ به رسول الله لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما
وظهر له في الحديبية اية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت
بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة
وقد عرف كونه فتحا للرسول صلى الله عليه في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا
لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي
في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا
وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح ان
يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما
في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز
به المنصور فوصف به مبالغة هو الذي انزل السكينة الثبات والطمأنينة في قلوب
المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء
به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات
والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه
حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات
والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها

والاستعلام آخر تلك السورة بانه ... لما اخبر في آخر السورة المتقدمة على الجهاد والانفاق ... وافتتح هذه السورة بذكر ما يتبعه من الفتوح وما يتحصل منه الكرامات لرسوله والمؤمنين ... عن سبيل الله ... والمؤمنين عام الحديبية عن المسجد الحرام ... من المواعيد على الرسول

قبل النبوة من علمك بالاوقات القاصرة التي ... وما تأخر بعد النبوة قبل الفتح من التقصيرات كافة الاعداد

ليدخلوا الجنة ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزلنا او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي وامته او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى بمبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليهُ بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم من القتل او الهزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين يستاصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما

اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكلم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات للحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم تقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع وبعث عثمان رضي الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا

وحرست قريش نحو الصفاة السدر نحو النبي وقال ...

قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة
عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل
مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى
الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي ما يفي على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه
يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان
او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله
بمكان او صدق الرسول عليه السلام في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم
او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة
لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى
ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل
رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من
الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل
شيء قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة
ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة
الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن
انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة
وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة
بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند
فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة
فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا
طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام والهدي معكوفا محبوسا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما
يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه
المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث
احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤوهم ان توقعوا بهم
وتبيدوهم قال ووطئتنا وطئا على حنق وقال عليه السلام ان آخر وطاة وطئها الله
بوج وهو واد بطائف وكان اخر وقعة للنبي صلى الله عليه وسلم بها واصله الدوس وهو بدل
الاشتمال منهم او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب
الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم
مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اي تطؤهم غير عالمين بهم وجواب

تمامه وطء المقيد نابت الهرم

لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين
بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي
من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة
الخير او للاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ
تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر
او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روي انه عليه السلام لما هم
بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسالوه ان يرجع من
عامه على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلوة
والسلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال
اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت
وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون
فهم المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم
كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات
والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من
غيرها واهلها المستاهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد صدق
الله رسوله الرؤيا رأى صلى الله عليه وسلم انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص
الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تاخر قال بعضهم والله ما حلقنا
ولا قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما رآه
كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي
صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما
اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاول جواب
قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل
لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض
محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استئناف
اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم
المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو
الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على
الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط
المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله
شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود له

ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء
على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف
دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تريهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون
بالصلاة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم
من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد
قرئ ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او
اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التوراة صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل
عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج
شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه
وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا
فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر فأزره
كأجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق
وعن ابن كثير سؤقه بالهمز يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه
الله للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ
بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوا اغاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة سورة الحجرات
مدنية وآيها ثماني عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا
لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقدم
رأسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ
لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان
تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله
تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقدم او مخالفة الحكم ان
الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا
كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر
بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه
ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء
مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام
ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل
باعتبار التأدية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه
قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا

فلما نزلت تخلف عن رسول الله فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية واني
رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت
بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها
عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك كاخي السرار
حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها
كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل
او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار
عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم
واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان
ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة
المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد
بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت
من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادي داخل الحجرة اذ لا بد ان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة
وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك
يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفيها كناية
عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم
تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة
ابن حصن والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة
وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا
به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة
سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم
حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب
اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء
في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم
اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان
الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف
بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله
غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين للادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها
الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة مصدقا
الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله

صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهمّ بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم
منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبا للتعميم وتعليق
الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول قول العدل من حيث ان المعلق على شي بكلمة ان عدم عند
عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتبه على الفسق اذ الترتيب يفيد
التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا اى فتوقفوا الى ان يتبين لكم
الحال ان تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين
مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلثة دائر مع الدوام واعلموا ان
فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو
يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر للامر فائدة
والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل
ذلك لعنتم اى لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني
المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا
قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك
هم الراشدون اى اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى بنفسه الى
مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة مفعول اخر والكفر
تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا
من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد
ان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام
والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء
الى حكم الله فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع
الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار
الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل
هنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين
يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلم
بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في
الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة
انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية
وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم
ووضع الظاهر موضع المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين

بالذكر لانهما اقل من يقع بينهما الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم
واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر
قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اى لا
يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم
مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور
وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون
فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية
تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم
عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اى
ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل
ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرا يعقوب بالضم ولا تنابزوا
بالالقاب ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان
واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى
ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت
يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على
ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم
الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من اى القبيل
فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم
كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في
الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه
والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اى يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل
من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس
وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم
تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا
بالسوء في غيبته وسئل عليه السلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته
وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من
عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم
وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا
وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم

هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهيته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع
واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه
بلغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين
من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي
شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بير سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من ادم وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام
فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب
وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة
تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة
قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم
والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل وقرئ
لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس
وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس
فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين ذليل
على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا
المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال
والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان
تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة
كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين
وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن
اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط
اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا
اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم
من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لاته ليتا اذا نقص وقرا البصريان لا يالتكم من الالت
وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة
وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار
الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية
باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه بقولكم

امنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ
روي انه لما نزلت الاية المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك
ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى
القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم
فنصب بنزع الخافض او بتضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما
زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين
في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف
وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون
عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة
عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون
في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرا ابن كثير بالياء لما في الاية من الغيبة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه. سورة ق
مكية وهي خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران المجيد
الكلام فيه كما مر في ص والقران ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد
او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب
وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم
وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم لهذا
المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع
الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان
كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر بتفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول
استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون
من صنعه ءاذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك
رجع بعيد اي بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما
تنقص الارض منهم ما تاكل من اجسادهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه
وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء
كلها او محفوظ عن التغير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه
او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي
او القران لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا مرج وذلك
قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم
الى اثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج
بان خلقها ملسا متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت

وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه
متفكر في بدايع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا بالفعل الاخير ونزلنا من السماء
ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من
شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت
فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات
لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر
رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بلدة ميتا
ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم
كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم
ما قبله وما بعده واخوان لوط سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر
والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد
فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا
عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم
في لبس من خلق جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق
مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف
ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال
والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت
بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي ونحن
اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل
الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان
عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل
سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله
من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ
الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما خفي عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد تثبيط العبد
عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين
وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه كقوله واني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة
بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر
ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا
عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء فازال ذلك

الطلع اول النخل قبل ان ينشق

الوتين عرق في القلب يجيء لو انقطع لمات صاحبه

بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم ملاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على
اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية
كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق
الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن
وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها
جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ
سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان
ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه
والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما
يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد
كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها
النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على
اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر
فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات
وقصور النظر عليها والالف بها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة
بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول
قراءة كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي
عتيد هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي
وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها
وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من
الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزلة تثنية
الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا
او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين
بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد
بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد مريب
شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتدا متضمن معنى الشرط وخبره
فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول
لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستانف الجمل الواقعة
في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني
فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين

اي الجملة الاولى وهي قوله وقال قرينه

فهو مهيا في الحصول اعني عن كل نفس مع الملكين و دول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته
عليه باغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراى مايلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اى الله لا تختصموا لدى اى في موقف الحساب
فانه لا فايدة فيه وهو استيناف مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي
وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اى لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم
والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا
على قوله ما يبدل القول لدى اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض
المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد
وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول
هل من مزيد سوال وجواب جي بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها يطرح فيها
من الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلي لقوله لاملان او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها
وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب
لزيادتهم وقرا نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر
باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت
لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيئا غير بعيد
او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون لكل اواب رجاع الى الله
بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب
منيب بدل بعد بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او
مبتدا خبره ادخلوها على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل
او المفعول او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غايب او العقاب
بعد غيب او هو غايب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن به للاشعار بانهم رجوا
رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون خشيتهم مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار
برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملايكته ذلك يوم
الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد وهو ما لا
يخطر ببالهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك
من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا
فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب
واصل التنقيب التنقير عن الشي والبحث عنه هل من محيص اى لهم من الله او من الموت وقيل
الضمير في نقبوا لاهل مكة اى ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا
مثله لانفسهم ويويده انه قرى فنقبوا على الامر وقرى فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب
خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم واخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة

لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اى قلب واع يتفكر في حقايقه او القى السمع او اصغى لاستماعه
وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر
بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب
واعيا وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه في الجمعة
واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم
البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على خلقه والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر
والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما
انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت
فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع
دبر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقرا الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر وقيل المراد بالتسبيح
الصلوة فالصلوة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد
وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك به من
احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادى المنادى اسرافيل او جبريل فيقول
ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل
القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في
الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية
بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة
وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق
الارض وقرا الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع
علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي
لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون
تسلية لرسول الله وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم
ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته سورة الذاريات مكية واياتها ستون
بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب
وغيره او النساء الولودات فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلايق من الملايكة
وغيرهم وقرا ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار
او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرى وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن
الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة
مصدر محذوف اى جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملايكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق

وغيرها او ما يعم وغيرها من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت
على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة
والا فالفاء لترتب الافعال اذ الريح مثلا تنذر الابخرة الى الجو حتى ينعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة
له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل
باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة
او مصدرية والدين الجزاء الواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة
التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق
او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل
وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالسلك والحبك كالنعم والحبك كالبرق
انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او
في القران او القيمة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها
بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه والضمير للرسول
صلى الله عليه وسلم او القران او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من
صرف في علم الله او قضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف
وبسببه كقوله ينهون عن اكل وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح
اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب
القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون
عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم
على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار
يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول
هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من
فتنتكم والذي صفته بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون
هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان يكون نافية
لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت
السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم
وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير
اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم
تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي
الارض آيات للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون
وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع

وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ما في العالم شيء الا
وفي الانسان نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة
والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون
تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق
المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال
وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستانف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا
فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد مثل ما انكم تنطقون
اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن
في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن
وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة
والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي
اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل
وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او
عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا
سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم سلام عدله الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات
حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرا حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى
واحد قوم منكرون اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام
لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه
فان من ادب المضيف ان يبادره بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء
بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون
اي منه وهو مشعر بكونه حنيذا فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه
لظنه انهم جاؤوه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل
الله قيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه
بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر
اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول فاقبلت باخذت
فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم
الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك
مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله
محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر
عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من
طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسامت الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة

عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واصحابها
ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير
اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي
اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحد وتركنا فيها آية علامة للذين
يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود
منتن وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها
تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه
فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم
لما يركن اليه الشي ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه جعل ما
ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه
من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم
سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب
او النكباء ما تذر من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت
وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا
عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة
من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله
فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين
ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون
عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء
المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسما بنيناها
بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق
او لموسعون السما او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا
عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شي من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم
تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام
ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه
المعد لمن اشرك وعصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر
عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد
او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة
الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد النافية لا

اي بعث كذلك

يعمل فيما قبلها اتواصوا به اي كان الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه
جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا
القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعدما كررت عليهم
الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر
ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزداده
بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة
لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر
قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة او ليكونوا
عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي
فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان
السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر
بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى
الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ
المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب
نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة
السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة
او يوم بدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد
كل ريح هبت وجرت في الدنيا سورة الطور مكية وآيها تسع او ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين
سمع فيه موسى كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض
المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة
والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف
والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب
وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة
وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السما الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته
من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السما والبحر المسجور
اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله يجعل يوم القيمة البحار
نارا يسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل بالمشركين ما له من
دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته
وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السما مورا تضطرب والمور

تردد فالمجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف لواقع وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض
فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض
في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم
وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى
مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون
اي قال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم
الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في
الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم
انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من
الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم منها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم
تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم
النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات ونعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين
ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من
المستكن في الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا و
شربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله
والباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر
مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء في التزويج من معنى الوصل والالصاق او القرن
ولذلك عطف والذين آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين او للسببية
اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم
ذريتهم الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في
الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي
للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة والدرجة لما روي مرفوعا
انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية
وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم بهذا الالحاق من عملهم
من شيء كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء او باعطاء الابناء بعض مثوبات آبائهم يحتمل ان
يكون بالتفضيل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه
لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد
كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها و
امددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع
التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كأسا خمرا سماها باسم محلها

صح [illegible]

[illegible]

ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها
ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول و
قرأها ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون
بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم
وصفائهم وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر
على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله
قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين
من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام
نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده
او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر
فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون
كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر
وقيل المنون الموت والمنون فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص
هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن
يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام متسق مخيل ولا يتأتى ذلك
من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في
العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه
المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم
اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان
سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر
فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان
معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض
قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه
فيرزقوا النبوة من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ام هم المسيطرون
الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين
فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين
بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا
رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم
اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا
في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا

السموم الريح الحارة التي تدخل المسام فتهلك

[illegible]

وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه
موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم
الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته
ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما
يشركونه به وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب
مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم
حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرا ابن عامر وعاصم
يُصعَقون على المبني للمفعول من صَعَقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء
في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص
عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر
والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فاصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم
فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب
الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه
فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم
واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اي اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه السلام من قرا
سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته سورة النجم مكية وآيها
احدى او اثنتان وستون بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اقسم بجنس النجوم او
الثريا فانه غلب فيه اذا هوى غرب او انتثر يوم القيامة او انقض او طلع فانه يقال هوى هَوِيا بالفتح
اذا سقط وغرب وهُوِيا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات
اذا سقط على الارض او نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عليه السلام عن الطريق المستقيم
والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر
نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ما القرآن او الذي ينطق به الا وحي يوحى الا وحي يوحيه الله
واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند
اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه
وهو جبريل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها
وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام
على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم
مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى
افق السماء والضمير لجبريل ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول
وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن
محله وتقريرا لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير

ودنى

بمقدار مسافة قرب

وادلى دلوه والدنو الى الثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة بينهما
قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال
وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده عبد الله واضماره قبل
الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله
تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته
وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما راى ما راى ببصره من صورة جبريل
او الله تعالى اي ما كذب فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه
ببصره وقيل ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه السلام سئل هل رايت ربك
فقال رايته بفؤادي وقرئ ما كذّب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه
عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة فان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه
وقرا الكوفيون غير عاصم ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه
من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان الممارى والجاحد يقصدان بفعلهما
غلبة الخصم ولقد رآه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها
اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل
تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند
سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها اليها
ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها روي مرفوعا انها في السماء
السابعة عندها جنة المأوى الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة
ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم
الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
رآه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها
وما جاوزها لقد راى والله لقد راى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد راى الكبرى من آياته
وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما راى ويجوز ان يكون الكبرى صفة
للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى
لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرا هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب بالتشديد على انه سمي
به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا
يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة
صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها
القرابين ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء فانهم كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها
والثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التاخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى

انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هي بناته او هياكل الملائكة
وهو المفعول الثاني لقوله افرايتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي
فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم اليا كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا
وقرا ابن كثير بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسما الضمير للاصنام
اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسما تطلقونها عليها لانكم تقولون انها الهة وليس فيها
شي من معنى الالوهيه او للصفة التي تصفونها بها من كونها الهة وبنات وشفعا او للاسما
المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها
والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم
وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون وقرى بالتا
الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم
ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقولهم ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الاخرة
والاولى يعطي منهما ما يشا لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شي منهما وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان ياذن الله في الشفاعة
لمن يشا من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع
الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموهم
بنات وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرى بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن
لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشي لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في
المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد
الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن
ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا
على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض
مقرر لقصور همتهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل
للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك
الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين اساوا بما عملوا بعقاب
ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم
وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر
الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرا
حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا

القراءة بالهمزة ضئزى من ضازه يضازه ضازا وترك من ضازه يضيزه ضيزا او ضازه يضوزه ضوزا لغات كلها بمعنى النقصان والجور واصلها ضوزى كطوبى لا فعلى بكسر الفاء فان الصفات غير مشهورة بكسر الفا معلى الواو ياء للخفة جعلكم البنات لله والبنين لكم قسمة جائرة [illegible]

الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثنا منقطع ومحل الذين النصب
على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبائر وله ان يغفر ما شا من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد
المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب
العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في
بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدا خلقكم من التراب بخلق آدم وحين ما
صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكا العمل وزيادة الخير او بالطهارة
عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من
صلب آدم عليه افرايت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع
العطا من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على
انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال
تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه
بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان
صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه او
امر به او بالغ في الوفا بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر
على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح
الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم
وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى
ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر
كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى
كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا
وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة له
والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه كما لا يؤاخذ احد بذنب
الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي
له كالنائب عنه وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى اي يجزى العبد سعيه بالجزاء
الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى و
الجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرى بالكسر على انه منقطع عما في الصحف
وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره
فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او تقدر منها الولد من منى اذا قدر
وان عليه النشاة الاخرى الاحيا بعد الموت وفا بوعده وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاة

جمع الجنين

المنتهى مصدر ميمي ... انتهاى [illegible]

بالمدّ وهو ايضا مصدر نشأه وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال
وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعنى
العبور وهي اشد ضياء من الغميصا عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول صلى الله عليه وسلم وخالف
قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها
للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا
الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ
عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وقالون
كذلك مع جعل الواو همزة وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين
ويقفان بغير الف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا عطف عليه من قبل من قبل عاد وثمود
انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون
به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان
رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن سماها
آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من
النذر الاولى اي هذا القرآن نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس
المنذرين الاولين ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس
لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها
او الان بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من
غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون انكارا وتضحكون
استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير
في سيره اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا
لله واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والنجم اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون
بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق القمر يوم القيمة ويؤيد الاول انه
قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا آية
يعرضوا عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات
اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر
اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى
وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ
الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في

الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غاية ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو
مستقر بمعنى الاستقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من
الانباء انباء القرون الخالية وانباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء
الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة
بالغة غايتها لا خلل فيها وهو بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة
او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء يغني
النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان
الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن
فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى
شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيمة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف
وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا
ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل
وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين
غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون الجملة
حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين
مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل
قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما
خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون
وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته
الجن وتخبطته فدعا ربه اني باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر
فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا
عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة
وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب
وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض
فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة
واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت
وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه
على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع
الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها تؤدي مؤداها تجري
باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه
نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى

الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين ولقد تركناها اى السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع
خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء دالا والادغام
فيها فكيف كان عذابى ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن
سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا
فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد
فكيف كان عذابى ونذر وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم فى تعذيبهم انا
ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت فى يوم نحس شؤم مستمر اى استمر شؤمه
او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احد او اشتدت مرارته
وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم
ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه
ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤوسهم وطرحت اجسادهم وتذكير
منقعر للحمل على اللفظ والتانيث فى قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابى ونذر كرره للتهويل
وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم
عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود
بالنذر بالانذارات او المواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له
علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا
لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر كانهم عكسوا عليه فرتبوا
على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة أالقى الذكر
الكتاب والوحى عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع
علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر الذى حمله اشره
على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون
على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر فى حذر والاشر اى الابلغ
فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا
لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم
مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر
عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطى
قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف فكيف كان عذابى ونذر
انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه
من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء
وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم الا آل لوط نجيناهم

بسحر فى سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزى من
شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا
بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها
كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابى
ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على
ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابى ونذر ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك فى كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب
واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستينافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم
السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فباى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء
آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا كلها يعنى الآيات التسع
فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شئ أكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم
الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة فى الزبر او نزل لكم فى الكتب
السماوية ان من كفر منكم فهو فى امان من العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر
ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع
سيهزم الجمع ويولون الدبر اى الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولى دبره
وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رض لما نزلت قال لم اعلم ما هى فلما كان
يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم
موعد عذابهم الاصلى وما يحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع
لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين فى ضلال عن الحق فى الدنيا وسعر
ونيران فى الآخرة يوم يسحبون فى النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اى يقال لهم ذوقوا
حر النار وألمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته
النار وصقرته اذا لوحته انا كل شئ خلقناه بقدر اى انا خلقنا كل شئ مقدرا مرتبا على
مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ
بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهور فى
الدلالة على ان كل شئ مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب هنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية
على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة
واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر فى اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة
الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم فى الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شئ
فعلوه فى الزبر مكتوب فى كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور فى اللوح
ان المتقين فى جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون
الهاء وبضم النون والهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كاسد واسد فى مقعد صدق

في مكان مرضي وفي مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك
والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه
الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآياتها ست وسبعون
بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على
تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو
انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب
اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه بقوله خلق الانسان
علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير
وافهام الغير بما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلث التي هي اخبار
مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب
معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول
والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر
والذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان
حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل
على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على
ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها
مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء
ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام
كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال
ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف
الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في
الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره
مبالغة في التوصية وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها
على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام
للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع
كم او كل ما يكم اي يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والتمر والحب
ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن
وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان
الله اي رزقه اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وهو فيعلان من

الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلبت واوه ياء للتخفيف فباي آلاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال
الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا
ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من لهب صاف
من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما
تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب
المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد
التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج
البحرين ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان
يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان
منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة
وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من
الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا
كالشيء الواحد وكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج اي الله
ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف
الياء ورفع الراء كقولهم في شاك شاك المنشآت المرفوعات الشرع
او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير
في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن
والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره
كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى
وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية
في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل
العام فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما ذكرنا قبل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء
رحمة وفضلا او مما يترتب على فناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات
والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال
ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شأن كل وقت يحدث اشخاصا
ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما
ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فباي آلاء ربكما تكذبان
اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان
اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن وهو مستعار من

وبك لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء
وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض
او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فباي الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن
والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب
السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لتعلموا لكن لا
تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فباي الاء ربكما تكذبان اي من
التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج
النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان
قال تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرأ
ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية
وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباي الاء ربكما تكذبان فان التهديد
لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الالاء فاذا انشقت
السماء فكانت وردة اي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله
فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما
يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فباي الاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد
ذلك فيومئذ اي فيوم تنشق السماء لا يسال عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم
وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله
فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا
تقدم رتبة فباي الاء ربكما تكذبان اي مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف
المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون
بالنواصي تارة وتارة بالاقدام فباي الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون
منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباي الاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه
موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند
ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله
ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي والاخرى
للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى
لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها
عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباي الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار
والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجر وتخصيصها بالذكر
لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاءوا في الاعالي

والاسافل قيل احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة
زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش
بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين
مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد
والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباي الاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان
جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الالاء
المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن
على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه
دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت
والمرجان اي حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء
الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك
الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي الاء ربكما
تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان
الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين
الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده فباي الاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة
الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا
لم يحنث فباي الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات فخفف لان خيرا الذي بمعنى
اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فباي الاء ربكما تكذبان
حور مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة او
مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
كحور الاوليين وهن لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فباي الاء ربكما تكذبان
متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة
وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم
لبلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى تبارك
اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم
كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها
وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون حين

لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك ... والارض فانفذوا

قصرن ابصارهن

فباي الاء ربكما تكذبان

ای لیوت حول

تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها وقعتها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي
او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها
باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته
عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان
الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة
الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت
الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة
او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس
السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا
وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية
من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم
بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم
بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة
الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا الى
الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات
او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري
او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت
مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اي كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى
محمد عليه السلام وقليل من الآخرين يعني امة محمد عليه السلام ولا يخالف قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر
الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم و
لا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية
احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة
خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة
من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم للخدمة
ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره
والكوب اناء بلا عروة ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون عنها
بخمارها ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا
يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان
او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور عين واسعات العيون وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا
على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان

التلعثم درنگ کردن

مخلدون

مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون
المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا
يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا الا قولا سلاما
سلاما بدل من قيلا لقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا
سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب
اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه
من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله
انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط
لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب او مصبوب
سائل كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن شبه اصحاب اليمين
باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس
لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة اي
او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشأناهن
انشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي
قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن
ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن
راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله اترابا فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن
لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله
ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهي على الوجه خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم
في حر نار تنفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود يفعول
من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح انهم كانوا
قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني
الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها
وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون كررت الهمزة
للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله او آباؤنا الاولون
للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن
في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا
هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم
الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون
اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان
فمالؤون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتانيث الضمير في منها

الخضد بر ... دن

شمطاء جمع شمطاء وهي المرأة التي
خالط سواد شعرها البياض ورمصا
جمع رمصاء وهي اللاتي ... حمرا

وهذا معنى الحديث تولد على ميلاد واحد

الاولى

وتذكيره وعليه على المعنى ولفظه وقرئ من شجرة لكون الذكر للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب
الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة
فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام
بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض
وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الاخر من وجه فلا اتحاد هذا نزلهم يوم الدين
يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب
اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون
بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء
قدر على الاعادة افرايتم ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء
من النطفة بمعنى امنا ها أانتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم
الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من
الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم
على الاول حال او علة لقدرنا وعلى معنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى
على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما
لا تعلمون في خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على
النشاة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة
القياس افرايتم ما تحرثون تبذرون حبه أانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون
لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على
ما اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل
بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا او محدودون
لا مجدودون افرايتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب أانتم انزلتموه من المزن
من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون
بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج
فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع
بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد
فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرايتم النار التي تورون تقدحون أانتم انشأتم
شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة
تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا
ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم
من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح

الصدى العطش

وقرأ نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين

بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر
بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون
لنعمه او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عددها من النعم فلا اقسم اذ الامر
اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم
فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم
عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة
على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها
اوقات نزولها وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة
وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض
فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقرآن كريم
كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه
في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع عليه الا المطهرون من الكدورات
الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او
لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون
اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقرآن
وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون
متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون
رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي لمانحه حيث ينسبونه الى الانواء وقرئ شكركم
اي وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وتكذبون اي بقولكم في القرآن انه سحر و
شعر او في المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم
والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب اليه ونحن اعلم الى المحتضر منكم عبر عن العلم
بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان
كنتم غير مدينين اي مجزيين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده
واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف و
المحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى
ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين
في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين
اي ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها
كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان
كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اي من اخوانك يسلمون عليك واما
ان كان من المكذبين الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا

الغمط نسيان النعمة او العمل بخلافه

على اللوح

بما اوجبه لهم او وعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجده في القبر من سموم النار
ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين
فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض ذكر ههنا
وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان
ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا
في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما
عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحته في نصحت له اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل
الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات والارض
فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استئناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور في له وهو
على كل شيء من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات
من حيث انه موجدها ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن
غيرها او هو الاول الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول خارجا والآخر ذهنا
والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او
الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع
بين المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل
من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال
والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك
السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله
ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم خلفاء في التصرف فيها فهي في
الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق
وتهوين له على النفس فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية
واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر وما لكم
لا تؤمنون بالله اي وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم
لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول
يدعوكم اليه بالحجج والآيات وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب
الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرا ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين
لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم اي الله او العبد

من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم حيث نبهكم
بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واي شيء لكم في ان لا تنفقوا
في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال
واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي منكم من
انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق
وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال
للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام
به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد
الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي كلا من المنفقين وعد الله المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرا
ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم
بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن وانفق في سبيل
الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص
فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا وله اجر كريم اي
وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف
اضعافا وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكانه قال ايقرض الله
احد قرضا فيضاعفه له وابن كثير فيضعفه مرفوعا ويعقوب بصيغة منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم بين ايديهم
وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اي يقول
لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات
المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا انظروا الينا فانهم
يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم
فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرا حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس
من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية
والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا
نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين والملائكة فضرب بينهم
بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل منه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب
فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون
موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم
وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان

أو الدين يا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم النار هي مولاكم هي أولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها وحقيقته محراكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كقولك هو مئنة الكرم أي مكان قول القائل إنه لكريم أو مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع أو متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ألم يأت وقته يقال أنى الأمر يأني أنيا وأناء وإنا إذا جاء إناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى أنى يأني ولما يأن روي أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق أي القرآن وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر ويجوز أن يراد بالذكر أن يذكر الله وقرأ نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ أنزل ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم أي فطال عليهم الزمان بطول أعمارهم أو آمالهم أو ما بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الأمد وهو الوقت الأطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة أو لإحياء الأموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون كي يكمل عقلكم إن المصدقين والمصدقات أي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد أي الذين صدقوا الله ورسوله وأقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لأن معناه الذين اصدقوا أو صدقوا وهو على الأول للدلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالإخلاص يضاعف لهم ولهم أجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير أنه لم يجزم لأنه خبر إن وهو مسند إلى لهم أو إلى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم المبالغون في الصدق فإنهم آمنوا وصدقوا جميع أخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم أو على الأمم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الأنبياء من قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد أو الذين استشهدوا في سبيل الله لهم أجرهم ونورهم مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت أو الأجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث إن التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر أمور الدنيا أعني ما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل بأن بين أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جدا إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة

والمراكب السنية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالأنساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحراث أو الكافرون بالله لأنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا ولأن المؤمن إذا رأى معجبا انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجابا ثم هاج أي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم أمور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم أكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور لمن أقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في المضمار إلى مغفرة من ربكم إلى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أي عرضها كعرضهما وإذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير إيجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وإن عظم قدره ما أصاب من مصيبة في الأرض كجدب وعاهة ولا في أنفسكم كمرض وآفة إلا في كتاب إلا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل أن نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة أو للأرض أو للأنفس إن ذلك إن إثباته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا أي أثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما أعطاكم الله منها فإن من علم أن الكل مقدر هان عليه الأمر وقرأ أبو عمرو بما أتاكم من الإتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الأول فيه إشعار بأن فواتها يلحقها إذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد منه نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور إذ قل من يثبت نفسه حالي الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فإن المختال بالمال يضن به غالبا أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد لأن معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله غني عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته لا يضره الإعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب إليه بشيء من نعمه وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر إن الله الغني لقد أرسلنا رسلنا أي الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم بالبينات بالحجج والمعجزات وأنزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وإنزاله إنزال أسبابه والأمر بإعداده وقيل أنزل إلى نوح ويجوز أن يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الأعداء كما قال وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فإن آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله

فانه حال متضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن فى ينصره
ان الله قوى على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا
به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة
والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية
او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم
والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم
برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير
لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من
الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمى وجعلنا فى
قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية اى وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها او ورهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة
والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى
وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل
فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى
الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم
ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها او لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها
فما رعوها حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم و
نحوها اليها فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومنه الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا
ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد عليه السلام يؤتكم كفلين
نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق
وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره ويجعل لكم نورا
تمشون به يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم او الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس ويغفر
لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم بادغام
النون فى الياء اهل الكتاب الا يقدرون على شئ من فضل الله ان هى المخففة والمعنى انه لا ينالون
شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون
على شئ من فضله فضلا ان يتصرفوا فى اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد
اهل الكتاب انه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا
على لئلا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون فى اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على

ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين
آمنوا بالله ورسله سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكى والباقى مدنى وآيها اثنان وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى
الى الله روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولاده وشكت الى
الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول صلى الله عليه وسلم او المجادلة يتوقع ان الله
يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائى وابو عمرو وهشام
عن ابن عامر دالها فى السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله
سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل
لامرأته انت على كظهر امى مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفى منكم
تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ حمزة وابن
عامر والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اى على الحقيقة
ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من الحقهن الله بهن كالمرضعات
وازواج الرسول وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على
لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة
لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو
بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها
فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابى حنيفة
باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع
او بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية
وهو قول الثورى او بتكرار لفظ الظهار وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة
استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اى فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن
فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا
على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر
لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اى ذلكم
الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله
بما تعملون خبير لا تخفى عليه خافية فمن لم يجد اى الرقبة والذى غاب ماله واجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر لغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر لعذر ففيه خلاف
وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عنده خلافا لابى حنيفة ومالك فمن لم يستطع
اى الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه صلى الله عليه وسلم رخص للاعرابى المفطر ان يعدل لاجله

فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل
في المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل
معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض
ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يقبلونها
عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله
يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا
غير حدودهما كبتوا كما كبت اخزوا واهلكوا واصل الكبت الكب الذين من قبلهم يعني كفار
الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب
مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم
لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اي على رؤوس الاشهاد تشهيرا لحالهم
وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم
به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلثة ما يقع من تناجي ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى
بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر
امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من
حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى
خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في
تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلثة اول الاوتار او لان التشاور
لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب
على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر
كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع
عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى بان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه
بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة تفضيحا
لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى
الكل على سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود و
المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي
بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروي عن
يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام
عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في
انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم

يعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الاخيرين او لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة

عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى
بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيما تأتون
وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين
لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان او التناجي
بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا
يبالوا بنجواهم يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم
عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم مجالس
بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا
على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر
والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة او جهاد
او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين
آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم
درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته
يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد
لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانفاع
الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المؤمن والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا
واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة
لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار
فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله
لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي
ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن
قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا
تصدق ادل على الوجوب أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات أخفتم الفقر من
تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين
او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار
بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل
بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله
في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا

بتوهمهم

الميز

نسخ حكم الآية

ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لأنهم منافقون
مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الإسلام وهم يعلمون أن المحلوف عليه كذب
كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم
وروي أنه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين
ما فعل ثم جاء بأصحابه فحلفوا فنزلت أعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما إنهم
ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل وأصروا عليه اتخذوا أيمانهم أي التي حلفوا بها وقرئ
بالكسر إيمانهم الذي أظهروه جنة وقاية دون دمائهم وأموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا
الناس في خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف
آخر لعذابهم وقيل الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم
من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له أي لله على أنهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم في الدنيا إنهم لمنكم ويحسبون أنهم على
شيء لأن تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل إليهم الأيمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه
عليكم في الدنيا ألا إنهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب
والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الإبل وحزتها إذا
استوليت عليها وهو مما جاء على الأصل فأنساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم أولئك
حزب الشيطان جنوده وأتباعه ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون لأنهم فوتوا على
أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين
في جملة من هو أذل خلق الله كتب الله في اللوح لأغلبن أنا ورسلي أي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي
بفتح الياء إن الله قوي على نصر أنبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله أي لا ينبغي أن تجدهم وادين أعداء الله والمراد أنه لا
ينبغي أن يوادوهم ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ولو كان المحادون
أقرب الناس إليهم أولئك أي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الإيمان أثبته فيها وهو دليل على
خروج العمل من مفهوم الإيمان فإن جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه وأعمال الجوارح لا تثبت
فيه وأيدهم بروح منه أي من عند الله وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير
للإيمان فإنه سبب لحياة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله
عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه أو بما وعدهم من الثواب أولئك حزب الله جنده وأنصاره
ألا إن حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة سورة الحشر مدنية وآيها أربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز
الحكيم روي أنه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر
قالوا إنه النبي المنعوت في التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب

ابن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة فحالفوا أبا سفيان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخا كعب من الرضاعة
فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا أكثرهم إلى الشام ولحقت طائفة
بخيبر والحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله إلى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي أخرج الذين
كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر أي في أول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصبهم
هذا الذل قبل ذلك أو في أول حشرهم للقتال أو الجلاء إلى الشام وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم
من خيبر إليه أو في أول حشر الناس إلى الشام وآخر حشرهم أنهم يحشرون إليه عند قيام الساعة
فيدركهم هناك أو أن نارا تخرج من المشرق فتحشرهم إلى المغرب والحشر إخراج جمع من مكان
إلى آخر ما ظننتم أن يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله أي
أن حصونهم تمنعهم من الله وتغيير النظم وتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة على فرط
وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز أن يكون حصونهم
فاعلا لمانعتهم فأتاهم الله أي عذابه وهو الرعب والاضطرار إلى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين
أي فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم أي العذاب أو النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم
وقذف في قلوبهم الرعب وأثبت فيها الخوف الذي يرعبها أي يملأها يخربون بيوتهم بأيديهم
ضنا بها على المسلمين وإخراجا لما استحسنوا من آلاتها وأيدي المؤمنين فإنهم أيضا كانوا يخربون
ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على أيديهم من حيث إن تخريب المؤمنين مسبب
عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال أو تفسير للرعب وقرأ أبو عمرو يخربون بالتشديد
وهو أبلغ لما فيه من التكثير وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا
يا أولي الأبصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على أن القياس
حجة من حيث إنه أمر بالمجاوزة من حال إلى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية
له على ما قررناه في الكتب الأصولية ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء الخروج من أوطانهم لعذبهم
في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف معناه أنهم
إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله
فإن الله شديد العقاب الإشارة إلى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم
أو إلى الآخرة ما قطعتم من لينة أي شيء قطعتم من نخلة لأنه مفسرة باللينة قائمة على أصولها وقرئ
أصلها اكتفاء بالضمير عن الواو وعلى أنه جمع أصل فبإذن الله فبأمره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف
أي وفعلتم أو وأذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي أنه عليه السلام لما أمر بقطع
نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخيل وتحريقها فنزلت
واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم وما أفاء الله على رسوله
وما أعاده عليه بمعنى صيره له أو رده عليه فإنه كان حقيقا بأن يكون له لأنه تعالى خلق الناس لعبادته
وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين منهم من بني النضير أو
من الكفرة فما أوجفتم عليه فما أجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب

ما يركب من الإبل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك أن كان المراد فيء بني
النضير لأن قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا إليها رجالاً غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإنه ركب جملاً أو حماراً ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئاً إلا ثلاثة كانت بهم
حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير
فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى بيان
للأول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد
وقيل يخمس لأن ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإمام على قول
وإلى العساكر والثغور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة
فإنه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف
المذكور كي لا يكون أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء دولة بين الأغنياء منكم الدولة
ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كي لا يكون الفيء ذا
تداول بينهم أو أخذه غلبة يكون بينهم ودولة بالرفع على كان التامة أي كي لا يقع دولة جاهلية
وما آتاكم الرسول وما أعطاكم من الفيء أو من الأمر فخذوه لأنه حلال لكم أو فتمسكوا به لأنه واجب
الطاعة وما نهاكم عنه عن أخذه منه أو عن إتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة رسوله
إن الله شديد العقاب لمن خالفه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فإن
الرسول لا يسمى فقيراً ومن أعطى أغنياء ذوي القربى خصص الإبدال بما بعده أو الفيء بفيء
النضير الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم فإن كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم يبتغون
فضلاً من الله ورضواناً حال مقيدة لإخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم وينصرون الله ورسوله
بأنفسهم وأموالهم أولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في إيمانهم والذين تبوؤا الدار
والإيمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الأنصار فإنهم لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما
وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الإيمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف إليه من الأول
وعوض عنه اللام أو تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله علفتها تبناً وماءً بارداً وقيل
سمى المدينة بالإيمان لأنها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير
الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والإيمان يحبون من هاجر إليهم ولا يثقل عليهم ولا
يجدون في صدورهم في أنفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما
أوتوا مما أعطي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على أنفسهم ويقدمون المهاجرين على
أنفسهم حتى أن من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من أحدهم ولو كان بهم
خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها
من حب المال وبغض الإنفاق فأولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل
والذين جاؤوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي الإسلام أو التابعون بإحسان وهم

المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة ولذلك قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون
ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل أي لإخواننا في الدين في قلوبنا
غلاً للذين آمنوا حقداً لهم ربنا إنك رؤوف رحيم فحقيق بأن تجيب دعاءنا ألم تر إلى الذين
نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب يريد الذي بينهم وبينهم من الأخوة
الكفر أو الصداقة والموالاة لئن أخرجتم من دياركم لنخرجن معكم وقاتلكم أو خذلانكم ولا نطيع
فيكم أحداً أبداً أي من رسول الله والمسلمين وإن قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد
إنهم لكاذبون لعلمه بأنهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم وكان كذلك فإن ابن أبي وأصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم أخلفوهم وفيه
دليل على صحة النبوة وإعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الأدبار انهزاماً
ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين أو نفاقهم إذ ضمير الفعلين يحتمل أن
يكون لليهود وأن يكون للمنافقين لأنتم أشد رهبة أي أشد مرهوبية مصدر للفعل المبني
للمفعول في صدورهم فإنهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقاً
فإن استبطان رهبتكم سبب لإظهار رهبة الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة
الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا أنه الحقيق بأن يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون
جميعاً مجتمعين إلا في قرى محصنة بالدروب والخنادق أو من وراء جدر لفرط رهبتهم
بأسهم بينهم شديد أي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فإنه يشتد بأسهم إذا حارب بعضهم
بعضاً بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولأن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله و
رسوله تحسبهم جميعاً مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف
مقاصدهم ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وإن تشتت القلوب يوهن قواهم
كمثل الذين من قبلهم أي مثل اليهود كمثل أهل بدر أو بني قينقاع إن صح أنهم أخرجوا قبل
النضير أو المهلكين من الأمم الماضية قريباً في زمان قريب وانتصابه بمثل إذ التقدير كوجود
مثل ذاقوا وبال أمرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب أليم في الآخرة كمثل الشيطان
مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر إغراء على الكفر
إغراء الآمر المأمور فلما كفر قال إني بريء منك تبرأ عنه مخافة أن يشاركه في العذاب ولا
ينفعه ذلك كما قال إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها
وذلك جزاء الظالمين والمراد من الإنسان الجنس وقيل أبو جهل قال له إبليس يوم بدر لا غالب
لكم اليوم من الناس وإني جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما
وخالدان على أنهما خبران وفي النار لغو يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد ليوم القيامة سماه به لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم
وأما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس
واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد أو الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل والثاني

في ترك المحارم ولا قرانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة الى الله والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القران لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فيه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت فسل علي السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرءا ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله وعذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له

فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه شرط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استئناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطأه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وعاصم يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان يأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرط منا ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التأسي بابرهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤوا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم

الظعينة امرأة في هودج

ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء
لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب
المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر
رضي الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين
وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن
فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع
على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف
وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار
اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة
او الاول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستئناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور
وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود
النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه السلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت
الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر
في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم
به الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات
وقرأ البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار
وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم
استئناف او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما
تقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ
به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم
اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك
مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انه لما
نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم
فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون فان الايمان به يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك
على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة

٣٩٩

النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تامرهن
بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق
في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر
لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني
عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود
ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها
لعنادهم الرسول صلى الله عليه وسلم المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من
اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع
المضمر للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له
المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة سورة الصف مدنية وقيل مكية واياتها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
سبق تفسيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو
علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر على حذف الفها
مع حروف الجر لكثرة استعمالها معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان
تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص
كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
مصطفين مصدر وصف به كأنهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن
في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر
او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما
جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه و
قد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب
والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى ابن مريم
يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا
لما بين يدي من التوراة ومبشرا حال مصدقا لما تقدمني من التوراة وتبشيري برسول ياتي
من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه
فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات
قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي
هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام

اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته
الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدّعى
يقال دعاه وادّعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم
يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا
كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
بافواههم يعني دينه او كتابه او حجته بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله
بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع
الاديان ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجّيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي
الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني
ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم
جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا
وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب
المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى
ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة
وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون
او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما
عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على
محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا
ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا
انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى
ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون
نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية
اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا
كما كان الحواريون من الحور وهو البياض حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون
اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة
اي بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين
فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا
له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس
العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب
لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا
مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة
القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم
وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها وآخرين منهم
عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته
وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا
الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن
اقرانه يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا
ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التوراة علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما
فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه
معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين
كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص
بالذم محذوفا والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم
انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا
من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه
ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل
ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم
فانه ملاقيكم لا حق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكأن فرارهم
يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة
اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب
تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف
فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة
والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر
الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او كنتم من
اهل العلم فاذا قضيت الصلاة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر
عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا

الكناية ضمير اليها والرد بغير الارجاع

وانما هو عبادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع
احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها روي انه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر
فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا
يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة
على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض
الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه
وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق
مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم ياتها في
امصار المسلمين سورة المنافقين مدنية واياتها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو
الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم جنة حلفهم
الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن
القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم
ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من
النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم امنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او امنوا
اذا راوا اية ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا
فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها و
صباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر مثله فيعجبه هياكلهم ويصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير
المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا
خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح
المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن في جمع بدنة
يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلة
والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل
على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان
يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤوسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم
مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم

في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق
هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله
خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء
فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لنخرجن
بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدر
او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن
اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة
وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال
ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير
الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للاخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت ان يرى دلائله
فيقول رب لولا اخرتني هلا امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق
واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرا ابو عمرو و
اكون منصوبا عطفا على فاصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله
نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر بالياء ليوافق
ما قبله في الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق سورة التغابن
مختلف فيها واياتها ثمان عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات
وما في الارض له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص
الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على
سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن
مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات
والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة
حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع
المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا
كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة
المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم
ياتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر
كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار

ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اي المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما في حيزه قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرئ نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الفوز العظيم الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي ائتوا خيرا لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله قرضا حسنا بصرف المال فيما امره مقرونا بالاخلاص وطيب القلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة

والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتوقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضي الله عنهما لما طلق امراته حائضا امره النبي صلى الله عليه وسلم بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي لا تدري النفس او ايها النبي لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استئناف فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة ايها الشهود عند الحاجة خالصا لله ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب

ومعه تأنيه منه الأمل غفل عنه العدو فاستنفقها ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه إن الله بالغ أمره يبلغ
ما يريد ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالإضافة وقرئ بالغٌ أمرُه أي نافذ وبالغاً على أنه حال والخبر
قد جعل الله لكل شيء قدراً تقديراً أو مقداراً أو أجلاً لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل و
تقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والأمر بإحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها
واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن إن ارتبتم شككتم في عدتهن أي جهلتم فعدتهن
ثلاثة أشهر روي أنه لما نزل والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي
لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن أي واللائي لم يحضن بعد كذلك وأولات الأحمال أجلهن أي منتهى
عدتهن أن يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى
من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً لأن عموم أولات الأحمال بالذات
وعموم أزواجاً بالعرض والحكم معلل هنا بخلافه ثمة ولأنه صح أن سبيعة بنت الحارث وضعت
بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولأنه
متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والأول راجح للوفاق عليه
ومن يتق الله في أحكامه فيراعي حقوقها يجعل له من أمره يسراً يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ذلك إشارة
إلى ما ذكر من الأحكام أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله في أحكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته
فإن الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له أجراً بالمضاعفة أسكنوهن من حيث سكنتم أي مكاناً من
مكان سكناكم من وجدكم من وسعكم أي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن
في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن إلى الخروج وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحاديث
تؤيده فإن أرضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن أجورهن على الإرضاع وأتمروا
بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضاً بجميل في الإرضاع والأجر وإن تعاسرتم تضايقتم فسترضع
له أخرى امرأة أخرى وفيه معاتبة للأم على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر
عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله أي لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفساً
إلا ما آتاها فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر
فقال سيجعل الله بعد عسر يسراً أي عاجلاً أو آجلاً وكأين من قرية أهل قرية عتت عن أمر ربها
ورسله أعرضت عنه إعراض العاتي المعاند فحاسبناها حساباً شديداً بالاستقصاء والمناقشة
وعذبناها عذاباً نكراً منكراً والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت
وبال أمرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة أمرها خسراً لا ربح فيه أصلاً أعد الله
لهم عذاباً شديداً تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به في قوله فاتقوا الله يا أولي الألباب
ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا
به عاجلاً الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر
وهو القرآن أو لأنه مذكور في السموات أو ذا ذكر أي شرف أو محمداً عليه السلام لمواظبته على تلاوة القرآن

أو تبليغه وعبر عن إرساله بالإنزال ترشيحاً أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه وأبدل عنه رسولاً
للبيان أو أراد به القرآن ورسولاً منصوب بمقدر مثل أرسل أو ذكراً والرسول مفعوله أو بدل منه
على أنه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله أو صفة رسولاً والمراد بالذين
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم
أو قدر أنه يؤمن من الظلمات إلى النور من الضلالة إلى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد أحسن الله له رزقاً فيه
تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الأرض مثلهن
أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الأمر بينهن
أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد
أحاط بكل شيء علماً علة لخلق أو يتنزل أو مضمر يعمهما فإن كلاً منهما يدل على كمال قدرته وعلمه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي
لم تحرم ما أحل الله لك روي أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة أو حفصة فاطلعت على
ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلاً عند حفصة فواطأت عائشة
سودة وصفية فقلن له إنا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات أزواجك
تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف ببيان الداعي إليه والله غفور لك هذه الزلة فإنه لا يجوز
تحريم ما أحل الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله
لكم تحلة أيمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة أو الاستثناء فيها
بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل في يمينه إذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقاً أو تحريم
المرأة يميناً وهو ضعيف إذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يميناً مع احتمال أنه عليه السلام
أتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولي أمركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في أفعاله
وأحكامه وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه يعني حفصة حديثاً تحريم مارية أو العسل أو أن الخلافة
بعده لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما نبأت به أي فلما أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأظهره الله عليه واطلع
النبي عليه على الحديث أي على إفشائه عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت وأعرض
عن بعض عن إعلام بعض تكرماً أو جازاها على بعضه بتطليقه إياها وتجاوز عن بعض ويؤيده
قراءة الكسائي بالتخفيف فإنه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب إطلاق المسبب على السبب
والمخفف بالعكس ويؤيد الأول قوله فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير
فإنه أوفق للإعلام إن تتوبا إلى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة
فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة
الرسول صلى الله عليه وسلم بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وإن تظاهرا عليه وإن تتظاهرا عليه بما يسوءه
وقرأ الكوفيون بالتخفيف فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله

والملائكة وصالح المؤمنين فإن الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالإضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه لم يطلق حفصة وأن في النساء خيرا منهن لأن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وأبو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات قانتات مصليات أو مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات أو متذللات لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لأنه يسيح في النهار بلا زاد أو مهاجرات ثيبات وأبكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنهما في حكم صفة واحدة إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم بالنصح والتأديب وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي أمرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لأنه لا عذر لهم أو العذر لا ينفعهم يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة ووصفت به على الإسناد المجازي مبالغة أو في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور أو النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذا نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا نصوحا لأنفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ذكر بصيغة الإطماع جريا على عادة الملوك وإشعارا بأنه تفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي صلى الله عليه وسلم إحمادا لهم وتعريضا لمن ناوأهم أي على الصراط نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون إذا طفئ نور المنافقين ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلا يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم إذا بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم أو مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط

قوله ظهير يعني أعوان وهو من الواحد الذي يؤدي عن الجمع كقوله وحسن أولئك رفيقا

390

فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلن يغني النبيان عنهما بحق الزواج إغناء ما وقيل ادخلا النار مع الداخلين أي لهما عند موتهما أو يوم القيامة مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله إذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفس الخبيث وعمله السيئ ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل التي أحصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها أي في مريم أو الجملة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط أصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه وكتبه ما كتب في اللوح أو جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى والإنجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم فتكون من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه السلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر وآيها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحياة قدرهما أو أوجد الحياة وأزالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ولأنه أدعى إلى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف أيها المكلفون أيكم أحسن عملا أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا أحسنكم عقلا وأورعكم عن محارم الله وأسرعكم في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا تعلق الفعل عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سماوات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل إذا خصفتها طبقا على طبق وصف به أو طوبقت طباقا أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال أو طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فإن كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والإشعار بأنه تعالى خلقها بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وأن في إبداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب أي قد نظرت إليها مرارا فانظر إليها مرة أخرى متأملا فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره إذا شقه ثم ارجع البصر كرتين أي رجعتين أخريين

في ارتياد الخلل والمراد بالكرتين التكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك
البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة
وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة
السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير
للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب
المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون فالرجوم
جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق
بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب
على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت
الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم
وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من
الكفرة سالهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا
نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل وافرطنا في
التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى
الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب
له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء
الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على
ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع
كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر
في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم
حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا
لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمة الله والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل
وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه
بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
تصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل
ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته
حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو
بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا
يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على
جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها
في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا

يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه
والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم أأمنتم من في السماء يعني الملائكة
الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب
فانهم زعموا انه تعالى في السماء وقرأ ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وآمنتم
بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع برواية ورش ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما
فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء
والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون
كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب
الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله عليه
وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانهن
فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد
وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصيل في الطيران
والطاري عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على
اشكال وخصائص هيأتهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر
العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على
معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب
ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه
اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ
وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور
لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك
المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور شراد
عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وهو من
الغرائب كقشع مثل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه
لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا قائما سالما من العثار
على صراط مستقيم مستوي الاجزاء او الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين و
الدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه
المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب
الاعمى فانه يعتسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى
النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا
المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها
فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم في الارض للجزاء واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد

اى الحشر او ما وعد وامن الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
قل انما العلم اى علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفيه العلم
بل الظن بوقوع المحذر منه فلما راوه اى الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اى قرب منهم
سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذى كنتم به
تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا تبعثوا من الدعوى قل
ارايتم ان اهلكنى الله اماتنى ومن معى من المؤمنين او رحمنا بتاخير آجالنا فمن يجير الكافرين
من عذاب اليم اى لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب
المنون قل هو الرحمن الذى ادعوكم اليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق
عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع فستعلمون وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار
من هو فى ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا
غائرا فى الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر
سهل المأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر سورة
ن مكية واياتها اثنان وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء
الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او اليهموت وهو الذى عليه الارض او الدواة
فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه
وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذى خط اللوح او الذى يخط به اقسم به لكثرة فوائده
واخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون
الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئ بالفتح والكسر
كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثانى على
ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولى العلم لاقامته مقامه او لاصحابه
او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون
منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون لان الباء لا تمنع عمله فيما
قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون مقطوع
او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك
ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رض عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد
افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون
على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق
الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة
وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا
لو تدهن بان تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك
بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن

او للسببية

او للسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون
طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل
مهين حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه
السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز
فى الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد
من مثالبه زنيم دعى مأخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو
الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله من
ثقيف وعداده فى زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اى قال
ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه
لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان
ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أأن كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل
الهمزة الثانية بين بين اى ألان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وروى ان
كان بالكسر على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد
وان شرطه للمخاطب اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرطه فى الطاعة سنسمه
بالكى على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثره وقيل هو عبارة عن
ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين
ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا
كان دون صنعاء لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم
ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد من البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما
مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين
كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله
وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه
او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان
يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم
كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها
او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا
مصبحين ان اغدوا على حرثكم اى اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما
لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان كنتم صارمين
قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه
الخفدود للخفافيش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول
والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك ههنا وغدوا

على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اى غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن اى بعدما تاملوا وعرفوا انها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجرى فى ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذى بلوناهم به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اى فى الآخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راى ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جئت باللام كسرت ويجوز ان تكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود موكدة بالايمان بالغة متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او بالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه فى هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كانه لما نفى ان تكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون ما يشركون به الله يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله

تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث كله الى فانى اكفيكه سنستدرجهم سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملى لهم وامهلهم ان كيدى متين لا يدفع بشيء وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه فى صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس عليه السلام اذ نادى فى بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا فى الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحى اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرا نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اى ليهلكونك لما سمعوا الذكر اى القرآن اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة فى امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها او التى تحق فيها الامور اى تعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى وهى مبتدا خبرها ما الحاقة واصله

ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك
ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدا
وادريك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار
وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد
في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها
مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من
الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على
عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة جيء به لنفي
ما توهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال
وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات
حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا
على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت
ايام العجوز من صبح اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان
عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم
فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل
خاوية متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله
ومن تقدمه وقرا البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه
والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطا او بالفعلة او الافعال ذات الخطا
فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم
في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يدل
من قبله حملناكم اي اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لنجعل الفعلة
وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره
ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ
الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره
واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب
لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في
تهويل القيامة وذكر مال المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها
وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب
على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت
الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة
فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا

بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء
للتي لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت
السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على
ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها
وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة
الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي
مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف
من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين
يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة
بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم
اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل
النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها
وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرا حمزة والكسائي
بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤوا كتابيه هاؤم
خذوا وفيه لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم
يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤوا لانه اقرب العاملين ولانه
لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤوه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه
وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك
قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح
في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية فهو في عيشة راضية
ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة
بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع
قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالكسر المصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار
القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا اي هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال
الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل
وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها
كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت
علي لانها صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا
ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول
لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه
يقوله الله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم

قوله بان يلفوها على جسده اشارة الى ان في الآية وجها آخر وهو ان السلسلة التي سبعون ذراعا ... اي يلتف على جسده وزعم اصحابه انه يحول على العنق ... السلسلة في المسلوك فيه ... عن ابن عباس ان اهل النار يكونون كالثعلب في المخيط ... في جنب الشيطان وهي الريح

على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطا المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والخلائق باسرها انه اي القران لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما السلم وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع الكاهنية لان عدم مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل نضر بن الحرث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك الآية او ابو جهل فانه قال اسقط علينا كسفا من السماء استهزاء او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم

وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي تصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم واعلى العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونراه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما ولا يسال قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسال على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسال منه حاله يبصرونهم استئناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ عذاب يومئذ ... لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي

لو يفتدي وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير
للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للشان ولظى مبتدا خبره نزاعة للشوى وهي اللهب الخالص
وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرئ نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة
او المتنقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تدعو تجذب
وتحضر كقول ذي الرمة يدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو
زبانيتها وقيل تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع
فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص
قليل الصبر اذا مسه الشر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير منوعا يبالغ في الامساك
والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف
لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين
على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق
والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل
وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم
عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل للذي يسأل
والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان
يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد
ان يامن عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او
ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سبق في سورة المؤمنين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرا
ابن كثير لامانتهم يعني لا يجحدون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق العباد وقرا يعقوب وحفص
بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها
وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها
على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون فمال الذين كفروا
قبلك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من
العزو كان كل فرقة يعتزي الى غير من يعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلقا ويستهزئون بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم
لو صح ما يقوله لنكونن فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون
وما بعده الى اخر السورة تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل
بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون
وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدل بالنشاة

الاولى على امكان النشاة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه
فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم ان نهلكهم ونأتي
بخلق امثل منهم او نعطي محمدا صلى الله عليه وسلم بدلكم وهو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين
ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون سبق في اخر الطور يوم يخرجون من
الاجداث سراعا كانهم الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرا ابن عامر وحفص نصب
بالضم على انه مخفف نصب او جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي
كانوا يوعدون عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وآيها تسع او ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان
تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان ياتيهم عذاب
اليم عذاب الآخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون مر في الشعراء نظيره وان يحتمل الوجهين يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو
ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم
بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل
اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم
والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحياة كانهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على
السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم
في آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا
يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم فالتعبير بصيغة الطلب للمبالغة
واصروا اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا اصر اذنيه واقبل عليها
واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا
اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ
من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر
لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى
مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم
بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه
فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت
دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك
على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء تحتمل المظلة

والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين
ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تأملون
فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه
وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار
من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي
الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا آخر فانه يدل
على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع
ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا
اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها
به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا
انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكوين من الارض واصله انبتكم
انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر
واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم
الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى
الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا
رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة
وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد ادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير و
الكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحُزن والحَزَن او جمع كالأُسْد ومكروا عطف
على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك
احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم
ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عُبِدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع
لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب
ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد
الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم
لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم
وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب
القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب
للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران
فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم
وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام

فيعال

فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعّال والا لكان دوّارا
انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم
الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش
وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
الى يوم القيامة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين
الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ أُحِيَ واصله وُحِيَ من وحى اليه
فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة والعشرة
والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة
وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم
وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا
قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة
يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على
ما نطقت به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر
على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام
فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح
الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه
قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه
او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته
او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا على التمييز وجد بالكسر
اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ
الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط
وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشتط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم ان احدا
لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه
ومن قرأ ان لن تقوّل كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء
قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان
اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا كما
ظننتم ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله ومن
فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا سادّ مسدّ مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء

طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه
واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين
يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين
على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون
ذلك قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق
في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا اي ايقنا
علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى
السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن
آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها
به بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما
لان من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق
الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار
الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان
لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة المثلى لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم
الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب
لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا
باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن
يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه ندخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب
ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا
فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها
لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على
ان المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله
اي النبي وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي
لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه
تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال
امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا كسجد جمع
لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر
يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه

او متعبدا اشعارا بالمقتضي قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا
منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض
مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته
عطف على بلاغا ومن الله صفة فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر
بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى
حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى
الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا
واقل عددا هو ام هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية
تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل
انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه
احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن
واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير
وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط
الانبياء فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة
يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان
قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به
موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل
واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد
كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا
تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره
او زمل نفسه سمي به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه فانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي
متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي متلففا ببقية مرط مفروش
على عائشة فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل
الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلاة او داوم عليها
وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه
استثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد
عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه
وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف
او للنصف والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا اقراه
على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان

مُثَقَّلًا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القران فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين
سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه
بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه
او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على
الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم
عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل
مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشا من
مضجعها الى العبادة من نشا من مكانه اذا نهض قال نشانا الى خوص بري نيها السرى والصق
منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشا بالليل
اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشات
اذا ابتدات هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات قدم وقرا ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطاة
القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا
او اثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهامك و
اشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل
مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر
الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قران ودراسة علم وتبتل اليه
تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع
تبتيلا موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرا ابن عامر
والكوفيون عن حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله
الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور واصبر
على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم الى
الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم
اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا
تقلل للاقدام والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم
وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك
فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق
بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي
انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل
ظرف لما في لدينا انكالا لامر بمعنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول
من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل
مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى

فرعون ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا
وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم
ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض
او التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول
السماء منفطر به منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شيء به بشدة ذلك اليوم على عظمها
واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل او لليوم على اضافة
المصدر الى المفعول ان هذه الايات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
اي تقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعير الادنى للاقل
لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى
وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما
كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدا مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن
تحصوه اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص
في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤوا ما تيسر من القران فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة
الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور
فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤوا القران بعينه كيفما تيسر
عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استئناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم
مرتبا عليه وقال واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء الفضل المسافرة
للتجارة وتحصيل العلم واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه واقيموا الصلاة
المفروضة واتوا الزكاة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبيل
الخير او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا
لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع
الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف
التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو
من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر
في الدنيا والاخرة سورة المدثر مكية وايها ست وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت
عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك
الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك
قيل هي اول سورة نزلت وقيل تاذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت
وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي فيه
على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به

عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا
روي انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء
فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن فكبر ربك او الدلالة على ان المقصود الاول
من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب
بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب
في الصلاة محبوب في غيرها وذلك بغسلها وبحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها
وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال
الدنيئة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر
دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على
هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر
ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان تهب شيئا طامعا في عوض
اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله علم المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص
والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم
او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف والابدال من تمنن على انه من من بكذا او تستكثر
بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال
عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر
على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر في الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى
التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على زمان صعب
تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين
فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ
بدله او ظرف لخبره اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير تأكيد يمنع ان يكون عسيرا
عليهم من وجه دون وجه ويشعر بتيسيره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزل في الوليد بن المغيرة
ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي
لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه
كان ملقبا به فسماه الله به تهكما او اراد انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما
وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين
شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج
ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له
عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا
وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم

٤٥٥

ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيته وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو
عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل
للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال
بعد نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو
مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم
يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا
في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب
اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد
ويدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه
فقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه
ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان
محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر
فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله
وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا مستعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة
على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القرآن مرة بعد اخرى ثم عبس
قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب في وجهه
وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر
يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان
هذا الا قول البشر كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها سأصليه سقر بدل من سأرهقه
صعودا وما ادراك ما سقر تعظيم لشأنها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل
فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى يهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي
الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من
الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى
الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار
وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك
او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او
صنف او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلاة فيبقى تسعة عشر قد تصرف
فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة
توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير
جمع يعني نقيبهم او جمع عشرة وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين

فلا يرقون لهم ولا يرحمونهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله روى ان ابا جهل
لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر
فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به و
استبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول فيحسن تعليله
بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق
القران لما راوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق
اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي في ذلك وهو تاكيد للاستيقان
وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك
او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب
ماذا اراد الله بهذا مثلا اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما
استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من
الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما
هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما
يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر او عدة الخزنة
او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها والقمر قسم
والليل اذ ادبر اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضي
والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر اي البلايا الكثيرة وسقر
واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء
بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد لاحدى
الكبر نذيرا للبشر انذارا حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا
او خبر المحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق
الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو
كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل
هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله
يتساءلون عن المجرمين اي يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه
اي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسئولين والمجرمين اجابوا
بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاؤه وفيه دليل
على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين
فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة حتى اتانا

اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين
اي معرضين عن التذكير يعني القران او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم
في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع
عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف
كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة واي تذكرة فمن شاء ذكره اي فمن شاء ان يذكره ذكره وما يذكرون
الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيتهم لقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل
العبد بمشية الله وقرا نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى واهل المغفرة
حقيق بان يتقى عقابه سيما المتقين منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المدثر اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة سورة القيمة مكية واياتها تسع او اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل
القسم للتاكيد شائع في كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر
وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية
التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت
في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي انه عليه السلام ليس من نفس
برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا
قالت ليتني كنت قصرت او نفس ادم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها
الى القيمة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل
اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام
ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على
ان نسوي بنانه بجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف
بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل
المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز
ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا والمراد ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام
ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبل من الزمان يسال ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او
استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرا
نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب
اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب
الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات

الموت ان فسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله
الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول
الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان
كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك
يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم
يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله
وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق
به وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد
بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو
جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير القياس كالمناكير
في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك به يا محمد بالقرآن لسانك
قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه
واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه قراءته
وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل
على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العاجلة لان العجلة
اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء
نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه
من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من
اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار والتأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء
عليه كلا ردع للرسول صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله بل
تحبون العاجلة وتذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال
وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين
بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث
تغفل عما سواه ولذلك قدم المعمول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة
انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه
لا يعدى بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان
الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر
لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر
الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر
واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به
من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه

الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه
فلا تقدر تحركهما او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه
فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان
المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك
من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك
فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك
الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار
ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا
لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر
بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا مجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في
الآخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين
الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما قرر مرارا ولذلك رتب
عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال
سبحانك بلى وعنه من قرأ سورة القيمة انه كان مؤمنا به سورة الانسان مك واياتها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك
فسر بقد واصله أهل كقوله أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم حين من الدهر طائفة محدودة
من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر
والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا
الانسان من نطفة او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه من نطفة امشاج اخلاط جمع مشج او
مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وجمع النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما
مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد
كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرا
او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موضع الحال اي مبتلين له
بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا
ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على
الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب الدلائل وانزال الآيات
اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا
او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه
بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على
الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المأخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا
للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم [illegible]

وقد تأخر ذكرهم لأن الإنذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن وقرأ نافع و
الكسائي وأبو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كأرباب أو بار كأشهاد يشربون من كأس
من خمر وهي في الأصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما تمزج به كافورا لبرده وعذوبته وطيب
عرفه وقيل اسم ماء في الجنة تشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون
كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف أي ماء عين
أو خمرها أو نصب على الاختصاص أو بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله أي ملتذا
أو ممزوجا بها وقيل الباء زائدة أو بمعنى من لأن الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها
حيث شاؤوا إجراء سهلا يوفون بالنذر استئناف ببيان ما رزقوه لأجله كأنه سئل عنه فأجيب
بذلك وهو أبلغ في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لله كان أوفى
بما أوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار
من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار وفيه إشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي
ويطعمون الطعام على حبه حب الله أو الطعام أو الإطعام مسكينا ويتيما وأسيرا يعني أسارى
الكفار فإنه عليه السلام كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه أو الأسير المؤمنين
ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك إنما نطعمكم لوجه الله
على إرادة القول بلسان الحال أو المقال إزاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للأجر وعن عائشة
أنها تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فإن ذكروا دعاء دعت لهم بمثله ليبقى
ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا أي شكرا إنا نخاف من ربنا
فلذلك نحسن إليكم أو لا نطلب المكافأة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد
العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة إذا رفعت
ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم و
تحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم
على أداء الواجبات واجتناب المحرمات وإيثار الأموال جنة بستانا يأكلون منه وحريرا يلبسونه
وعن ابن عباس أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا
يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلث إن برئا فشفيا
وما معهم شيء فاستقرض علي كرم الله وجهه من شمعون الخيبري ثلث أصوع من شعير فطحنت
فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص فوضعوا بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه
وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم
وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبرئيل بهذه السورة وقال خذها يا محمد
هنأك الله في أهل بيتك متكئين فيها على الأرائك حال من هم في جزاهم أو صفة لجنة لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وأن يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى أنه يمر عليهم فيها هواء
معتدل لا حار محمي ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها

والزمهرير ما زهر والمعنى أن هواءها مضيء بذاته لا يحتاج إلى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها
حال أو صفة أخرى معطوفة على ما قبلها أو عطف على جنة أي وجنة أخرى دانية على أنهم وعدوا
جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على أنها خبر ظلالها والجملة حال أو صفة
وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله أو حال من دانية وتذليل القطوف أن تجعل سهلة
التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب وأباريق
بلا عروة كانت قواريرا قوارير من فضة أي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها
وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الأولى لأنها رأس الآية
وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا أي قدروها وأسبابها فجاءت مقاديرها
وأشكالها كما تمنوه أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها أو قدر الطائفون بها المدلول
عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها أي جعلوا قادرين لها كما
شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه
الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا
لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم
بزيادة الباء والمراد به أن ينفي لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل أصله سل سبيلا فسمي
به كتأبط شرا لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان
مخلدون دائمون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم و
انعكاس شعاع بعضهم إلى بعض وإذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لأنه عام معناه
أن بصرك أينما وقع رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه
مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه هذا وللعارف أكبر من ذلك وهو أن تنتقش نفسه
بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بأنوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق
يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم أو حسبتهم أو ملكا
على تقدير مضاف أي وأهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على أنه خبر ثياب وقرأ ابن
كثير وأبو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فإنه اسم جنس وإستبرق بالرفع عطفا على ثياب
وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ
وإستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا
أساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله أساور من ذهب لإمكان الجمع والمعاقبة
والتبعيض فإن حلي أهل الجنة يختلف باختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه
بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من الضمير في عاليهم بإضمار قد وعلى
هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا
آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقيه إلى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فإنه يطهر
شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا

ببقائه منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم بالثواب للابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول
والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القران
تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك
بتاخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم اثما او كفورا اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه
ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه واو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به
والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى ان
لا يكون المطاوعة فى الاثم والكفر فان مطاوعتهم فى المباح ليست محظورة واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له
وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلوة الليل من مزيد
الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة و
يذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل
وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم
بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم فى الخلقة
وشدة الاسر يعنى النشأة الثانية ولذلك جىء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة و
قوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او الايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بما يستاهل كل احد حكيما
لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل من يشاء فى رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا
اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق الجملة المعطوف عليها وفى الرفع على
الابتداء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا سورة
المرسلات مكية واياتها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات
عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم
بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال امره ونشرن
الشرائع فى الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل
فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او بايات القران المرسلة بكل عرف الى
محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن اثار الهدى والحكم فى
الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة
الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحق
بذاته والباطل بنفسه فيرون كل شىء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون فى القلوب والالسنة
الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن فالقين
ذكرا اى تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها واثارها ذكر الله وتذكر كمال قدرته وعرفا اما
نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس

وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او
جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلة
اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدل من ذكرا على ان المراد به الوحى او ما يعم التوحيد
والشرك والايمان والكفر انما توعدون من مجىء القيمة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت واذهبت نورها
واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل
اقتت عين لها وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله
او بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل لاى يوم اجلت اى
يقال لاى يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثانى
مفعولى اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم الفصل
ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اى بذلك وويل فى الاصل مصدر منصوب
باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته
الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين
اى ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الاخرين المتاخرين
من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم
ويل يومئذ للمكذبين بايات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق بمتعلق
واحد لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا للاهلاك فى الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن
شائع فى كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة قذرة ذليلة فجعلناه فى قرار مكين هو الرحم
الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدرناه
ويدل عليه قراءة نافع والكسائى بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا
على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويجمع كالضمام
والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء
اجرى على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان
احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس
او بجعل على المفعولية وكفاتا حالا او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات
ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسى شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او اشعار بان
فيها ما لا يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين
بامثال هذه النعم انطلقوا اى يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا
خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعنى ظل دخان جهنم
كقوله وظل من يحموم ذى ثلث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب
وخصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى
الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى

في يساره ولذلك فصل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة على يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل
تهكم بهم ورد لما أوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا إنها
ترمي بشرر كالقصر أي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده أنه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة
أصل العنق والهاء للشعب كأنه جمالات جمع جمال أو جمالة جمع جمل صفر فإن الشرار لما فيه
النارية يكون أصفر وقيل سود فإن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة والأول تشبيه في العظم
وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص
جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة
شبهه بها في امتداده والتوائه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون أي بما يستحق
فإن النطق بما لا ينفع كلا نطق أو بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ
بنصب اليوم أي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف
فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الإذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل
على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن وأوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم
الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والأولين تقرير وبيان للفصل فإن كان لكم كيد فكيدون
تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين إذ لا حيلة لهم في التخلص
من العذاب إن المتقين من الشرك لأنهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون
مستقرون في أنواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون أي مقولا لهم ذلك إنا كذلك نجزي
المحسنين في العقيدة والعمل ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد
كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك
تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم المقيم ويل
يومئذ للمكذبين حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل وإذا قيل لهم اركعوا أطيعوا
واخضعوا أو صلوا أو اركعوا في الصلاة إذ روي أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة
فقالوا لا نجبي فإنها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون
لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على أن الأمر للوجوب وأن الكفار مخاطبون بالفروع ويل
يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته
مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عليه السلام من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس
من المشركين سورة النبأ مكية وآيها أربعون بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون أصله عما فحذف الألف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه
كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أو
يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويترادونهم أي يدعونهم
ويرونهم أو للناس عن النبإ العظيم بيان للشأن المفخم أو صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر
به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه أو بالإقرار والإنكار

كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للإشعار بأن
الوعيد الثاني أشد وقيل الأول عند النزع والثاني في القيامة أو الأول للبعث والثاني للجزاء
وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا
تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر
تقريره مرارا وقرئ مهدا أي إنها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد للتنويم عليه وخلقناكم
أزواجا ذكرا وأنثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الإحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية
وإزاحة لكلالها أو موتا لأنه أحد التوفيين ومنه المسبوت للميت وأصله القطع أيضا وجعلنا
الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش
تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به أو حياة تنبعثون فيه عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا
سبع سموات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا
من وهجت النار إذا أضاءت أو بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وأنزلنا
من المعصرات السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أحصد
الزرع إذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض أو من الرياح
التي حان لها أن تعصر السحاب أو الرياح ذوات الأعاصير وإنما جعلت مبدأ للإنزال لأنها
تنشئ السحاب وتدر أخلافه ويؤيده أنه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه
وثج بنفسه وفي الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي
وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن
والحشيش وجنات ألفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش
مغدق أو لفيف كشريف أو لف جمع لفاء كخضراء وخضر وأخضار أو ملتفة بحذف الزوائد
إن يوم الفصل كان في علم الله أو في حكمه ميقاتا حدا يؤقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا
للخلائق ينتهون إليه يوم ينفخ في الصور بدل أو بيان ليوم الفصل فتأتون أفواجا جماعات
من القبور إلى المحشر روي أنه عليه السلام سئل عنه فقال يحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على
صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم
وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل
القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون
على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران
لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وأهل السحت وأكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين
بأعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس إلى
السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء شققت
وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت أبوابا فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب
أو فصارت ذات أبواب وسيرت الجبال أي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب

اذ نرى على صورة الجبال ولم يبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت
مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها
في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة لئلا
يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا
وماوى لابثين فيها وقرا حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه
ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه
ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر
وان كان من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا
يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر
من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا
قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد
بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم
وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤوس الآي وقرا حمزة والكسائي
وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها
او وفق فيها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان
لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام
الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب لقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه
وانما اقيم مقامه للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين
وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة
المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ
كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة المصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه
وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء
والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف
الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب
وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في
القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها
انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت
ثديهن اترابا لدات وكاسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها
لغوا ولا كذابا وقرا الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء
من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منصوب به

نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم
وقرئ حسّابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل
من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفته او خبره وقرا ابن عامر
وعاصم ويعقوب وجره على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو
لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم
مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم
يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد
لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا
بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون
او لا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة
ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة
انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان
مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل
هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما
موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه
ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث
وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة سورة والنازعات
مكية وآيها خمس او ست واربعون والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون
ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا
غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر
اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون
بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان
يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من
الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات
النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب
وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحون في الفلك
فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة
وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها
من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها

سلوكها خ

ينزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس وينشط الى عالم الملكوت
وتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها
تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى
تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون
بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات
خيلهم فانها تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام
الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام
الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه **يوم ترجف الراجفة** وهو منصوب والمراد بالراجفة
الاجرام الساكنة التى تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض
والجبال او الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى **تتبعها الرادفة** التابعة وهى
السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة فى موضع الحال **قلوب يومئذ واجفة**
شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة القلوب والخبر **ابصارها خاشعة** اى ابصار
اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب **يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة**
فى الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها
فحفرها اى اثرها بمشيه على التشبيه كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى
الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة **اذا كنا** وقرا نافع وابن
عامر والكسائى اذا كنا على الخبر **عظاما نخرة** بالية وقرا الحجازيان وابو عمرو والشامى
وحفص وروح نخرة وهى ابلغ **قالوا تلك اذا كرة خاسرة** ذات خسران او خاسر اصحابها
والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم **فانما هى زجرة
واحدة** متعلق بمحذوف اى لا تستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة يعنى النفخة الثانية **فاذا هم
بالساهرة** فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا فى بطنها والساهرة الارض
البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة التى يجرى
ماؤها وفى ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم لجهنم **هل اتيك حديث
موسى** اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل
ما اصاب من هو اعظم منهم **اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى** قد مر بيانه فى سورة
طه **اذهب الى فرعون انه طغى** على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما فى النداء من معنى
القول **فقل هل لك الى ان تزكى** هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرا
الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد **واهديك الى ربك** وارشدك الى معرفته **فتخشى**
باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله
فقولا له قولا لينا **فاريه الاية الكبرى** اى فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا
حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة **فكذب**

وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر **ثم ادبر** عن الطاعة **يسعى** ساعيا
فى ابطال امره او ادبر بعدما راى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه **فحشر** فجمع السحرة او جنوده
فنادى فى المجمع بنفسه او بمناد **فقال انا ربكم الاعلى** اعلى كل من يلى امركم **فاخذه الله نكال
الاخرة والاولى** اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى الاخرة بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق
او على كلمته الاخرة وهى هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيرى او للتنكيل
فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله **ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى** لمن
كان من شانه الخشية **ءانتم اشد خلقا** اصعب خلقا **ام السماء** ثم بين كيف خلقها
فقال **بناها** ثم بين البناء فقال **رفع سمكها** اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او
ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا **فسويها** فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم
كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه **واغطش
ليلها** اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها
واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحيها يريد النهار **والارض
بعد ذلك دحيها** بسطها ومهدها للسكنى **اخرج منها ماءها** بتفجير العيون **ومرعيها**
ورعيها وهو فى الاصل لمواضع الرعى وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد
او بيان للدحو **والجبال ارسيها** اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو
مرجوح لان العطف على فعلية **متاعا لكم ولانعامكم** تمتيعا لكم ولمواشيكم **فاذا جاءت الطامة**
الداهية التى تطم اى تعلو على سائر الدواهى **الكبرى** التى هى اكبر الطامات وهى القيمة او النفخة
الثانية او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار **يوم يتذكر
الانسان ما سعى** بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول
المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية **وبرزت الجحيم** واظهرت **لمن يرى**
لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم
كقوله اذا راتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار
وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل **فاما من طغى** حتى
كفر **واثر الحيوة الدنيا** فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس **فان
الجحيم هى الماوى** هى ماواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى
هو الطاغى وهى فصل او مبتدا **واما من خاف مقام ربه** مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدا
والمعاد **ونهى النفس عن الهوى** لعلمه بانه مرد **فان الجنة هى الماوى** ليس له سواها ماوى
يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها او
منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه **فيم انت من
ذكريها** فى اى شىء انت من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها
فى شىء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استاثره الله بعلمه وقيل فيم انكار

سؤالهم وانت من ذكراها استئناف معناه انت ذكر من ذكراها اى علامة من اشراطها فان
ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهاها
اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشاها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا
يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابى عمرو منذر بالتنوين
والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا اى فى الدنيا او فى القبور
الا عشية او ضحاها اى عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف
الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النازعات
كان ممن حبسه الله فى القيمة حتى يدخل الجنة قدر الصلوة المكتوبة

سورة عبس مكية وهى احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر
ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت الآية
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه
على المدينة مرتين وقرى عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف
المذهبين وقرى آن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الآن جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر
الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه
احق بالرافة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات فى قوله وما يدريك
لعله يزكى اى واى شى يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان
اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير
فى لعله للكافر اى انك طمعت فى تزكيته بالاسلام وبذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره
فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرا عاصم فتنفعه بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له
تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرا ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام
وقرى تُصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى وما عليك الا يزكى وليس عليك باس
فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك
الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار فى اتيانك
او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل
ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير
ومثله لا ينبغى له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره
حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتانيث الاول لتانيث خبره
فى صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة
مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدى الشياطين بايدى سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء

ينتسخون الكتب من اللوح او الوحى او سفراء يسفرون بالوحى بين الله ورسله او الامة جمع سافر
من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المراة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على
الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره
دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم
وذم بليغ من اى شىء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدا حدوثه والاستفهام للتحقير
ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهياه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال
او فقدره اطوارا الى ان اتم خلقته ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح
فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره
الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه
على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم
اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحيوة الابدية
واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت
النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض
ما امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من
تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا
الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرا الكوفيون بالفتح على البدل
منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اى بالنبات او بالكراب واسند الشق
الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا
يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا
وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار
غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع
او من اب لكذا اذا تهيا له لانه متهيئ للرعى او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم
فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اى النفخة وصفت
بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم وتاخير الاحب
فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم
يومئذ شان يغنيه يكفيه فى الاهتمام به وقرى يعنيه اى يهمه وجوه يومئذ مسفرة
مضيئة من اسفر الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار
وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر
الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه
ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية واياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوءها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحاب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموءودة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله أأنت قلت للناس وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وقتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها ثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادئ قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء غبرته عن اقبال روح ونسيم انه اي القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل فانه قاله عن الله ذي قوة كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما السلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف

اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤون الاستقامة الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال عليه السلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام ربك كريم لا يعذب احدا او لا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعد لها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله

لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون
حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل
ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين
تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان
يوم على البدل من يوم الدين او خبر لمحذوف قال عليه السلام من قرا سورة انفطرت كتب الله له بعدد
كل قطرة من السما حسنة وبعدد كل قبر حسنة سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل
والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا
فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم
وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت
ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم
القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم ياخذونها
وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم
واذا كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل
الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموءا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة
ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي
اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان
من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب
من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من
الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن
ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن
التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب
الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين
كما قال وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه
انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما
قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين
او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون
بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد اثيم متجاوز عن النظر
غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات

المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير
الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل
كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم
الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي
عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما
اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرا حفص بل
ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه
بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على
الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون
النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول
ليعقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب
ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره
يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم
على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف في
وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرا يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة
بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه بالمسك مكان
الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرا الكسائي خاتمه
بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب
المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة
شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله و
تمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في
يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين آمنوا يضحكون
كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون
باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرا حفص فكهين
واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما
ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل
يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم
على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرا حمزة
والكسائي بادغام اللام في الثاء قال عليه السلام من قرا سورة المطففين سقاه الله من الرحيق
المختوم يوم القيمة سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا السما انشقت

بالغمام كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له
وانقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن
له وحقت اي وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا
الارض مدت بسطت بان تزال جبالها واكامها والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز
والاموات وتخلت وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها
في الالقاء والتخلية وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه
محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار او يدل عليه قوله
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه
اي جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح الى
ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله سرورا الى عشيرته المؤمنين
او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتى كتابه بشماله من
وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور
ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى كقوله
وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال
والجاه فارغا عن الاخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان
به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق
المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل
وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات
لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا
عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او
مراتب من الشدة بعد المراتب وهي الموت ومواطن القيامة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي
على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال
ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة
وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم
القيامة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عليه السلام
قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم فنزلت واحتج
به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها
وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين
كفروا يكذبون اي بالقرآن والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة
فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل

والمراد

والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه من وراء ظهره سورة البروج مكية
وآيها ثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والسماء
ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون
فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء
فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود
ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف
او وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة كأنه قيل ما افرطت كثرته من
شاهد ومشهود او النبي وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق
او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم
النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجتمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب
الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كأنه قيل
انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت
المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق
في الارض ونحوه الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم
حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر
فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي
جليس للملك فابرأه فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام
فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا
فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا
ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول
باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه ومات فآمن الناس فامر باخاديد
واوقدت فيها حتى جاءت معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري
فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله
احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر
نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل
من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام
في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون
يوم القيامة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا منهم وما انكروا منهم الا ان يؤمنوا

بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك
السموات والأرض والله على كل شيء شهيد للإشعار بما يستحق أن يؤمن به ويعبد إن الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالأذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب
الحريق العذاب الزائد في الإحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود
وبعذاب الحريق ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير إذ الدنيا وما فيها تصغر دونه إن بطش
ربك لشديد مضاعف عنفه فإن البطش أخذ بعنف إنه هو يبدئ ويعيد يبدئ
الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب
الودود المحب لمن أطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش
صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره
حمزة والكسائي صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته من الجنود بدل من الجنود لأن المراد بفرعون
هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك
وحذرهم مثل ما أصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الإضراب أن حالهم
أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم
والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد بل هذا الذي كذبوا
به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالإضافة أي قرآن رب مجيد
في لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء
يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا عشر حسنات سورة الطارق
مكية وآيها سبع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
والكوكب البادي بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم
استعمل للبادي فيه وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه
فينفذ فيه أو الأفلاك والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا بوصف
عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه إن كل نفس لما عليها حافظ أي إن الشأن كل نفس
لعليها حافظ رقيب فإن هي المخففة واللام الفاصلة وما زائدة وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة لما على أنها بمعنى إلا وإن نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الإنسان
مم خلق لما ذكر أن كل نفس لها عليها حافظ أتبعه بوصية الإنسان بالنظر في مبدئه
ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق جواب
وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم
لقوله يخرج من بين الصلب والترائب من صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها

ولو صح أن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن
تتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ
أعظم الأعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة
وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المني
فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلَب بفتحتين والصُلُب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب
إنه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف ويتميز بين
ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للإنسان من
قوة منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة إلى الموضع
الذي تحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي أوبا لأن الله يرجعه وقتا فوقتا أو لما قيل من
أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه إلى الأرض وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب
والأرض ذات الصدع ما يتصدع عنه الأرض من النبات أو الشق بالنبات والعيون إنه
إن القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فإنه جد كله إنهم يعني
أهل مكة يكيدون كيدا في إبطاله وإطفاء نوره وأكيد كيدا وأقابلهم بكيدي في استدراجي
لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم أو لا
تستعجل بإهلاكهم أمهلهم رويدا إمهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات
سورة سبح مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
سبح اسم ربك الأعلى نزه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره
زاعما أنهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت
فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال عليه السلام
اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت
الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي
قدر أي قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها
وآجالها فهدى فوجهه إلى أفعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل
وإنزال الآيات والذي أخرج المرعى أنبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء أحوى
يابسا أسود وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرجه أحوى من شدة خضرته سنقرئك على
لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئا بإلهام القراءة فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ مع
أنك أمي ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الإخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من
الآيات وقيل نهي والألف للفاصلة كقوله السبيلا إلا ما شاء الله نسيانه بأن نسخ تلاوته
وقيل المراد به القلة والندرة لما روي أنه عليه السلام أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها
نسخت فسأله فقال نسيتها أو نفي النسيان رأسا فإن القلة تستعمل للنفي إنه يعلم الجهر

وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبرئيل وما دعاك اليه من مخافة النسيان
فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى وحفظ الوحي
او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم
اعتراض فذكر بعد ما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت
بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت
عليهم بجبار الآية او لذم المذكَّرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان
التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ و
ينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها
ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر
الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من
نار جهنم او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح
من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلوة او ادى الزكوة
وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى لقوله اقم الصلوة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة
التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون
الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على
اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا اكثر في الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء والآخرة خير وابقى
فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولى
الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف
ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر
حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلوة
والسلم

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيامة او النار
من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب
فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها
ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو
ويعقوب وابو بكر تُصلى من اصلاه الله وقرئ تُصَلّى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية
في الحر تسقى من عين آنية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو
شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء
والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل وتتعافاه لضره
وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه
يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة

عالية علية المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو
ورويس والتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة
الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة
السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد جمع
نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة
افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث
خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها
طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها
قطع البوادي والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة
في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا
النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال
كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ
الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع
المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث
ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان
لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط وعن هشام بالسين
على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب
الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا
وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب
الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ
بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى
قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص
والمبالغة في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم بالصبح
او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلوته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر
عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة
على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله
ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك او البروج والسيارات
او شفع الصلوات ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرهما فلعله افرد بالذكر
من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلهما او اكثر
منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل

كالبروج والسيارات

إذا يسر إذا يمضي كقوله والليل إذ أدبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور
النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصها نافع وأبو عمرو
بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب أصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف
الإطلاق هل في ذلك القسم أو المقسم به قسم حلف أو محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد
تحقيقه والحجر العقل سمي به لأنه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الإحصاء وهو
الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر كيف فعل ربك بعاد يعني أولاد
عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم باسمه إرم عطف
بيان لعاد على تقدير مضاف أي سبط إرم أو أهل إرم إن صح أنه اسم بلدتهم وقيل سمي
أوائلهم وهم عاد الأولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ذات العماد ذات البناء الرفيع
أو القدود الطوال أو الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا
ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها
في بعض صحاري عدن جنة وسماها إرم فلما تم سار إليها بأهله فلما كان منها على مسيرة يوم
وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها
التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة أخرى لإرم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة
وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد واد
القرى وفرعون ذي الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا أو لتعذيبه
بالأوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون أو ذم منصوب أو مرفوع فأكثروا فيها
الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من أنواع العذاب وأصله الخلط
وإنما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما حل
بهم في الدنيا إشعارا بأنه بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط إذا قيس إلى السيف إن
ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل
لإرصاده العصاة بالعقاب فأما الإنسان متصل بقوله إن ربك لبالمرصاد كأنه قيل إنه لبالمرصاد
من الآخرة فلا يريد إلا السعي لها فأما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا ولذاتها إذا ما ابتلاه ربه اختبره
بالغنى واليسر فأكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي أكرمن فضلني بما أعطاني وهو خبر المبتدأ
الذي هو الإنسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل فأما
الإنسان فقائل ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام وكذا قوله وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه
إذ التقدير وأما الإنسان إذا ما ابتلاه أي بالفقر والتقتير ليوازن قسيميه فيقول ربي أهانن
لقصور نظره وسوء فكره فإن التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي إلى قصد الأعداء
والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع أن قوله الأول مطابق ولم يقل
فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه لأن التوسعة تفضل والإخلال به لا يكون إهانة
وقرأ ابن عامر والكوفيون أكرمن وأهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن أبي عمرو مثله ووافقهم

نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين
أي بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال وهو أنهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا
يحثون أهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وتأكلون التراث الميراث وأصله وراث أكلا
لما ذا لم أي جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون الصبيان والنساء ويأكلون أنصباءهم أو
يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما أي كثيرا وصفا للمال أو الحب كلا
ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه إذا دكت الأرض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت
منخفضة الجبال والتلال أو هباء منبثا وجاء ربك أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما
يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم
وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل
زمام سبعون ألف ملك يجرونها يومئذ بدل من إذا دكت والعامل فيهما يتذكر الإنسان أي يتذكر معاصيه
أو يتعظ لأنه يعلم قبحها فيندم عليها وأنى له الذكرى أي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل
به على عدم وجوب قبول التوبة فإن هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه
أو وقت حياتي في الدنيا أعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فإن المحجور
عن الشيء قد يتمنى أن كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد الهاء لله أي لا
يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله له أو للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل
ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا أيتها النفس المطمئنة على إرادة القول وهي التي اطمأنت
بذكر الله فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني
به عن غيره أو إلى الحق بحيث لا يريبها شك أو الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي
إلى ربك إلى أمره أو موعده بالموت ويشعر به قول من قال كانت النفوس قبل الأبدان موجودة في عالم
القدس أو بالبعث راضية بما أوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين
وادخلي جنتي معهم أو في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فإن الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة
أو ادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي أعددت لك عن النبي صلى الله عليه
من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية وآيها عشرون بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم
بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد أقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول صلى الله عليه
إظهارا لمزيد فضله وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما
يستحل تعرض الصيد في غيره أو حلال لك أن تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما
أحل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم أو إبراهيم عليهما السلام وما ولد ذريته
أو محمد صلى الله والتنكير للتعظيم وإيثار ما على من بمعنى التعجب كما في قوله تعالى والله أعلم بما وضعت
لقد خلقنا الإنسان في كبد تعب ومشقة يقال كبد الرجل كبدا إذا وجعت كبده ومنه المكابدة
والإنسان لا يزال في شدة مبتدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول

بما كان يكابد من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي
الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه
او لكل احد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا
كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول صلى الله عليه وسلم ايحسب
ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه
عليه ثم قرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر
بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر
او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة
وهو الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام
في قوله وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا
متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا
مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة فلا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من
سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة
او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها
وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام
في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر
على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب الميمنة اليمين
او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة
الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى عليهم
نار مؤصدة مطبقة من آصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص
بالهمز من اوصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من
غضبه يوم القيامة سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
والشمس وضحاها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك و
الضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس
اول الشهر او غروبها ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها جلى الشمس
فانها تتجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم تجر ذكرها للعلم بها والليل
اذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف
نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت
طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في
قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين في العطف
والسماء وما بناها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والشيء

القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض
وما طحاها ونفس وما سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها
فجورها وتقواها بقوله وما سواها الا ان يضمر فيه اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما
في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما
والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكاها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام
للطول وكأنه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم
بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية و
يذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية
وقيل استطراد بذكر احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة
لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دساها نقصها واخفاها
بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغواها بسبب
طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى لقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغيا
وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت
او طغوى اشقاها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن مالأه على قتل الناقة فان افعل
التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله
ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم
عنه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من
تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسواها فسوى الدمدمة بينهم
او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقباها اي عاقبة الدمدمة
او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر سورة
والليل مكية وآيها احدى وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى
اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع
الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء
وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات جمع شتيت فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق
بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى
يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل واستغنى
بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية
الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل
من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او

حكمنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يتزكى يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باعطائه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية واياتها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار هاهنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تاخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعده ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلب على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجره واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله ممن يرضى لمحمد

ان يشفع وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية واياتها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عبئك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة فان مع العسر يسرا كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تياس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكير يسرا للتعظيم والمعنى بما في ان مع المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او استئناف وعدة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او للجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسال غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مختلف فيها واياتها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون خصهما من بين الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المامون فيه يامن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل

سافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون
لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك اي فاي شي يكذبك يا محمد دلالة
او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى
فما الذي يحملك على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم
الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا واذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرا هذه
السورة سورة العلق مكية وايها تسع عشرة وهي اول سورة نزلت
بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك اي اقرا القران مفتتحا باسمه او مستعينا به
الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شي ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب
العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذي خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة
على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا
ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرا وربك تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلاة
ولعله لما قيل له اقرا باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرا وربك الاكرم الزائد في الكرم على كل كريم فانه
ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ
به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الايات
فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدا امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله
من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه
على ما يدل عليه سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى ان راى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد
ان الى ربك الرجعى من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في
ابي جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا
من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي ارايت
ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت تكرير للاول وكذا الذي في قوله ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان
الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى
اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او امرا بالتقوى فيما يامر به
من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول الم يعلم بان الله يرى
ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى امر بالتقوى
والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان
يخاطب هذا مرة والاخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا
بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلاة
والامر ما اقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل او لان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها

وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه
لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشي وجذبه بشدة وقرئ
لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبه في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفا باللام عن الاضافة
للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئ بالرفع
على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطا وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة
فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي
ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهي في الاصل الشرط واحدها زبنية من الزبن وهو
الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت
انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد
الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل
كله سورة القدر مختلف فيها واياتها خمس بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة
القدر الضمير للقران فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان
اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف
شهر وانزاله فيها بان ابتدا بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان
جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي
في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها
ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما
للتكثير او لما روي انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت
اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة خيرا من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم
من الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك
السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة
ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر
اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرا الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر سورة لم يكن
مختلف فيها واياتها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل
الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام
منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول او
القران فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقران بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من
البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدا يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا
لكنه لما تلى مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي

ما فيها لو انها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة
فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب
بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى
وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد
الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب
ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك
هم شر البرية اي الخليقة وقرا نافع البريئة بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك
هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات
تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم
وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضي الله عنهم
استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء
والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرا لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع
بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة
الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية
فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع
ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان
الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها
ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث
او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك بان احدث فيها ما دل على
الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى
او على اصلها اذ لها في ذلك تشف من العصاة يومئذ يصدر الناس يخرجون من القبور الى الموقف اشتاتا
متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران
في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء
والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا
وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على

الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا والتي توري النار والايراء اخراج النار يقال قدح
الزند فاورى فالمغيرات صبحا يغير اهلها على العدو صبحا اي وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا
او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء
روي انه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية
اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل
انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور
من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان
الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا
وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في
القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر
وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم
وانما قال ذلك وهو عالم بهم لاختلاف شانهم في الحالين وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا سورة القارعة
مكية وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة سبق بيانه
في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب
اليوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق
اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة
راضية ذات رضى اي مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبا بها او ترجحت
سيئاته على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادراك ما هيه
نار حامية ذات حمي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة سورة التكاثر
مختلف فيها وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو
منقول من لهي اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر
فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا
بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات
فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهاكم
التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي
لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم
سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطا رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار
ليخافوا ويتنبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او
الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم
علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف

الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد
واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتأكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية
اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان
علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذي الهيكم والخطاب مخصوص بكل
من الهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله
كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم الله عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ
الف آية سورة العصر مكية وآيها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلاة العصر
لفضيلتها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان
الانسان لفي خسر ان الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس
والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية
والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر
عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل
بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا
بان ما عدا ما عد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر سورة الهمزة وآيها تسع
بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا
في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر
المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم
ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده
وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده
تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد
فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للاخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن
في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية
نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه التي تطلع على الافئدة تعلو
اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تألما او لانه محل
العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته
قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة
ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص قرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه سورة الفيل

مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها
وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته
وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء
وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه
ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ
للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا
وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي
رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج
من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من
معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تضليل في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال
بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت
بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء
على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل
من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب
المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه
فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل
اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ سورة قريش مكية وآيها اربع بسم الله الرحمن الرحيم
لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى
ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء
والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف
مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش ويؤيده انهما
في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد
النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار
فشبهوا بها لانها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف
ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين
والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وآمنهم من خوف اصحاب
الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها
سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع بسم الله الرحمن الرحيم ارايت

استفهام معناه التعجب وقرئ بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تعقيبه بحرف الاستفهام سهّل امرها
وارأيتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني
قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله
من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة
او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب
الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين
هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليهم ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في
العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ
فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة
الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع
الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق من قرأ سورة ارأيت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وآيها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انطيناك
الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عليه السلام انه نهر في الجنة وعدنيه
ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد
واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته
او القرآن فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا
لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على
المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون والسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة
بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له
اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة
ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل
نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين
قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك
سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال
كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران
لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في
وقت ما ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم
لانهم كانوا موسومين قبل البعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله
وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل
ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه

٤٢٥

لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا
بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب
والجزاء والدعاء والعبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن و
تباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية وآيها ثلث
بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح فتح مكة
وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا
للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد
قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورأيت الناس يدخلون في دين
الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون
حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله
ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل
الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او
فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا
لعملك واستدراكا لما فرط منك من الالتفات الى غيره وعنه عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة
مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق
كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان
السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك
قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين
فهي كقوله اليوم اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع
وعنه عليه السلام من قرأ سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سورة تبت مكية و آيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي
الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه وانذر
عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه
به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان
اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او ليجانس
قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي
لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه
انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن عمل نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء
المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه
او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده
عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة

بدر بايام معدودة وترك ميتا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه **سيصلى نارا ذات لهب** اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا **وامرأته** عطف على المستكن في سيصلى او مبتدا وهي ام جميل اخت ابي سفيان **حمالة الحطب** يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم **في جيدها حبل من مسد** اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الاكرام اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم وموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى **الله الصمد** السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظة الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى والدليل عليها **لم يلد** لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله **ولم يولد** وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم **ولم يكن له كفوا احد** اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع

المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هاهنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية **من شر ما خلق** خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم **ومن شر غاسق** ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه **اذا وقب** دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف **ومن شر النفاثات في العقد** ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه السلام ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا كرم الله وجهه فجاء به فقراهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد **ومن شر حاسد اذا حسد** اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام **برب الناس** لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: AMCAZADE HÜSEYİN
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 17

وهو بعد الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها
عمم الاضافة ثم خصصها بالناس هاهنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي
يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا و
الملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها
واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة
ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره
منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير ويتدرج في وجوه الاستعاذة
المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها
وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر
الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به
الموسوس سمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه
الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد
العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي
الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق
بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن والناس وقيل بيان للناس على ان المراد
به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان
حق الله يعم الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله

تم الكتاب بعون الله ذي المن الظاهر
والنعم الباهرة في يوم الجمعة من خامس ربيع الآخر
لسنة سبع واربعين وثمانمائة
الهجرية النبوية

جانب حضرت مرحوم مولانا القاضي رحمه الله اين كتاب ... مقابله ...
الحمد لله وحده والصلاة على سيدنا محمد وآله
دا الحاج ... بعده